بسم الله الرحمن الرحيم

رَبِّ يَسِّرْ وأعِنْ يا كَرِيمُ

﴿ الفصل الأول :

في البِشارة بدخول شهرِ رمضان المبارك والتهنئةِ فيه ﴾

الحمدُ للهِ الذى جعلَ شهرَ رمضان : غُرَّةَ وجه العام ، وأجزل فيه الفضائل والإنعام ، وشرَّف أوقاتَه على سائر الأوقاتِ ، وفضَّل أيامه على سائر الأيام ، وجَعَلَهُ لعقدِ شهور العام واسِطةَ النِّظام ، وخصَّه على سائر الشهور بمزيد فضل وإكرام ، وعمَر نهارَه بالصيام ، ونوَّر ليلَه بالقِيام .

أحمدُه وأشكره على إحسانه العام ، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له : إلهٌ تفرَّد بالكمال والدوام . .

وأشهد أن محمداً عبده ورسوله : أفضلُ من صلى وصام ، وأتقى من تهجَّد وقام . صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه : هُداةِ الأنامِ ، ومصابيحِ الظلام ، وسلم تسليما كثيراً .

عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم : « إذا دخل رمضانُ : فُتِّحت أبوابُ الرحمةِ ، وغُلِّقت أبوابُ جهنم ، وسُلسلت الشياطين ، وفتحت أبواب الجنة . »

وعنه رضى الله عنه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، أنه قال :

« إذا كان أوّلُ ليلة من شهر رمضان :

صُفِّدَتِ الشياطينُ ومَرَدَةُ الجنِّ

وغُلِّقت أبوابُ النار ، فلم يفتَح منها باب .

وفتحت أبواب الجنة فلم يُغلق منها باب . .

ويُنادى مُنادٍ كُلَّ ليلةٍ :

يا باغى الخير أقْبِل ، ويا باغى الشر أقصر . .

ولله عُتَقاء من النار ، وذلك كل ليلة » .

(روى هذه الأحاديث الترمذىُّ والبيهقىُّ وغيرهما)

* * *

واعلموا ـ رحمكم الله ـ

أنه يجبُ صيامُ رمضان بأحد أمرين :

إما رؤية هـــلالِه ،

أو إكمال عدة شعبان ثلاثين .

وينبغى للإنسان أن يتلقّى شهرَ رمضان بالقبول

والفرحِ والاهتمام ، فَيَعْمُرَ نهارَه بالصيام ، وليلَه بالقيام .

وقد كان النبىُّ صلى الله عليـــه وسلم

يُبشِّر أصحابَه بقدومِ شهر رمضان .

فعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال :

كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يُبشر أصحابَه ، يقول :

« قد جاءكم شهرُ رمضان :
شهرٌ مباركٌ ، كتَبَ اللهُ عليكم صيامه ..
فيه تفتح أبواب الجنان ، وتُغلقُ فيه
أبوابُ الجحيم ، وتُغَلُّ فيه الشياطين ..
فيه ليلةٌ خيرٌ من ألف شهر ..
من حُرِم خيرها فقد حرم » .
(رواه الإمام أحمد والنسائى)

قال بعضُهم : هذا أصلٌ فى تهنئة الناس بعضهم بعضاً بشهر رمضانَ .. كيف لا يُبشَّر المؤمن بفَتحِ أبواب الجنان ؟

* * *

إخوانى : كيف لا يُبشرُ المذنبُ بغلق أبواب النيران ؟!
كيف لا يبشر العاقلُ بوقتٍ يُغَلُّ فيه الشيطان ؟!
من أين زمان يُشْبِه هذا الزمان ؟!

وفى حديث آخر :

« أتاكم رمضان : سيدُ الشهور .. »
فمرحباً به وأهلًا .. جاء شهرُ الصيام بالبركات ،
فأكرِمْ به من زائرٍ هو آت ..

وفى حديث آخر :

« لو يعلمُ الناسُ ما فى رمضان ،
لتمنَّت أمَّتى أن يكون رمضانُ : السنةَ كلَّها » .

وروى أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم كان يدعو
ببلوغ رمضان ، فكان إذا دخل رجب يقول :
« اللَّهُمَّ : بارِك لنا فى رجبَ وشعبان ، وبلغنا رمضان » .
وقال معلى بن الفضل :
(كان السلف يدعون الله ستةَ أشهُرٍ : أن يُبلغهم
رمضان .. ثم يدعونه ستة أشهر : أن يتقبله منهم) .

* * *

إخوانى : اعلموا أنه قد نزل بساحتكم شهرٌ كريمٌ ،
وموسِمٌ عظيمٌ ، خصَّهُ الله تعالى على سائر الشهور
بالتشريف والتكريم ، وأنزل فيه القرآن العظيم ،
وفرض صيامَه شكرًا على هذا الإنعامِ والفضل العميم ،
وجعل صيامه أحد مبانى الإسلام التى لا يقوم على
غيرِها ولا يستقيم ، وسَنَّ لكم قِيامَهُ نبيُّكم الكريم .
شهرُ البركات والخيرات ، شهرُ إجابة الدعوات ،
شهرُ إقالة العثرات ، شهرُ مُضاعفة الحسنات ،
شهرُ الإفاضات والنفحات ، شهرُ إعتاق الرِّقاب المُوبقات ..
شهرٌ لا يعدلُ به سواه من الأوقات .
الحسنة فيه بألف حسنة فيما سِواهُ ، والفَريضةُ فيه
تعدل سبعينَ فريضةً لمن تقبل منه مولاه .

فمن لم يَربح فى هــذا الشهر ، ففى أى وقت يربح ؟!

ومن لم يقرب فيه لمولاهُ ، فهو على بُعدِه لا يبرح .

فطُوبَىٰ لمن تلقَّاه بتوبةٍ صادقةٍ وعملٍ صالح ،

وطَهَّرَ فيه الجوارحَ من الآثام والقبائح !

فكيف حالُ المُفَرِّطِ الذى يصومُ ويأكُلُ لحومَ

الإخوان ، ويُصلِّى وجسمُه فى مكانٍ وقلبُه فى مكان ،

ويذكر اللهَ بلسانه وقلبُه مشغولٌ بذكرِ فلانٍ وفلان ؟!

أين من صامَ عن الحرامِ وأفطرَ على الحلال ؟

أينَ من منَعَ لِسانَه من الغِيبةِ والنميمةِ

وكفَّ عن القيلِ والقالِ ؟ أين من غضَّ بَصَرَهُ

عن الشهوات واتَّبَع أحسنَ الخِــلال ؟

أين من أخلصَ صيامَه لمولاه ذى الجلال ؟

اللهمَّ : اجعل التقوى لنا أربحَ بضاعة ،

ولا تجعلنا فى شهرنا من أهل التفريط والإضاعة ،

وآمِنْ خوْفَنا يوم تقومُ الساعة ..

واغفر - اللهُمَّ - لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين ،

الأحياء منهم والمَيِّتين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

﴿ الفصل الثانى :
فى فضل شهر رمضان المبارك ﴾

الحمـــدُ لله :

الذى اختصَّ بالتفضيل والتشريف بعضَ مخلوقاتِه ،
وأودَعَ فيها عجائبَ حِكَمِه وبدائعَ مصنوعاتِه ،
ما شهدت العقولُ السليمةُ بأنه من أكْبَرِ آياتِه .

خلق فقدَّر ، وشَرَعَ فيسَّرَ ،
وربُّك أعلمُ حيثُ يجعلُ رسالاته .

أحمدُه سُبحانَه وهو المحمودُ على جميع أقضيتِه وتدبيراته ،
وأشكره على جزيلِ إحسانِه وعظيمِ هِباتِه .
وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له
فى رُبوبيتـــه وإلٰهيته وكمالاته .
وأشهد أن محمدا عبده ورسوله وخيرتُه من جميع بريَّاتِه .
اللهُمَّ : صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمدٍ وآلِه وأصحابه
والتابعينَ له على دينِه ومُوالاتِه ، وسلِّم تسليما كثيرا .

* * *

عن سلمانَ الفارسِيِّ رضى اللهُ عنه ، قال :
(خطبَنا رسولُ اللهِ صلى الله عليـــه وسلم ،
فى آخر يومٍ من شعبان ، قال :

« يا أيها الناس : قد أظلَّكُم شهرٌ عظيمٌ مبارك ..
شهرٌ فيه ليلةٌ : خيرٌ من ألف شهر ..
جعل الله صِيامَهُ فريضةً ، وقِيامَهُ تطوعاً ..
من تقرَّبَ فيه بخصلةٍ من الخيرِ ،
كان كمَنْ أدَّى فريضة فيما سِواه ..
ومن أدَّى فيه فريضةً ،
كانَ كمن أدَّى سبعين فريضةً فيما سِواه .
وهو : شهرُ الصبر .. والصبرُ ثوابُه : الجنة .. وشهرُ المواساة..
شهرٌ يُزاد فيه برزق المؤمن .. من فطَّر فيه صائماً : كان مغفرةً
لذنوبه ، وعِتق رقبتِه من النار . وكانَ له مِثْلُ أجرِه
من غير أن يُنقصَ من أجره شيء » .) الحديث
وفيه : إنه شهرٌ أوَّله رحمةٌ ، وأوسَطهُ مغفرةٌ ،
وآخرُه عِتقٌ من النـــار .
ولهذا ورَدَ فى الحديث الصحيح أنَّـهُ :
« تُفتحُ فيه أبوابُ الرَّحمة » . وهى للمحسنين المتقين .
قال اللهُ تعالى :
﴿ إنَّ رحمةَ اللهِ قريبٌ من المحسنين ﴾ .
فيُفاضُ فى أوَّلِ الشهرِ على المتقين خِلَع الرحمةِ
والرِّضوان ، ويُعاملُ أهلُ الإحسان بالإحسان .

وهو شهرُ الصبرِ ، والصَّبرُ ثوابُه الجنة . .

تفتحُ فيه أبوابُ الجنان ، وتُغلقُ فيه أبوابُ النيران ،

ويُصَفَّدُ فيه كلُّ مارِدٍ وشيطان .

عن أبي هريرة رضى الله عنه قال :

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

« الصَّلواتُ الخمسُ ، والجمعةُ إلى الجمعة ، ورمضانُ إلى رمضان : مُكفِّراتٌ لما بينهن ، إذا اجتُنِبَتِ الكبائرُ . »

(رواه مسلم وغيره)

إخوانى : أين من كانَ معكم العامَ الماضى ، فى مثل هذه الليالى من النساء والرجال ، يُنافِسُونكم فى صالِح الأعمال ، ويُخالطونكم فى سائر الأحوال ؟! أما طحنتهُم رَحا المنون ولم تنفع الآمال ؟! وقطعت منهم الأعمارَ والآجال ، وتخلَّوا فى قبورهم بما قدَّموا من الأعمال ، وأخَذهم الموتُ فما دفع عنهم المالُ ولا العِيالُ ، وندِموا على ما قدَّموا من جميع الأفعال ! وها أنتُم لِطريقِهم سالِكون ، ولمداخِلهم داخِلون ، وعلى سبيلهم مُتَّبِعون .. فبادرُوا - رحمكم الله - أوقاتكم قبل الارتحال .

فيا سعادةَ من قُبِلت منه فى شهره الأعمال ،

ويا شقاوةَ من فرَّط فى صيامِه بالإهمال !..

إخوانى : إعلموا أن لشهرِ رمضانَ فضائلَ لا تُحصى ، وكراماتٍ لا تُستقصى . ويكفى فى فضلِه شرفاً وفضلا ، آياتٌ فى محكمِ التنزيل تقرأ وتُتلى .

فيا مُضيعَ الزمانِ فيما ينقصُ الإيمان :

ما أراكَ فى رمضان ، إلا كما أنتَ فى جمادى وشعبان !

أما يَسُوقُك إلى الخـــير ما يَسُوق ؟

أما يعوقُك عن الشَّرِّ ما يعوق ؟

متى تصـــيرُ سابقاً يا مَسبوق ؟

إلى متى تُبادِرُ سُوقَ الفسُوق ؟

أولُ الهوى سهلٌ ، ثم تنخرقُ الخُروق .

فبادِرْ ثم بادر ، فإنَّ لذّات الدنيا كخَطْف البُروق .

اللهُمَّ : اسْلُك بنا سبيلَ الأبرار ،

واجعلنا من عبادِك المصطفَيْنَ الأخيار ،

وامنُن علينا بالعفو والعتقِ من النار ،

وانظمنا فى سِلكِ المتقين الأخيار ،

واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين :

الأحيـــاء منهم والمَيِّتين ..

برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

﴿ الفصل الثالث :
فى فضائل شهر رمضان المبارك ﴾

الحمد لله الذى بنعمته اهتـــدى المهتدون ، وبعدلِه
ضلَّ الضالون ، ﴿ لا يُسأل عما يفعل ، وهم يُســـألون ﴾ .
أحمدُه سبحانه حمدَ عبدٍ نزَّه ربَّه عما يقول الظالمون ،
وأشكره تعالى ، وشُكرُه بالمزيد مقرون .
وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له ،
وسُبحان اللهِ ربِّ العرش عما يصفون .
وأشهد أن سَيِّدَنا محمـــداً عبْدُه
ورسـولُه وخليلُه ، الصَّادِقُ المأمون .

اللهم : صَلِّ وسلم وبارك على عبدك ورسولك محمد ، وعلى آله وأصحابه الذين هم بِهَدْيِه متمسِّكون ، وسلم تسليما كثيراً .

قال الله تعالى :

﴿ شهرُ رمضـــانَ الذى أُنزل فيه القرآنُ هُدًى للناسِ ، وبيِّناتٍ من الهُدى والفرقان . فمن شهد منكم الشهرَ فليصُمْهُ ، ومن كان مريضاً أو على سفرٍ ، فعِدَّةٌ من أيامٍ أُخَرَ ﴾ .

هذا مدحٌ من الله سبحانه وتعالى لشهر رمضان من بين سائر الشهور ، بأن اختارَه لإنزال القُرآن العظيم فيه .

فللهِ درُّ هذا الشهرِ !.. كم فيه من الفضائل الجَمَّةِ ، والخيراتِ العظيمة لهذه الأمَّـــةِ .

هذا ـ عِبادَ اللهِ ـ شهرٌ اختصَّهُ اللهُ من بين سائر الشهور ، وأعظَمَ فيه القليلَ من الأعمالِ بِمُضاعفة الأجور ؛ فَما لَكَ ـ يا عبدَ اللهِ ـ لا تُشمِّر فيه إلى معالى الأمور ؟! تاللهِ إن شهرَ رمضان لا يُشبهُ الشهور (شعراً) :

إذا أنتَ لم ترحـل بزادٍ من التُّقَى
ولاقيْتَ بعد الموتِ من قـد تزوَّدا
ندِمْتَ على أن لا تـكونَ كمثلِهِ
وأنك لم تُرصِـــد كما كانَ أرصدا

وقد امتنَّ الله على عبادِه بقوله تبارك وتعالى :

﴿ فمنْ شهِـــدَ منكم الشهرَ فليصُمْهُ ، ومن كان مريضاً أو على سفرٍ فعِدَّةٌ من أيامٍ أُخَرَ ﴾ .

فهذه نعمةٌ من الله تبارك وتعالى تفضلَ بها على خَلقه ، بأن الإنسان إذا كانَ مريضاً أو مسافِراً ، فإنه يُفطِرُ ويقضيهِ فى أيام أُخَرَ ـ فيباحُ له الفِطرُ أخذاً برُخصَةِ الله عزّ وجلّ .. فإذا كان المُكلفُ صحيحاً مُقيما ، فإنه يلزمه الصَّومُ حتمًا ، وعليه الوعيدُ إن أفطَرَ من غيرِ عُذرٍ .

فسُبحانَ من افترضَ صِيامَ شهرِ رمضانَ على أُمَّةِ الإسلام ، وحَباهُم بالفضلِ والإحسان ، وخَصَّهُم فيه بالعِتقِ من النيران ، وجَعَلَه صِحَّةً للأبدانِ ، ومَطهَرةً للقلب واللسانِ ،

من الذنوبِ والعصيان ، وأنزَلَ فيه على سَيِّدِ البَشَر ،
ترخيصاً فى الفِطرِ لمن أصابه مرضٌ أو ضرر :
﴿ فمن كان مريضاً أو على سَفَرٍ فعِدَّةٌ من أيَّامٍ أُخَرَ ﴾ .
يا مشغولاً باللَّهوِ والهذَيان ، مُعرِضاً عن تِلاوةِ
القرآن ، ستدرى من يندمُ يومَ نصْبِ الميزان !..
أخى : اِستدرِكْ ما فاتَ فى هذا الزمان ، وقُمْ فى الأسحارِ
فللرَّحمةِ مع السَّحَرِ شان ، وسَلِ العفوَ عما سَلَفَ وكان ،
ونادِ فى نادِى الذُّلِّ : يا صاحِبَ الإحســانِ ،
لعَلَّك تحظى بالقبول والغفران .

إخوانى : تفكَّروا ، لماذا خُلِقتُم ؟ فالتفكر عِبَادَة ، وامتثلوا أمرَ الإلٰهِ ، فقد أمَرَ عِبَادَه .. وانتقلوا عن أسباب الشقاء إلى أسبابِ السعادَةِ . . واعلموا أنكم فى نقصٍ من الأعمارِ لا فى زيادَة ، فاجتهدوا ـ رَحِمكم اللهُ ـ فى هذا الشهرِ بالعبادَة ، وتوبوا إليه ، واسألوهُ سبحانه الحُسنى والزيادَة .
اللهم : اعصِمنا من مُضِلاتِ الفِتَن ، ما ظَهَر منها وما بطن ، وعافِنا فى الدارَيْن من جميع المِحَن . فها نحنُ ببابِك واقِفون ، وإليكَ مُتَوَجِّهون . اللهُمَّ : فلا تردُّنا خائبين ، ولا من رحمتك آيسين . واغفر اللهم لنا ولوالدينا ، ولجميع المسلمين : الأحياء منهم والميِّتين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .
وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

﴿ الفصل الرابع :
فى فضل صيام شهر رمضان المبارك ﴾

الحمدُ للهِ الذى فضَّـــلَ شهرَ رمضانَ
على سائرِ الشهور ، اختصاصاً له وتفضيلا ..
وضاعَفَ فيه الأجورَ ، وأنالَ العاملينَ فيه حظًّا جزيلا ..
وَلَمْ يزل سُبحانَه مُتفضِّلًا على المخلوقين ، مقتدِراً جليلا ؛
قابِلًا لعملِ المُخلصينَ ، ولو كانَ قليلا .
أحمدُه سبحانه وأشكرُه ، وأتبتَّل إليه تبتيلا .
وأستغفِرُه وأتوبُ إليه من ذنوبِ تركتِ القلبَ عليلا .
وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحـــده لا شريك له ،
إلٰهٌ رضِيتُ به ربًّا ، واتخذتُه وكيلا ..
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله صلى الله عليه
وعلى آله وأصحابه صلاةً مُتواتِرةً بُكرةً وأصيلا ..
وسَـــلِّم تسليما كثيراً .

عن سهل بن سعدٍ ـ رضى الله عنه ـ
عن النبىِّ صلى الله عليه وسلم ، أنه قال :
« إنَّ فى الجنة باباً يُقال له : الرَّيَّان ،
يدخُلُ منه الصائمونَ يومَ القيـــامةِ ..
لا يدخل منه أحدٌ غيرُهم .. فإذا دخلوا ، أُغلق
فلم يدخل منه أحدٌ . » (رواه البخارى ومسلم) .

ورويا أيضاً عن أبى هريرة رضى الله عنه ،
عن النبىِّ صلى الله عليه وسلم ، قال :
« من صامَ رمضانَ إيماناً واحتِساباً :
غُفِر له ما تقدَّم من ذنبه . .
ومن قامَ ليـــلةَ القدرِ إيماناً واحتِساباً ،
غُفِر له ما تقدَّمَ من ذنبِه . »
وفى رواية للنسائى : « من صامَ رمضانَ إيماناً واحتساباً ،
غُفِر له ما تقـــدّم من ذنْبِه وما تأخّر ..
ومن قامَ ليلةَ القَدْر إيماناً واحتِساباً ،
غُفِر له ما تقدَّمَ من ذنبه وما تأخَّر . »
وعن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ،
عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال :
« من صامَ رمضانَ ، وعَرَفَ حُدُودَه ؛ وتحفَّظ
مما ينبغى له أن يتحفَّظ منه ، كفَّر ما قبله . »
(رواه البيهقى)

وقولُه فى حديث أبى هريرَة : « إيماناً واحتسابا » ،
أى : نيةً وعزيمةً ، وهو أن يصومَهُ على التصديقِ
والرغبةِ فى ثوابِه ـ طيِّبَةً به نفسُه ، غيرَ كارِهٍ له
ولا مُستَثْقِل لصيامه ، ولا مُستطيلٍ لِأيَّامِه .

* * *

فعليكم ـ عِبـادَ اللهِ ـ بإخلاص الصيام ،
والقيامِ بحقوق المَلِك العَلَّام ..
وأدِيمُوا له الصيام ، وبادِروا أوقاتَ الفضائِل بالاغتِنام ،
واتَّبِعوا هدْيَ نبيِّكم عليه أفضلُ الصلاةِ والسلام .
ابنَ آدَمَ : يا من طُولَ سَنَتِه قد رَقَدَ ونام ،
اِنْتَبِه لهذه الأيامِ العِظام ، واحذَرْ غفلةَ الطَّغام ،
وخُـذْ قَدْرَ البُلْغةِ من الطعام .
واسمع قولَ المَلِك العَلَّام :
﴿ يا أيُّها الذين آمنوا ، كُتِب عليكم الصِّيام ﴾ .
يا مريضاً لا يقبل من طبيبه : هذا شهرُ الحِمْيَةِ جاء لتهذيبه .
صُن لسانك عن اللَّغوِ ولا تهذى به ؛ فالصومُ لى
وأنا الذى أجزى به . ولكن أين الصيام ؟!
﴿ يا أيها الذين آمنوا ، كُتِب عليكم الصيام ﴾ .
هذا شهرُ عِمارة المِحراب . هذا زمانُ حُضورِ البـاب .
هذا وقتُ تِلاوةِ الكتاب . وللمُتَّقين فيه
ـ على الباب ، كُلَّ وقتٍ ـ وقوفٌ وزِحام .
﴿ يا أيها الذين آمنوا ، كُتِب عليكم الصيام ﴾ .
شهرٌ فيه تُكَفُّ النفوس ، كأنها عن المعاصى فى حُبوس ،
وتُظمأ فيه الأكبادُ عن الكئوس ، وتُطرِقُ
من الخشية الرءوسُ ، عن النظر الحرام .

﴿ يا أيها الذين آمنوا ، كُتِب عليكم الصيام ﴾ .

شهرٌ فيه تتحلَّى المساجد ، ويخشعُ فيه الرَّاكِعُ والسَّاجِد ، وينهضُ للخيراتِ كلُّ قاعد ،

ويصيرُ الراغِبُ فيه كالزاهِد ، من قلَّة الطعام .

﴿ يا أيها الذين آمنوا ، كُتِب عليكم الصيام ﴾ .

شهرٌ فيه تُغَلُّ الشياطين : فيه يُعرفُ قدرُ الدِّين ، فيه يتشبَّه المُسيء بالمحسنين ، وبالكبير الغلام .

شهرُ التراويح ، شهرُ المستجيرِ الرَّبيح ، شهرُ الأنوارِ والمصابيح ، شهرٌ يتركُ فيه القبيح ، وتُهجرُ الذنوبُ والآثام .. شهرٌ فيه تَرِقُّ القلوب ، وفيه تُغفرُ الذنوب ، وتتجافى عن المَضاجِع الجُنوب ، فتجفو لذيذَ المنام .

﴿ يا أيها الذين آمنوا ، كُتِب عليكم الصيام ﴾ .

اللهمَّ : اغفِرْ لنا ذُنوبَنا ، قبل أن تشهَدَ علينا الجوارِح .

ونبِّهنا عن رقداتِ الغفلاتِ ، وسامِحنا فأنتَ الحليم المُسامح .

وعلِّمنا ما ينفعُنا ، وانفعنا بما علمتَنا ؛ فمنكَ الفضل والمنائِح .

واغفر ـ اللهم ـ لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين :

الأحياء منهم والميِّتين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

﴿ الفصل الخامس :

في فضل أوقات شهر رمضان ، وما للصائم عند فطره ﴾

الحمـــدُ لله : الذى نوَّر قُلوبَ أهلِ السَّعادَة ،
وطَهَّرَ بكريم وِلايتِه أفئدةَ الصَّادقينَ فأسكنَ فيها وِدادَه ،
وحَرس سَرائِرَ المؤمنين فطردَ عنها الشيطانَ وذادَه !..
فسُبحانَ من أعطى ومنع ، ووَصَلَ وقطع ، وخفَضَ
ورفع ، ومهَّدَ لمن ارتضاهُ فأحسَنَ مِهادَه ..
أحمدُه على ما أوْلاه من فضلٍ وأفادَه ،
وأشكرُه على إحسانِه الذى لا أُحصى تَعدادَه .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له :
شهادةً نرجو بها الحُسنى والزِّيادة ،
ونؤمل بها النجاةَ من نارٍ لم تزَلْ وقّادة ..
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله ،
الهادى إلى سبيل السعادة ..
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين أوضحَ اللهُ بهم
حُجج الدِّين وأحكام العِبادة ، وسلم تسليما كثيراً .
عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ، قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إنَّ للصائم عِند فِطره : دعوةً ما تُرَدُّ . »

قال الراوى : سمعتُ عبدَ الله يقولُ عند فِطره :
(اللهُمَّ : إنِّى أسألك برحمتك التى وسعَت كلَّ شىء :
أن تغفر لى) ، رواه البيهقى .

وعن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال :
قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :
« ثلاثة لا تُردُّ دعوتُهم : الصَّائم حين يُفطِرُ ،
والإمام العادلُ ، ودعوة المظلوم : يرفعُها الله فوقَ الغَمام ،
ويفتحُ لها أبوابَ السماء .. ويقولُ الرَّبُّ :
[وعِزَّتى وجَلالى ، لأنصُرَنَّكِ ولوْ بعدَ حِين] . »
(رواه أحمد وغيره)

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« للصائم فَرْحتان : فرحةٌ عند فِطره ،
وفرحةٌ عند لقاء ربِّه . »

أمّا فرحةُ الصائم عند فِطره ، فإن النفوسَ مجبولةٌ على
المَيْل إلى ما يُلائِمُها من مطعم ، ومشربٍ ، ومنكح ؛
فإذا مُنعت من ذلكَ فى وقتٍ من الأوقاتِ ثم أُبيحَ لها
فى وقتٍ آخَرَ فرحت بإباحة ما مُنعت منه ، خصوصاً عند
اشتدادِ الحاجةِ إليه ، فإن النفوسَ تفرحُ بذلك طبعاً .
فإن كانَ ذلك محبوباً لِلهِ ، كان محبوباً شرعاً ؛
والصائمُ عند فِطره كذلك .

فكما أن اللهَ حرَّمَ على الصَّائمِ تناوُلَ هذه الشهوات في نهارِ الصيامِ ، فقد أذِنَ له في ليلِ الصيام ، بل أحَبَّ منه المُبادرةَ إلى تناوُلِها في أول الليل وآخِره . فأحبُّ عِبادِه إليه : أعجلُهم فِطراً ، واللهُ وملائكتُه يُصَلُّون على المُتسَحِّرين .

فالصائمُ تركَ شهواتِه لِلهِ بالنَّهارِ تقرُّباً إلى اللهِ وطاعةً له ، ويُبادِرُ إليها بالليل تقرُّباً إلى الله وطاعَةً له . فما تركها إلا بأمرِ ربِّه ، ولا عاد إليها إلا بأمر ربِّه . فهو مُطيعٌ له في الحالَيْن .

فالصائمُ ليله ونهاره في عبادَةٍ ، ويُستجابُ دُعاؤُه في صِيامه وعند فِطره : فهذا معنى فرح الصَّائم عند فطره .

ويَدخُلُ هذا الفرحُ في قوله تعالى :

﴿ قُلْ بفضلِ اللهِ وبرحمتِه ، فبذلك فليفرحوا ، هو خيرٌ مما يجمعون ﴾ .

ولكن شرطُ ذلكَ أن يكونَ فِطرُه على حلالٍ .

فإن كانَ فِطرُه على حرامٍ كانَ كمن صامَ عمَّا أحَلَّ اللهُ لهُ وأفطَرَ على ما حرَّمَ اللهُ عليه ، ولم يُستجبْ له دُعاء .

كما قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم في الذي يُطيلُ السَّفَرَ : « يمدُّ يديْه إلى السَّماء : يا رب ، يا رب ـ ومطعمُه حرامٌ ، ومشربُه حرام ، وملبسُه حرامٌ ، وغذي بالحرامِ ؛ فأنَّى يُستجابُ لذلك . »

* * *

إخوانى : هذه أيَّامُ رمضانَ هِى التَّاجُ على رأسِ الزَّمان ، وهى مغنمُ الخيراتِ لذوى الإيمان . هذه أيَّامُ الجودِ والإحسان ؛ فانتبِهْ لنفسِكَ يا وَسْنان ، وسَلِ الكرمَ من الرَّحمٰن .

شهرُ رمضانَ الذى أنزِلَ فيه القرآن . يا له من وقتٍ عظيم الشَّان ، تجبُ حِراستُه عن كلِّ ما شان ، واغتنامُ فضائلِهِ العِظامِ الحِسان ؛ فكأنكم بهِ وقد رَحَلَ وبان ، ولا تَبيَّنَ لكم الفرقُ بينَ الربح والخسران .

إخوانى : للصيام آدابٌ يجمعُها : حِفظُ القلبِ عن الخَطَرات ، واللسانِ عن قبيح المقالات ، والسَّمعِ عن استماع المحذورات ، والجوفِ عن المطاعِم والمشاربِ والملابسِ المحرَّمات ، والجوارح عن فعلِ المنهيَّات ، والشَّانُ فى حِفظِ العملِ كُلُّ الشَّان .

عِبادَ اللهِ : هـذا شهرُ رجوعِ النفوسِ الآبقة ..

هذا شهرُ صيانةِ النفوس عن البطالاتِ والمآثمِ اللَّاحِقَة ..

هذا شهرُ اغتنامِ الخيراتِ والمسابقة . فطُوبَىٰ لمن تَلَقَّاهُ بتوبةٍ صادِقة ، وشَمَّرَ إلى فضائلِهِ بعزيمةٍ واثِقَة ، يطلبُ بها رِضا ربِّه والجِنان ، يا مُضيعَ الزمان ، فيما ينقُصُ الإيمان ، يا مُعرضاً عن الأرباحِ مُتَعَرِّضاً للخُسران .. يا من كُلَّما زانَ شانَ : ما أراكَ فى رمضانَ ، إلَّا كما أنتَ فى جُمادَى وشعبان . أما ظَهَرَ لكَ الفرقُ ؟! أما بان ؟! . أرضيتَ بالإبعادِ والحِرمان ؟ وابتعتَ بالمرابحِ الخُسْران ؟ !..

(شعراً) :

يا ذا الذى ما كفاهُ الذنبُ فى رجب
حتى عصىَ رَبَّهُ فى شـــهرِ شعبانِ
لقد أظلَّكَ شهرُ الصَّبرِ بعـــدهما
فلا تُصيِّرْهُ أيضاً شهرَ عِصيـــان
واتلُ الكتابَ وسبِّح فيه مجتهداً
فإنه شهرُ تســـبيحٍ وقرآنِ

اللهُـــمَّ : نَجِّنا برحمتِكَ من النار ،
وعافِنا من دار الخِزْى والبَـــوار ،
وأدخلنا برحمتك وفضلِكَ الجنَّةَ : دارَ القرار .
اللهُمَّ : اجعلنا من المقبولين فى هذا الشهرِ الفضيل ،
وخُصَّنا فيه بالأجرِ الوفيرِ والعطاء الجزيل ،
واغفر لنا فيه كُلَّ ذنبٍ عظيم ،
وخَفِّف ظُهورَنا من كُلِّ وِزرٍ ثقيل ،
وتقبَّـــلْ فيه يســـيرَ أعمالِنا ،
فإنك تقبلُ العملَ القليـــل ..
واغفر - اللَّهُمَّ - لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين :
الأحيـــاء منهم والمَيِّتين .
برحمتك يا أرحمَ الراحمين .
وصلى الله على محمد وآله وصَحْبِه أجمعين .

﴿ الفصل السادس :

في معنى فَرَح الصائم عند لقاء ربِّه تبارك وتعالى ﴾

الحمـــدُ لله : الذى لا تُدرِكُه الأوهامُ ولا الظُّنون ،

ولا تناله الآفاتُ ولا المَنون ،

الذى أنزل الكتابَ المكنون ،

وأرسل السَّحاب المشحون ،

وأخرج الثِّمار من يابِسِ الغُصون ،

وخَلَقَ الإنسان من صلصالٍ من حمإٍ مسنون ،

إذا قضى أمراً ، فإنما يقول له كُنْ فيكون .

أحمدُه حمدًا يتقرَّبُ به المتقرِّبون ،

وأشهد أن لا إلٰه إلا اللهُ وحده لا شريك له ،

شهادةً تنفعُ قائِلَها يومَ لا ينفعُ مالٌ ولا بَنُون ،

وأشهد أن سيِّدنا محمدًا

عبدُه ورسولُه : النبيُّ الأمين المأمون ،

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه وأزواجه وذريته ؛

الذين كلُّ دهرِهم رمضان ، وبه فى أعمال الخيرِ يزيدون ،

وسلم تسليما كثيرًا .

• • •

وأمَّا فرحُ الصَّائمِ عند لقاء رَبِّه :

فهو فرحُه بما يجدُه عند الله من ثوابِ الصيامِ
مدَّخرًا له ؛ فيجدُه أحْوَجَ ما كانَ إليه .
فإن اللهَ لا يضيعُ لديه أجرَ من أحسنَ عملًا ..

قال تبارك وتعالى :

﴿ وما تُقَدِّموا لأنفُسِكم من خيرٍ ،
تجدوه عند اللهِ هو خيرًا وأعظَمَ أجرًا ﴾ .

قال سفيانُ بن عُيَيْنة :

(إنَّ ثوابَ الصيامِ لا يأخذه الغُرَماء فى المظالِم ،
بل يدَّخِرُه اللهُ عنده للصَّائمِ ،
حتى يُدْخِلَهُ به الجنَّة) .

وعن عيسى عليه السلام قال :

(إن هذا الليلَ والنهارَ : خِزانتانِ ؛
فانظروا ما تضعونَ فيهما ،
فالأيَّامُ : خزائنُ للناس مُمتلِئةٌ
بما خزنوهُ فيها من خيرٍ وشرٍّ .
وفى يومِ القيامةِ تُفتحُ هذه الخزائنُ لأهلِها ؛
فالمُتَّقونَ يجدونَ فى خزائنِهم العِزَّةَ والكرامة ،
والمُذنبون يجدونَ فى خزائنهم الحسرةَ والندامة) .

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص رضى الله عنهما ، قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« إنَّ للصائم عِند فِطرِه : دعوةً ما تُرَدُّ . »
فإذا بادَرَ الصائمُ إلى الفِطرِ تقرُّبًا إلى مولاهُ ،
وأكَل وشَرِبَ وحَمِد الله ،
فإنه تُرجَى له المَغفرة وبُلوغُ الرِّضوانِ . »
وفى الحديث : « إن الله ليرضى عن العبدِ يأكلُ الأكلةَ
فيحمدُه عليها ، ويشرَبُ الشَّرْبةَ فيحمدُه عليها . »
وربما استُجِيبَ دُعاؤه عند ذلك ، كما تقدم .
وإن نوى بأكلِه وشُرْبِه : تقويَةَ بَدَنِه
على الصِّيامِ والقِيامِ ، كان مُثابًا على ذلك ..
كما أنه إذا نوى بنومِه ـ فى الليل والنهار ـ
التَّقوِّىَ على العملِ كان نومُه عبادةً .

وَوَرَدَ فى حديثٍ مرفوع :
« نومُ الصائمِ : عِبادة .. وصَمْتُه تسبيح ..
وعَمَلُه : مُضاعَف . ودُعاؤه : مُستَجاب .
وذَنْبُـه : مغفورٌ له . » (رواه البيهقى)
قالت حفصةُ بنتُ سيرين : قال أبو العالية :
(الصائمُ فى عِبادةٍ ما لم يَغْتَبْ أحدًا ، وإن كانَ على فِراشِه) .

فكانت حفصةُ تقول :

(يا حَبَّذا عبادةَ ، وأنا نائمةٌ على فراشي) .

(أخرجه عبد الرزاق)

فالصائمُ في ليلِه ونهارِه في عبادة ،

ويُستجابُ دعاؤه في صيامِه وعند فِطرِه .

فللهِ دَرُّ الصيام حيثُ كانَ بهذه المنزلةِ !

* * *

إخواني : سارِعوا إلى الطّاعات ،

وحافظوا على الجُمَع والجماعات ،

وجَنِّبوا صيامَكم الأمورَ المُفسدات ،

واحذروا على أعمالكم من المُحْبِطات ..

واسألْ مَوْلاكَ أن يُنقذكَ من الهفوات ،

وقُمْ بالليلِ واسْكُبِ العَبَرات ،

لعلكَ تنجو من أهوالِ عسيرات .

فيا غافلًا ليس بمغفولٍ عنه ،

عَجَبًا لك : نائمٌ وأنت مطلوب ، وضاحِكٌ وأنت أسيرُ الذنوب .

أما تُغالبُ الهوَى يا مغلوب ؟!

أما علمتَ أنكَ في شهر رمضان :

شهرِ العفوِ والغُفران ،

شهرِ التجاوُزِ والإحسان ، شهرِ العِتقِ من النيران ؟!

أما علمتَ أنكَ كما تدينُ تُدانُ ؟

أما لكَ سمعٌ للمواعظِ يسمع ؟

أما لكَ عينٌ على فِراقِ الحبايب تَدمَع ؟

أما لكَ قلبٌ من الخوفِ يخشع ؟

أما لكَ في التوبةِ إلى اللهِ مطمع ؟

فآهٍ على قُلوبٍ أقسى من الحديد ،

وآهٍ على نفوسٍ عن طريق الرَّشادِ تَحِيد ،

وآهٍ على عُيونٍ أصلبَ من الجلاميد .

اللهُمَّ : ارحمْ عِبادًا غرَّهم طولُ إمهالك ،

وأطمعهم دوامُ إفضالك ، ومَدُّوا أيديهم إلى كريم نوالك .

اللهُمَّ : تقبَّلْ مِنَّا اليسيرَ من الأعمال ،

وتجاوزْ عنا الكثيرَ من سيِّئات الأعمال ،

واغفر ـ اللَّهُـمَّ ـ لنا ولوالدينا

ولجميع المسلمين : الأحياء منهم والمَيِّتين ،

برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

﴿ الفصل السابع :
فى مُضاعَفَةِ الأعمال ﴾

الحَمْدُ لله : الملِكِ الأعلى الكبير ،
الواحدِ الأحدِ ، الفردِ الصَّمدِ ، السَّميع البصير .
الخافِضِ الرَّافِع ، المُعطى المانع ، المُعزِّ المُذِلِّ القدير ـ
أحاطَ علماً بالجليل والحقير .
﴿ ألَا يعلمُ من خَلَقَ ، وهو اللطيفُ الخبيرُ ﴾ .
أحمدُه تعالى وأشكره على ما أولاهُ من الإنعامِ والخيرِ الكثير .
وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له ،
ولا ضِدَّ ولا نِدَّ ولا ظَهير .
وأشهدُ أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عبْدُه ورسولُه البشيرُ النَّذير .
صلَّى اللهُ عليه وعلى آله وأصحابه : أهْلِ الجِدِّ والتَّشمير .
وسلم تسليماً كثيراً .

قال الله تبارك وتعالى :
﴿ كُلُوا واشربوا هنيئاً بما أسلفتُم فى الأيامِ الخالية ﴾ .
قال مجاهِدٌ وغيرُه : نَزَلَتْ هذه الآية فى الصَّائمين :
وذلك أنه إذا كان يومُ القيامةِ ، وبلغ النَّاسُ من الكَرْب والغَمِّ
ما لا يعلمُه إلا اللهُ ، من : العَطَشِ والجوعِ والعرَقِ ،
قيلَ للصائمين ذلك .

عن أبى هريرةَ رضى الله ، عنه عن النَّبىِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال :

« كلُّ عملِ ابنِ آدَمَ له ـ الحسنةُ : بعَشْرِ أمثالِها :
إلى سَبْعِمائة ضِعْفٍ ، إلى أضعاف كثيرة ..
قال الله تعالى : [إلَّا الصيامَ ، فإنه لى ، وأنا أجزى به ،
إنه تركَ شهوتَه وطعامَه وشرابَه من أجلى] .
لِلصَّائمِ فرحتانِ . فرحةٌ عند فِطره ،
وفرحةٌ عند لقـــاء رَبِّه ،
ولَخَلوفُ فمِ الصَّائم : أطيبُ عند اللهِ
من ريـــح المِسك » .

(رواه البخارى ومسلم)

ففى هذا الحديث دليلٌ على استثناء الصومِ
من سائرِ الأعمال المُضاعَفَةِ ،
فتكونُ الأعمالُ كُلُّها تُضَاعَفُ بعَشْرِ أمثالها ،
إلى سَبْعِمائة ضِعْفٍ ، إلا الصِّيامَ
فإنه لا ينحَصِرُ تضعيفُه فى هذا العدد ،
بل يُضاعِفُه اللهُ عز وجل أضعافًا كثيرةً ،
بغيرِ حصرِ عدد ؛ فإن الصيامَ من الصبرِ ..
وقد قال الله تعالى :
﴿ إنَّما يُوَفَّى الصابرون أجرَهُم بغيرِ حِساب ﴾ .

ولهذا وردَ عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم :
أنه سمَّى شهرَ رمضانَ « شهرَ الصبرِ » ..
والصَّبرُ ثلاثةُ أنواع :
صبرٌ على طاعة اللهِ ،
وصبرٌ عن محارم اللهِ ،
وصبرٌ على أقدار اللهِ ..
وتجتمعُ الثلاثةُ كُلُّها فى الصَّوم ؛
فإن فيه صبرًا على طاعةِ الله ،
وصبرًا عما حرَّم اللهُ على الصائم من الشهوات ،
وصبرًا على ما يحصُلُ للصَّائم فيه من ألم الجوعِ
والعطشِ ، وضعفِ النفسِ والبَدَن .
وهذا الألمُ الناشئُ من أعمالِ الطاعات يُثابُ عليه صاحبُه .
وفى حديث سلمان المرفوع المتقدِّم فى فضلِ شهر رمضان :
« وهو شهرُ الصَّبرِ ، والصَّبرُ ثوابُه الجَنَّة » .
وفى الطبرانى مرفوعاً : « الصيامُ لِلهِ ،
لا يَعلَمُ ثوابَ عاملِهِ إلا اللهُ عَزَّ وجَلَّ . »
والله سبحانه وتعالى يُحِبُّ من عبادِه أن يُعامِلُوهُ سِرًّا ،
بينهم وبينه ، حيثُ لا يَطَّلِعُ عَلَى مُعاملتِهم إيَّاهُ سِواهُ ،
حتى كانَ بعض السَّلفِ يَودُّ لو تمكَّن من عِبادةٍ :
لا تشعُرُ بها الملائكةُ الحَفَظَة ..

(شِعراً) :

نسيمَ صَبا نجدٍ : متى جئتَ حامِلا
تَحيَّتَهم فاطْوِ الحديثَ عن الركب
ولا تُذِع السِّرَّ المَصُونَ فإنني
أغارُ على ذِكرِ الأحِبَّةِ من صَحْبِي

* * *

فيا من يُبارِزُ بالعِصيانِ ، ولم يَسْتَحِ من رقيبه ..
وقد فاتَ سبعةُ أيّامٍ من شهرِ رمضانَ ،
وما فازَ بِمُصالحةِ حبيبه ..
وقد ذَهَبَ نسيمُ القَبولِ ، وما تنشَّقَ عَرْفَ طِيبه .
أما سمعت قولَ الملكِ المَنّانِ فى شهرِ رمضان وترغيبه :
[الصومُ لى وأنا الذى أجزى به]
من كان يشكو عِظمَ داءِ ذنوبه ،
فليأتِ فى رمضانَ بابَ طبيبِه ،
ويَفُزْ من عَرفِ الصِّيامِ بطِيبه ..
أوَلَيسَ قد قال اللهُ عن الصَّومِ فى ترغيبه :
[الصومُ لى ، وأنا أجزى به]
فيا من فَرَّطَ فى الأوقاتِ الشريفةِ وضَيَّعها ،
وأودَعَها الأعمالَ السَّيِّئَةَ : بِئْسَ ما استودَعَها .

مضى شعبانُ ، وما أحسنتَ فيه ..
وهذا شهرُ رمضانَ المباركُ ،
فاجْتَهِدْ فى أيّامِه ولياليه .

* * *

إخوانى : ما أحسَنَ من خَلَعَ عليه مولاهُ خِلَعَ القَبُول ،
وما أتعَسَ بالَ من بَلَّغَهُ غايةَ مقصودِه والمأمول ،
وما أشقَى من رُدَّ عليه صيامُه ، وأُحصِىَ عليه قبيحُه وآثامُه ،
ومضت فى البطالةِ شهورُه وأعوامُه ،
وآثَرَ شهوتَه على خِدمةِ ربِّه إلى أن ذهبت ساعاتُه وأيّامُه ،
فيا سَعادَةَ من قُبِلت منه فى شهرِه الأعمال !
ويا شَقاوةَ من فَرَّطَ فى صِيامِه بالإهمال !

* * *

اللهـــمَّ : أعتِقنا من النار ،
وأسكِنّا الجنةَ : دارَ القرار ،
واجعلنا من أوليائكَ الأبرار ،
واغفر لنا جميعَ الذنوبِ والأوزار ،
واغفر - اللهم - لنا ولوالدينا ، ولجميع المسلمين ،
الأحياء منهم والميّتين ،
برحمتك يا أرحم الرّاحمين .
وصلّى اللهُ على محمد وآلِه وصحبه أجمعين .

﴿ الفصل الثامن :
فيما يحرم على الصائم وغيره ﴾

الحمدُ لله : الذى يُحيينا بعْدَ مَماتِنا ،
وتكفَّلَ بأرزاقِنا وأقواتِنا ،
وأمرنا بتوحيده فى جميع أوقاتنا ..
أحمدُه تعالى ، وهو المحمودُ على جميع حالاتِنا ..
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له :
إلٰهٌ : يعلمُ ما نحنُ عليه من أسرارِنا ونيّاتِنا ..
وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبده ورسولُه ،
الذى لم يزل حريصًا على نجاتِنا ..
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه الذين هم عمدتُنا وقادتُنا ،
وسلم تسليما كثيرًا .

* * *

اِعلموا ـ رحِمَكم اللهُ ـ أنه لا يتمُّ التقرُّبُ إلى الله ،
إلا بتركِ ما حرَّمَ اللهُ عَلَى الصّائم وغيره ،
فى كل حالٍ من الكَذِبِ والظُّلمِ والعُدوانِ على النّاسِ
فى دِمائِهم وأموالِهم وأعراضِهم .
فهذه الأمورُ حرامٌ ، وفى حَقِّ الصّائمِ أشدُّ حُرمةً .

ولهذا قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ لم يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ والعَمَـــلَ به ؛
فليس لِلّهِ حاجةٌ فى أن يَدَعَ طعامَه وشرابَه . »
(أخرجه البخاريُّ)

وفى حديث آخرَ :

« ليس الصِّيامُ من الطعامِ والشراب .
إنما الصيامُ من اللَّغْوِ والرفثِ » .

قال أبو موسى المدينى : على شرط مسلم .

وقال جابرٌ : (إذا صُمْتَ فليصُمْ سَمْعُكَ وَبَصَرُكَ ؛ وَلِسانُكَ
عن الكذبِ والغِيبَةِ والمحارِمِ ، ودَعْ أذى الجارِ ؛
وليكُنْ عليكَ وقارٌ وسكينةٌ يومَ صَوْمِك ..
ولا تجعلْ يَوْمَ صَومكَ ويومَ فِطْرِكَ سَواءً ...

(شعرًا) :

إذا لم يكُنْ فى السَّـــمْعِ مِنِّى تَصاوُنٌ
وفى بَصَرِى غَضٌّ وَفِى مَنْطِقِى صَمْتُ
فحظِّى إذًا من صَوْمِىَ الجوعُ والظَّمَا
فإن قلتُ : إنى صمتُ يَومى ، فما صمتُ

وقال النبيُّ صلى الله عليه وسلم :

« رُبَّ صائمٍ ، حظُّه من صيامِه : الجوعُ والعطش ..
ورُبَّ قائمٍ ، حظُّه من قِيامِه : السَّهَر . »

وسرُّ هذا أن التقرُّبَ إلى اللهِ بتركِ المُباحات ،
لا يكملُ إلا بتركِ المُحَرَّمات .

ومن آداب الصيامِ :

أن تصومَ الجوارحُ عما حرَّمَ الله عليها ،
فتصومَ الأذنُ عن الاستماع لِلَّغوِ والكذب والغِيبَةِ والنميمةِ ،
وتصومَ العينُ عن النظرِ الحرامِ وما حظر الشرعُ
النظَرَ إليه : كالنساء الأجنبياتِ والمُرْدان ..

فَزِنا العينِ : النظرُ ، وهو سهمٌ مسمومٌ من سهامِ إبليس ،
ويصومَ اللِّسانُ عن الكلامِ القبيح ، كما تقدم ..

ومن آداب الصيامِ :

تأخيرُ السحور ، وتعجيلُ الفطورِ إذا تُحُقِّقَ الغُروبُ ،
وكثرةُ قراءةِ القرآن العزيز .

عِبادَ اللهِ : قد مضى عليكم شهورٌ من الزمان .
ولعلَّ أكثرها ذَهَبَ فى العِصيان !..
وها أنتم اليومَ فى شهرِ رمضان ،
وهو : شهرُ الإعتاقِ من النِّيران ،
لمن تركَ الذنوب واستحيا من رقيبه .
[الصَّوْمُ لى ، وأنا الذى أجْزِى به] .
شهرٌ يتمُّ فيه الإسعادُ والتَّكريم ، ويتفضَّلُ بجزيلِ الإنعامِ
الملكُ الكريم ، ويُصَفَّدُ فيه كُلُّ شيطانٍ رجيم ،

ويُعافَى فيه مريضُ الخطايا السَّقيم ، إذا امْتَثَلَ أمْرَ طبيبه .
[الصَّوْم لى ، وأنا الذى أجْزِى به] .
إخوانى : اجْتَنِبوا أكلَ الحرامِ ، فإنّه سببُ الطَّرْدِ والهجر ..
واحذروا غِيبةَ الناسِ ، فإنها تُحبِطُ الأجر ..
وعَظِّموا شهرَكم ، فإنَّهُ عظيمُ الأمر .
وانتظِروا فيه ـ بحُسن اليقظةِ ـ لَيْلَةَ القدر .

عِبادَ اللهِ : إياكم وفُضولَ الكلام ،
واجتهدوا فيه فى الصَّلاةِ والصيام .
واعلموا أنه ما صامَ من ظَلَّ يأكلُ لُحومَ الأنام .
ولا قامَ مَن جَسَدُه مع القائمينَ ، وقلبُه مع النِّيام .
فقوموا ـ عِبـــادَ الله ـ فى هذا الشهرِ
ـ إذْ نَزَلَ فيكم ضَيْفًا ـ بِواجِبِ الإكرام ؛
عساهُ يقيكم شَرَّ الوُقوف على الأقدام .
وتدرَّعـــوا تقوَى اللهِ والورع ،
ولازموا الحَذَرَ قبلَ يومِ الفزع ،
وراقِبُوا اللهَ ، فبَيْنَ أيديكم هولُ المُطَّلَع ..
وتعرَّضوا لنفحاتِ ربِّكم لعله يمنحُكم أفضلَ المِنَحِ
وأحسنَ الخِلَع ، فى دار جزائه وثوابه .
فيومَ القيامةِ يبرأُ القريبُ من قريبه ،
والحبيبُ من حبيبـــه ! ..

فقد قال مولاكُمْ فى حَضِّهِ على الصِّيام وترغيبه :

[الصَّوْمُ لى ، وأنا الذى أجْزِى به]

(شعراً) :

تزوَّد قرينًا من فِعالِك ، إنَّمـا
قرينُ الفتىٰ فى القَـبرِ : ما كانَ يفعَلُ
فإن كنتَ مشغولًا بشىء ، فلا تـكُن
بغير الذى يرضَى به اللهُ تَشْـغَلُ
فلَن يَصْحَبَ الإنسانَ بعـد مَماتِه
إلى قـبره إلَّا الذى كان يَعْمَلُ
ألا إنما الإنسانُ ضَيْفٌ لأهـلِه
يُقيمُ قليلًا عنـدهم ثم يَرْحَـلُ

اللهُمَّ : احْمِنا من المُخالفةِ والعِصيان .

واصْرِف عنا آفاتِ التَّفْريط والنِّسيان .

واجعل مآلَنا إلى فسـيحِ الجِنان .

وأعِذْنا من دارِ الخِزْى والهوان .

اللهُمَّ : هَبْ لنا ما وهبتَه لعبادِكَ الأخيار ،

وانظِمْنا فى سِلْك المُقرَّبين الأبرار ، برحمتك يا عزيزُ يا غفَّار .

واغفرِ - اللَّهُمَّ - لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين :

الأحياء منهم والمَيِّتين ، برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآلِه وصحبه أجمعين .

﴿ الفصل التاسع :
فى آداب الصيام وفوائده ﴾

الحمدُ للهِ الذى خَلقَ الخلقَ من تُراب ،
وفاوتَ بينهم فى العلومِ والعقُولِ والآداب .
قسَّمَ خَلقَه إلى تَقِىٍّ أوَّاب ، وفاجِرٍ كذاب .
كَشَفَ عن أبصارِ بصائرِ أوليائه الحِجاب ،
وأشهدهم ما خَفِىَ عن غيرهم وغاب ،
فهم فى الدَّلالةِ للخلقِ على الباب ،
وشَغَلَ الجَهَلَةَ بالطعامِ والشراب ،
فَهُمْ فى نَيْلِ الحُطامِ بين مجىءٍ وذهاب ؛
لا يُبالونَ ما أخَذُوهُ من حلالٍ أو حرامٍ بأىِّ اكتِساب ،
يَعْمُرون بالشهواتِ أجسامَهُم ، والقلوبُ فى خَراب ،
فإذا عاينوا تفريطَهُم عند الموت بانَ المُرْتاب ،
﴿ ورأوا العذابَ وتقطَّعَت بهمُ الأسباب ﴾ .
أحمده حمدًا يفُوقُ العدَّ والحساب ،
وأشكره على نِعَمٍ هو المتفضِّلُ بها والوهاب ،
وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له العزِيزُ التواب ،
وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله :
أشرف الخلقِ ، وسَيِّد الحضَرِ والأعراب ،

صلى الله عليه وعلى آله وصحبه البررةِ الأنجاب ،
وسلم تسـليماً كثيراً .

اِعلموا ـ رحِمَكم اللهُ ـ أنه يَجبُ على الصَّائِمِ إذا صامَ :
أن يتقيَ اللهَ ويَحفَظَ صِيامَهُ عما لا يليقُ من اللَّغوِ ،
والرَّفثِ والشَّتمِ والغِيبَةِ والنَّميمةِ والكذب .
فإن الله سبحانه وتعالى قال فى حقِّ الصَّائمِ :
[إنه تَرَكَ شهوَتَه وطَعامَهُ وشرابَهُ من أجلى] ..
وذلك أن الصائمَ يتقرَّبُ إلى اللهِ :
بتركِ ما تشتهيه نفسُه من الطعامِ والشراب والنِّكاح ،
وهذه أعظمُ شهواتِ النفسِ ،
وفى التقرُّب بتركها بالصيامِ فوائد ،
منها : كَسْرُ النفسِ ؛ فإن الشِّبَعَ والرِّىَّ ومُباشَرةَ النساء :
تحملُ النفسَ على الأشَرِ والبَطَرِ والغفلةِ ..
ومنها : تخلِّى القلبِ للفكرِ والذِّكرِ ؛
فإنَّ تناوُلَ هٰذِهِ الشهوات يُقَسِّى القلبَ ويُعْميه ،
ويَحولُ بين العبد وبينَ الذِّكرِ والفِكرِ ، ويستدعى الغفلة .
وخُلوُّ الباطنِ من الطعامِ والشرابِ ،
يُنَوِّرُ القلبَ ويُوجِب رِقَّتَه ،
ويُزيلُ قسوتَه ويُخلِيه للفِكرِ والذِّكرِ ..

ومنها : أن الغنىَّ يعرفُ نعمةَ اللهِ عليه ، بإقدارِه له
على ما منعه كثيرًا من الفقراء ، فيوجِبُ له ذلك :
شُكرَ نعمةِ اللهِ عليه ، ويدعوهُ إلى رحمةِ أخيه الفقير .
ومنها : أن الصيامَ يُضَيِّقُ مجارِيَ الدَّمِ التى هى :
مجارى الشيطان من ابن آدَمَ ؛
فإن الشيطان يجرى من ابن آدَمَ مجرَى الدَّمِ ؛
فبالصيام تنكسِرُ سَوْرةُ الشيطان وسَورةُ الشهوةِ والغضب ،
فهذه بعضُ فوائــد الصوم .

إخوانى : كم أُناسٍ صَلَّوْا معكم فى هذا الشهرِ التراويح ،
وأوْقدوا فى المساجدِ ـ طلباً للأجرِ ـ المصابيح .
اقتنصتهُم قَبْلَهُ المصائِدُ فقُهروا ، وأسَرَتهُم المصائِرُ فأُسِروا ،
ولم ينفعهم المالُ ولا الآمالُ لما قُبِروا ..
أدارت عليهم المَنونُ رَحاها ، وأحَلَّتْ وجُوهَهُم الثَّرَى فَمحاها ،
فأعدمتهُم صوماً وفِطْرا ، وزوَّدتُهم من الحَنوطِ عِطراً ،
وهٰذه حالُك يا من لا يَعقِلُ أمراً !..
فلِلّهِ دَرُّ أقوامٍ صاموا عن الشهوات ، وقاموا
فى الخلوات ، يُرَتِّلون القرآن ترتيلًا بقلوبٍ وجِلات ،
فلو رَأيتَهُم وقتَ السَّحَرِ : هذا يبكى ويُعَدِّد ،
وهذا يَقرأُ ويُرَدِّد ، وهذا قد التحَفَ بأحزانه ،
وهذا يبكى فيُمطِرُ سُيولًا من أجفانه !..

إخوانى : أين من إذا صامَ ، صان الصيام ؟!

وإذا قام ، استـــقامَ فى القِيام ؟!

أحسَنوا الإسلامَ ، ثم رحلوا بســـلام !..

ما بقِيَ إلا من إذا صامَ ، افتخَرَ بصيامِهِ وصال .

وإذا قامَ ، أعجبَ بقيامه وَمالَ !..

(شعراً) :

أما واللهِ : لو عَـــلِمَ الأنـــامُ

لِمـــا خُلِقُوا ، لَمـــا غفلوا وناموا

لقـــد خُلِقُوا ليوم لو رأتـــه

عيونُ قلوبهم ساحوا وهامـــوا

مماتٌ ثم نَشْرٌ ثم حشْرٌ وتوبيخٌ وأهوالٌ عِظامُ

ليومِ الحشرِ قد عملت أناسٌ فصلّوْا من مَخافتِه وصاموا

ونحنُ إذا أُمِرنا أو نُهينا كأهل الـكهفِ : أيقاظٌ نِيامُ

اللهُمَّ : أيقظنا من نوم الغفلة ، ووفِّقْنا لاغتنام أوقات المهلة :

اللهم : آنِسْنا إذا أُودِعنا الألحاد ،

ونسيناَ الأهل والمُوَّاد ، ولم يبقَ إلا عفوكَ يا جواد .

واغفر ـ اللهُمَّ ـ لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين :

الأحيـــاء منهم والميِّتين .

برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

﴿ الفصل العاشر :
فى فضل الجود فى شهر رمضان المبارك ﴾

الحمـــدُ للهِ الوليِّ الحميد ،
المُبْدِئِ المُعيد ، الفعّال لمـــا يريد .
أحاط بكل شىء علماً ، وهو على كل شىء شهيد .
وهو أقربُ إلى الإنسان من حَبْلِ الوريد .
أحمده سبحانه على فضلِه المَديد ،
وأشكره طالبًا بشكره المزيد .
وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له
ولا ضِـــدَّ ولا نَدِيد ،
شهادةَ نرجو بها النَّجاةَ من النَّارِ ذاتِ الوَقود ..
وأشهد أن سيدَنا ونَبِيَّنا محمدًا عبدُه ورسوله : خُلاصةُ العبيد .
اللهُمَّ : صلِّ وسلم على عبدك ورسولك محمد
وعلى آله وأصحابه ومن تبعهم من صالح العبيد .
وســـلم تسليماً كثيرًا .

فى الصحيحين عن ابن عباس رضى الله عنهما ، قال :
كان النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم أجودَ الناسِ .
وكان أجودَ ما يكونُ فى رمضان حين يلقاهُ جبريلُ ؛
فيُدارِسُـــه القرآن ..

وكان جبريلُ عليه السلامُ يلقاهُ كلَّ ليلةٍ من رمضان ،
فيُدارِسُه القرآن ـ فَلَرسولُ الله صلى الله عليه وسلم :
حين يلقاهُ جبريل : أجودُ بالخير من الرِّيح المرسلة .
(وأخرجه الإمام أحمد بزيادةٍ في آخره ،
وهي : « لا يُسأل عن شيء إلا أعطاه إياه » .)
والجودُ هو : سَعَةُ العطاء وكثرتُه .
والله تبارك وتعالى يُوصَفُ بالجودِ .

وفي الترمذي من حديث سعد بن أبي وقاصٍ
عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم :
« إنَّ اللهَ جوادٌ يُحِبُّ الجُودَ .
كريمٌ يحِبُّ الكرم . »

وفيه أيضاً من حديث أبي ذرٍّ رضي الله عنه ،
عن النبي صلى الله عليه وسلم فيما يرويه عن ربِّه تعالى أنه قال :
[يا عبادي : لوْ أنَّ أوَّلَكم وآخِرَكم ، وحَيَّكُم ومَيِّتَكم ،
ورَطْبَكم ويابِسَكُم ـ اجتمعوا في صعيد واحدٍ ؛
فسأل كُلُّ إنسانٍ منكم ما بلغتْ أُمنِيَّتُه ؛
فأعطيتُ كل سائلٍ منكم ما سأل ؛
ما نقص ذلك من مُلْكِي : إلا كما لو أنَّ أحدَكُم
مَرَّ بالبحرِ ، فغمسَ فيه إبرةً ثم رفعها إليه .

ذلك أنى جوادٌ واجِدٌ ماجِدٌ ، أفعلُ ما أُريد .

عطائى : كلامٌ .. وعذابى : كلام .

إنّما أمْرِى إذا أَرَدْتُ شيئًا أن أقولَ له : كُنْ ، فيكون] .

وفى الصحيحين عن أنسٍ رضى الله عنه ، قال :

(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم :

أحسنَ الناس ، وأشجعَ الناس ، وأجودَ الناس .

وكان جودُه صلى الله عليه وسلم بجميع أنواع الجودِ :

مِنْ بذلِ العلمِ والمالِ ، وبذلِ نفسِهِ لِلّهِ تعالى فى إظهار دِينِه ،

وهِداية عبادِه ، وإيصال النفع إليهم بكُلِّ طريق : مِن إطعام

جائعِهم ، ووعظِ جاهِلِهم ، وقضاء حوائجِهم ، وتَحَمُّلِ أثقالِهم .

ولم يزل صلى الله عليه وسلم على هذه الخِصالِ مُنْذُ نشأ ،

ثم تزايدت هذه الخِصالُ فيه بعد البعثةِ ،

وتضاعفت أضعافًا كثيرة) .

* * *

فينبغى للإنسان أن يتأسّى بِنَبِيِّه صلى الله عليه وسلم ،

ويتصدّق بما يقدِرُ عليه لِيُواسِيَ الفقراء وأهلَ الحاجةِ .

فإن اللهَ كريمٌ يُحِبُّ الكريمَ من خلقِه :

جَوَّادٌ يحبُّ أهـــلَ الجودِ .

والبخلُ لا يزيدُ فى الرزق ؛ فإن البخيلَ : بعيدٌ من اللهِ ،

بعيدٌ من خلقِه ، بعيدٌ من الجنةِ ، قريبٌ من النار .

والسَّخِيُّ : قريبٌ من اللهِ ، قريبٌ من خلقِه ،
قريبٌ من الجنةِ ، بعيد من النار .
فجودُ الرَّجُلِ : يُحَبِّبُه إلى أضداده ..
وبُخْلُه : يُبَغِّضُـــه إلى أولادِه .

* * *

يا من زمانُه ينقضى فى طلب الأهواء والأغراض !..
يا غافِلًا عن سِهامِ الموتِ الحِدادِ المَواضِ !..
يا مُغترًّا بِطُولِ أمَلِه ، وأيدى المنايا
فى أجَـــلِه تقرِضُه بمقراض !..
يا مغرورًا بصحةِ بَدَنِه وعمرُه كُلَّ يوم فى انتقاض !..
يا بعيدَ الأمل وعمرُه كُلَّ يوم فى انقراض !..
يا غافِلًا عن إعدادِ زادِ رَحيـــلِه ،
وقد أَنذرَهُ بَعْدَ السَّوادِ البَياض .
يا ضاحِكًا وعُيونُ المَنايا عنهُ غيرُ غِماض .
يا مُتَحَيِّرًا فى طريقِه ، وهو يرى الراحِلين :
ماضِـــيًا خَلْفَ ماض .
يا من أنذره القرآن ، وراضتْه السُّنَنُ
فما انتَـــذَرَ ولا ارْتاض .
عَجَبًا لِمَن هذه الشدائدُ بين يَديْه :
كيف يقدِرُ جفنُه على الإغْماض ؟ !

عِبادَ اللهِ : ما هذا الإكبابُ على الغفلاتِ ، والأمرُ واضِح ؟ !
وما هذا التطامُحُ ، وقد أسمَعَ الناصح ؟!
وما هذا الرُّقادُ ، وقد صاحَ بكم الصَّائح ؟ !
ستعلمونَ إذا نزل بكم الخطبُ العظيمُ الفادِح ،
ونُقِلْتُمْ إلى بُطونِ الضَّرائِح ،
وتَبَيَّنَ لَكُم الخاسِرُ من الرَّابح !..

* * *

اللهُمَّ : اجعلنا من المقبولين فى هذا الشهر الفضيل ..
وخُصَّنا فيه بالأجر الوافرِ والعطاء الجزيل ..
واغفر لنا فيه كُلَّ ذنبٍ عظيم ،
وخَفِّفْ ظُهورَنا من كلِّ وِزْرٍ ثقيل .
وتقبَّل فيه يسيرَ أعمالنا ، فإنك تقبل العملَ القليل .
واغفر - اللهم - لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين :
الأحيـــاء منهم والميِّتين .
برحمتك يا أرحم الراحمين .
وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

﴿ الفصل الحادى عشر :
فى جُودِهِ صلى الله عليه وسلم فى رمضان ﴾

الحمد لله الذى أرسَلَ محمدًا بالحقِّ بشيرًا ونذيرًا ..
وداعيًا إلى الله بإذْنِهِ وسِراجًا مُنيرًا ..
واختاره من جميع خلقه : صغيرًا وكبيرا ..
فأشرقت الأرضُ بنورِ رسالته : برًّا وبحرًا ..
وكان ربُّكَ مُحسناً قديرا ..
فسبحانَ من اختصَّ بالتوفيقِ والهدايةِ
مَن شاء من عباده : مَنًّا منه وتيسيرًا .
وحَكَمَ على من شاء بالحرمانِ ؛ فكانَ حَظُّه نُفورًا وتنفيرا .
أحمدُه سبحانه إذْ هدانا للإسلامِ : كرمًا منه وإحْساناً ،
ولم يزل سُبحانه بالإحسانِ جديرًا ..
وأشكره إذ أَسْبَلَ علينا من سحائبِ كرمِه وابِلًا غزيرًا ..
وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ : وحده لا شريك له ـ
شهادةَ مَنْ نزَّه مولاهُ عن الشِّرْكِ وكبَّره تكبيرًا .
وأشهد أنَّ سيدنا محمدًا عبده ورسوله :
أرسله إلى جميع الثَّقلين بشيرًا ونذيرًا .
صلى اللهُ عليه وعلى آله وأصحابه ومن كان له على الحقِّ ظهيرا .
وسلم تسليماً كثيرًا .

* * *

اِعلموا ـ رحمكمُ اللهُ ـ أن جُودَ نبيِّكم صلى اللهُ عليه وسلم
كان يتضاعفُ فى رمضان . وفى ذلك فوائد ،
منها : شرفُ الزمانِ ، ومُضاعفَةُ أجرِ العملِ فيه .
ففى الترمذى عن أنسٍ مرفوعاً :
« أفضلُ الصدقةِ : صدقةٌ فى رمضان » .

ومنها : إعانةُ الصائمين والقائمين والذاكرين على طاعتِهم .
فيستوجبُ المُعِينُ لهم مثلَ أُجُورِهم .
كما أنَّ من جَهَّزَ غازياً فقد غزا ،
ومن خَلَفَه فى أهلِه فقد غزا .

وفى حديث زيدِ بن خالد عن النبى صلى الله عليه وسلم ، قال :
« مَنْ فطَّرَ صائماً ، فلَهُ مِثْلُ أجرِه ،
من غير أن يُنقص من أجر الصَّائمِ شىء . »
(أخرجه أحمد)

وتقدَّم حديثُ سلمانَ وفيه :
« وهو شهرُ المُواساة ، وشهرٌ يُزادُ فيه برزق المؤمن .
من فطَّرَ صائماً فيه : كان مغفرةً لذنوبه وعتق رقبتِه من النار .
وكان له مِثلُ أجرِه من غير أن يُنقَصَ من أجره شىء . »
قالوا يا رسولَ اللهِ : ليس كُلُّنا يجدُ ما يُفطِّرُ الصَّائمَ !..

قال : « يُعطى اللهُ هذا الثوابَ لمن فطَّر صائماً ،
على مَذقةِ لبنٍ أو تمرةٍ أو شربةِ ماء .
ومَن سَقَى فيه صائمًا : سقاهُ اللهُ من حَوْضِى شربةً ،
لا يظمأُ بعـــدها حتى يدخُلَ الجنَّة .
ومنها : أن شهرَ رمضان شهرٌ يجودُ اللهُ فيه على عِبادِه ،
بالرحمةِ والمغفرةِ والعِتقِ من النار .
واللهُ تعالى يَرحمُ من عباده الرُّحَماءَ .
فمن جادَ على عبادِ اللهِ ، جادَ اللهُ عليه .
وكان جُودُهُ صلى الله عليه وسلم كُلُّه لِلهِ ، وفى ابتغاء مَرْضاتِه .
فإنه كان يبذُل المالَ إمَّا لِفقيرٍ أو محتاج ، أو يُنفِقُه فى سبيل اللهِ ،
أو يَتألَّفُ به على الإسلامِ مَن يَقْوَى الإسلامُ بإسلامه .
وكان صلى الله عليه وسلم يُؤثِرُ على نفسِه وأهلِه وأولادِه ،
فيُعطى عطاءً تعجزُ عنهُ الملوكُ مِثْلُ كِسرى وقيصرُ ،
ويعيشُ فى نفسِه عيشَ الفقراء ؛ فيأتى عليه الشهرُ والشهران :
لا يُوقدُ فى بيتِه نارٌ ؛ وربَّما رَبطَ على بطنِه الحَجَر من الجوع !..
وقد قال بعض الشعراء يَمْتَدِحُ بعض الأجواد ،
ولا يصلح ذلك أن يكون إلَّا لرسول الله
صلى الله عليه وسلم ..

(شعرًا) :

تعوَّدَ بَسْطَ الكفِّ حتى لوَ أنه
ثناها لقبضٍ لم تُجِبْهُ أنامِلُه
تراهُ - إذا ما جِئْتَه - مُتهلِّلا
كأنك تُعطيه الذى أنت سائلُه
هُو البحرُ من أى النَّواحِى أتيتَه
فَلُجَّتُه : المعروفُ ، والجودُ : ساحِلُه
ولو لم يكن فى كفِّه غير رُوحِه
لجادَ بها ، فلْيَتَّقِ اللهَ سائِلُه

فسبحان من اختصَّ هذا النبىَّ بالأخلاق الجميلة ،
والأفعالِ الحسنةِ المُستقيمة ، والعطايا الوافِرَةِ الجسيمة .

إخوانى : اُنظروا إلى ما خصَّكُم اللهُ به من الإنعام والإكرام ،
وحبَاكُم به من العَطايا الجِسام .
وشرَّفكُم بنبىِّ الرَّحمةِ ورسولِ الهُدى ،
وأنقذكم ببرَكَتِه من الرَّدَى .
فاستدرِكوا - رحمكمُ اللهُ - مَوَاسِمَ العُمرِ ؛
فحادِى الموتِ بالرَّحيلِ قد حدا ،
واغتنِموا ليلةَ القدرِ لعلكم أن تُكتبوا فى ديوانِ السُّعدا .
فإنها ليلةٌ تفُوقُ لَيالِىَ الدَّهر .
وهى ليلةٌ : خيرٌ من ألف شهر .

عِبادَ اللهِ : متىٰ يُغفر لمن لم يُغفر له فى رمضان ؟!..
متىٰ يُقْبَلُ مَنْ رُدَّ فى ليلةِ القدرِ وما فيها من الغُفران ؟!.
متىٰ يُزْلَفُ من رُمِيَ فيه بالإبعادِ والحِرمان ؟!..
متىٰ يُشْفَىٰ قلبٌ لم تَشْفِهِ آياتُ القُرآن ؟!..
يا لها خسارةً لا تُشْبِهُ الخُسران :
أن ترى المُحسنين قد حَظُوا بالقُرْب والزُّلْفَى والرِّضوان ؛
وأُزْلِفَت لهم الجنَّاتُ وأُلْبِسُوا التِّيجان ؛
وأُعطوا المُلْكَ والخُلد وأُدخِلوا على الرحمٰن !..
وأنت قد رُمِيتَ بالطردِ والإبعادِ والحِرمان ،
تُغَلُّ وتُجَرُّ إلى النِّيران !.. أترى قلبَكَ هذا نائمًا أم يقظان ؟
قُم على أقدامِ الذُّلِّ وقت السَّحَرِ ، فللرحمةِ مع السَّحَرِ شان ؛
ونادِ فى نادِى الذُّلِّ : يا صاحِبَ الإحسان ...

اللهُمَّ : أجِرْنا من عذابِك ، وأَمِّنَّا من عِقابِكَ ،
وهَبْ لنا ما وهبْتَه لأحبابك ، وانقُلنا من التفريط والغفلةِ ،
إلى فسيح جنابِكَ . ولا تطرُدنا يا مولانا عن بابِك .
ولا تُعذِّبنا بأليم حِجابِك .. واغفر اللهم لنا ولوالدينا ،
ولجميع المسلمين : الأحياء منهم والميتين ـ
برحمتك يا أرحم الراحمين .
وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

﴿ الفصل الثانى عشر :
فى ذكرِ العشرِ الأواسطِ من شهر رمضان المبارك ﴾

الحمدُ لله الذى جادَ على أوليائه بإسعادِه ؛
وبَيَّنَ لهم طريق الهُدى بفضلِه وإرشاده ،
وأجرى البَرايا على وَفْق مشيئَتِه ومُرادِه ،
واطَّلع على سِرِّ العبدِ وقلبِه وفُؤاده .
أحمدُه حمدَ عبدٍ مُعْترف له بإنشائه وإيجادِه ،
وأشكره وقد وعَدَ الشاكرين من فضلِه الزِّيادة .
وأشهد أن لا إلهَ إلا الله وحده لا شريك له ـ
شهادةً تجلو قلبَ قائِلِها من رَيْنِ سوادِه .
وأشهد أن سيدنا محمداً عبده ورسوله وخيرتَهُ من جميع عباده .
صلى اللهُ عليه ـ وعلى آله وأصحابه وأحفادِه ـ وسلم تسليما .

* * *

فى الصحيحين عن أبى سعيد الخدرى رضى الله عنه ، قال :
كان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم يعتكفُ
العشرَ الأواسطَ من رمضان .. فاعتكف عامًا ،
حتى إذا كانت ليلة إحدى وعشرين ،
وهى الليلة التى يخرج فى صبيحتها من اعتكافِه ، قال :

« من كان اعتكف معى فليعتكف العشرَ الأواخرَ .
وقد أُريتُ هذه الليلة ، ثم أُنسيتُها . .
وقد رأيتُنِي أسجد - فى صبيحتها - فى ماءٍ وطينٍ . »
فهذا يدلُّ على أنه اعتكفَ العشرَ الأواسط
من شهر رمضان ، لابتغاء ليلةِ القدرِ فيها ،
قَبْلَ أن يَتَبَيَّن له أنها فى العشرِ الأواخرِ .
ثم لما تبيَّن له أنها فى العشرِ الأواخرِ ،
اعتكف العشرَ الأواخرَ حتى توفاه الله .
وقال صلى الله عليه وسلم فى فضلِ شهر رمضان :
« وهو شهرٌ أوَّلُه رحمةٌ ، وأوسَطُه مغفرة ،
وآخِرُه عِتقٌ من النار » .
فالغالبُ على أوسَطِه المغفرة ؛ فيُغْفَر فيه للصَّائمين ،
وإن ارتكبوا بعضَ الذُّنوب الصِّغار ،
فلا يمنعُهم ذلك من المغفرة . كما قال تعالى :
﴿ وإنّ ربَّكَ لَذُو مغفرةٍ للناسِ على ظُلمِهم ﴾ .
فينبغى للإنسانِ أن يطلُبَ أسبابَ المغفرة .
فيا إخوانى : إنه قد مضى من شهرِكُم عَشْرُه الأوَّل .
وها أنتم فى أوسَطِه ؛ فاحذروا من الزَّيْغ والزَّلل ،
وتصدَّقوا يُضاعِفِ اللهُ لكم العمل ،
ويقِيكُم هَوْلَ الوُقوفِ وما فيه من الخجل .

فيا من بُلِيَ بالطردِ والإبعـــاد ..
يا من حُرِمَ لذاذةَ الوَصْـــلِ والوِداد :
أتُبارِزُ بالقبيح مَن عاملك بالجميـــل ؟!..
أتُجاهِرُ بالعصيانِ مَن غمرك بفضلِه الجزيل ؟!..
أترضىٰ بالبعادِ بدلًا عن الوِدادِ ؟! فبئس البديل !..
أرضيتُم بالحياةِ الدنيا من الآخرة ؛
فما متاعُ الحيـــاة الدنيا فى الآخرة إلا قليل !..

إخوانى : هل يستوى الجاهِلُ والعالم ؟!..
هل يستوى الهالِكُ والسّالم ؟!..
هل يستوى الغائِبُ والحاضر ؟!..
هـــل يستوى الغافلُ والذاكِر ؟!..
هل يستوِى من رُبِطَ بِقَيْدِ الخذْلان ،
ووُسِمَ بِوَسْمِ الهجران ، وحُبس فى سِجنِ الحرمان ،
بِمَن هو فى نعيم الرِّضوان ، قد ظهرت عليه أنوارُ الإيمان ؟!
تاللهِ إنهما لا يستويان !.. ولا يجتمعان !..
هل يستوى مَنْ أبعدناه وحجَبْناه ،
بِمَن أخـــذْنا بيديه وقرَّبناه ؟!..
فيا هذا : لقد كانت أحوالُ الخائفين من النارِ تنوَّع ،
وقُلوبُهم من خشيةِ اللهِ تكادُ تقطَّع .

وقد ورد عن ابن عباسٍ رضى الله عنهما فى قوله تعالى :

﴿ وطعامًا ذا غُصَّةٍ ﴾ .

قال : هو شوكٌ يأخُذ بالحَلْقِ لا يدخُلُ ولا يخرج .

وقد وردَ : أن الزَّانىَ

- يومَ القيـــامةِ - يشهدُ عليه فخذُه ..

وكذلك الجوارحُ تشهدُ على العبدِ بما عمل -

وذلك أنَّ الله يختِمُ على فِيهِ ؛ فتخونُه الجوارحُ ،

بشهادتها عليه بمـــا عمِلَتْ !..

فنسألُ اللهَ تبارك وتعـــالى :

أن يلطُف بنا ، وأن يرحَمَ ضعْفَنا ..

وأن لا يُعامِلَنا بعدلِه ، وأن يستُرَ علينا ؛

ولا يَفْضَحَنا يوم القيامةِ بقبائِـحِ أفعالِنـــا .

اللَّهُمّ : تُبْ علينا إنَّكَ أنت التَّوَّابُ الرحيم .

وجُد علينا إنكَ أنت الجوَّادُ الكريم .

واغفر - اللَّهُمَّ - لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين :

الأحيـاء منهم والميِّتين .

برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه وسلم .

﴿ الفصل الثالث عشر :

فى فَضْلِ تِلاوَةِ القرآنِ العَزيز ﴾

الحمد لله الملكِ العَلَّام ، القُدُّوسِ السَّلام ،

المُحيطِ عِلْمُه بالخاصِّ والعامّ ..

تعالى عن دَرْكِ الظُّنون وخواطِرِ الأوهام ..

لا تُغيِّرُهُ الدُّهورُ والأعوام ..

حَكَمَ فعَدَلَ ، وإليه تُرْجَعُ الأحكام ..

أحمده سبحانه على نِعَمِه الجِسام ،

وأشكره على ما أولاهُ من جزيلِ الفضلِ والإنعام ..

وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له ،

المُنْفَـــرِدُ بالبقـــاءِ والدَّوامِ ـ

شهادةَ نرجو بها السلامةَ يوم القُدوم عليه ، فهو المُسَلِّمُ والسلام .

وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسولُه :

أشرفُ مُرْسَلٍ وأكْملُ إمام .

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه البرَرَةِ الـكرام ،

وسلم تسليما كثيراً .

قال الله تعالى : ﴿ لو أنزلنا هذا القرآنَ على جَبَلٍ

لرأيْتَه خاشِعًا مُتَصدِّعًا من خشيةِ اللهِ ،

وتِلْكَ الأمثالُ نَضْرِبُها للناسِ لَعَلَّهُمْ يتفَـكَّرون ﴾ .

يُخبِرُ تعالى عن عَظَمَةِ القرآنِ وفضلِه وجَلالِه ،
وأنه لو خُوطِبَ به صُمُّ الجبالِ لتصدَّعت من خشيةِ الله .
فهذه حالُ الجبالِ وهى الحجارةُ الصَّلبةُ ، وهذه رقَّتُها
وخشيتُها وتدكْدُكُها من جَلالِ ربِّها وعظمتِه وخشيتِه !..
فيا عجبًا من مُضغَةِ لحمٍ كانت أقسى من هذه الجبال
تُخوَّفُ من سطوةِ الجبَّارِ وبطشِه ، فلا ترعوى ولا ترتدع .
وتسمعُ آياتِ اللهِ تُتلى عليها ، فلا تلينُ ولا تخشع .
فيا أيها الغافِلُ عن تدبُّرِ القرآن : إلى متى هذه الغفلة ؟ قُل لى
وتكلَّم !.. حنانيكَ ، بادر بصالحِ الأعمالِ قبل أن تندم .
واعلموا ـ رحمكُم اللهُ ـ أن شهرَ رمضان
له خُصوصيةٌ بالقرآن كما قال تبارك وتعالى :
﴿ شهرُ رمضان الذى أُنزلَ فيه القُرْآن.. ﴾
وأخرج الإمامُ أحمد من حديث بُريدةَ رضى الله عنه
مرفوعاً : « أن القرآن يلقىٰ صاحِبَه يومَ القيامةِ
ـ حين ينشقُّ عنه القبرُ ـ كالرَّجُلِ الشاحِبِ ،
فيقولُ : هل تعرفنى ؟.. أنا صاحِبُكَ الذى أظمأتُكَ بالهواجرِ
وأسهرتُ ليْلَكَ . وكُلُّ تاجِرٍ من وراءِ تجارتِه ..
فيُعطَى الملكَ بيمينه والخُلْدَ بشِمالِه . ويُوضعُ على رأسِه
تاجُ الوقارِ .. ثم يُقالُ له : اِقْرَأْ وارْقَ فى دَرَجِ الجنةِ وغُرَفِها ؛
فهو فى صُعُودٍ ما دامَ يقرأ : هذًّا كان أو ترتيلا . »

وفى حديث عبادة بن الصَّامتِ الطويلِ :

أن القرآن يأتى صاحبَه فى القبرِ فيقول له : (أنا الذى كنتُ أُسهِر ليلَك وأُظمئُ نهارَكَ . وأمنعكَ شهواتِكَ ، وسمعَك وبَصرَكَ . فستجِدُنى من الأخِلّاءِ خليلَ صِدْقٍ) .

ثم يصعَدُ فيسألُ له فِراشاً ودِثارًا ؛ فيُؤْمَرُ له بفِراشٍ من الجنةِ ، وقِنديلٍ من الجنةِ ، وياسمين من الجنةِ .

ثم يَدفَعُ القرآنُ فى قِبْلةِ القبرِ ، فيوسَّعُ عليه ما شاءَ اللهُ من ذلك » .

فيا من يُعاتِبُه القرآنُ وقلبُه غافِل ،

وتُناجِيه الآيات وفهمُه ذاهِل !..

يا مشغولا عما ينفعُه ، وبما يضُرُّه مُتشاغِل !..

يا مُعْرِضاً عن تدبُّرِ القرآن ، وقلبُه جائِلٌ فى المَزابِل .

تاللهِ ، لو ذُقتَ لذَّةَ حلاوتِه لهجرتَ الشواغِل !..

ولٰـكنك أُغْرِيت بما يفنىٰ ، فضَلَلْتَ يا جاهل !..

فسيبينُ لك الخسرانُ عن قلائِل !..

فاستَدْرِكْ ما فاتَ فالعُمر زائل !..

ويوشكُ أنَّ سفينتَه قد رسَتْ بالساحل !..

وقد آن سفرُك للآخِرةِ ، ولا زادَ ولا رَواحِل !..

إن وَعدتَ بالتَّوبةِ ، فوَعْدُ مُماطِل !..

وإن لاحت لك الشهواتُ : وَثَبتَ وُثوبَ لَيثٍ صائِل !..

وتمرُّ بكَ أوقاتُ الوسائل والفضائل .

وأنت فى لهوكَ مُتباطِئٌ مُتثاقِل !..

أفترى يرضى بمثل صنيعكَ عاقل ؟!.. (شعرا) :

واظِبْ على درسِ الكتابِ فإنه
يُلينُ قلباً قاسياً مثلَ جَلمد

وحافِظْ على فعلِ الفُروض بِوَقتِها
وخُذْ بنصيبٍ من الدُّجى مِن تَهجُّد

ونادِ فى الليلِ إذا ما قُمتَ سامِعاً
قريباً مُجيباً بالفواضِلِ يبتدى

ومُدَّ إليه كَفَّ فقرِكَ ضارِعاً
بقلبٍ مُنيبٍ ، وادعُ تعط وترشَد

فَعَينٌ بكَتْ من خشيةِ اللهِ حُرِّمت
على النارِ ، فى نصٍّ من الحديث المُسدَّدِ

اللهُمَّ : اقْسِمْ لنا من خشيتكَ ما تحُولُ به بيننا
وبين معاصيك ، ومن طاعتِكَ ما تبلُغُنا به جنَّتَكَ ،
ومن اليقينِ ما تُهوِّنُ به علينا مصائبَ الدُّنيا ،
برحمتك يا أرحمَ الرَّاحمين .

واغفر - اللَّهُمَّ - لنا ولوالدينا ولجميعِ المسلمين :
الأحياء منهم والميتين .. برحمتك يا أرحمَ الرَّاحمين ..

وصلى الله محمد وآله وصحبه أجمعين .

﴿ الفصل الرابع عشر :
فى التأدُّب مع القرآن العزيز ﴾

الحمد لله الذى نَزَّل الفُرقانَ على عبده :
ليكونَ للعالمينَ نذيرا ،
المُتوحِّدِ فى الجلال بكمال الجمالِ تعظيماً وتكبيراً ،
المُتفرِّدِ بتصريف الأحوالِ ،
على التفصيلِ والإجمالِ ، تقديراً وتدبيراً .
أطلعَ شمسَ الرسالةِ فى حنادِسِ الظُّلَمِ سِراجاً مُنيرا ،
وهدى بها مَن شاءَ من خلقه : مَنًّا منه وتيسيرا .
أحمدُه سبحانه حمْدَ من يعلَمُ أنه بالإحسانِ جديرٌ ،
وأشكره شُكرًا ننالُ به منه فضلًا كبيراً ،
وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له وأُكبِّره تكبيراً ،
وأشهَدُ أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ،
أرسله إلى جميع الثقلين بشيرًا ونذيرا ،
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ،
الذين أذهب اللهُ عنهم الرِّجْسَ وطَهَّرهم تطهيراً ،
وسلم تسليما كثيراً .

* * *

اِعلموا ـ رحمكم اللهُ ـ أن تلاوةَ القرآن لها فضلٌ عظيمٌ ،
واعلموا أنَّ المطلوبَ هو : القراءةُ بالتدبُّرِ ،
وأول ما يُؤمَرُ به القارئُ : الإخلاصُ فى قراءته ،
وأن يُريدَ بها وجْهَ اللهِ سُبحانَه ،
ولا يقصِد بها توصُّلًا إلى شىء سوى ذلك ،
وأن يتأدَّبَ مع القرآنِ بأن يقرأ : طاهِرًا ، مُستقبلَ القِبلةِ ،
ويستاكَ ـ إذا أرادَ القراءةَ ـ بالسِّواكِ وينظفَ فَمه ،
ويستحضرَ فى ذِهنِه أنه يُناجى اللهَ سبحانه وتعالى بكلامِه ،
فيقرأَ على حالِ من يرى اللهَ ، فإنه إن لمْ يَرَهُ فإن اللهَ يراه ،
ثم يستعيذَ بالله من الشيطان الرجيم .

قال الله تبارك وتعالى :

﴿ فإذا قرأتَ القرآنَ فاستَعِذْ باللهِ من الشيطانِ الرجيم ﴾ .

فإن إبليسَ اللَّعين إذا أرادَ العبدُ قِراءةَ القرآنِ :
أجْلَبَ عليه بخَيْلِه ورَجِلِه ليَشْغَلَه عن المقصود بالقرآن ،
وهو : تدبُّرُهُ ، وتفهُّمُه ، ومعرفةُ ما أرادَ به المتكلمُ سبحانه .

ويُكرهُ هَذُّ القِراءةِ من غيرِ تدبُّرٍ ،
ويُكرهُ أيضًا تمطِيطُ القراءةِ بالمُجاوزة إلى الألحانِ ،
وقد يكونُ ذلك حرامًا ، ولا ينبغى هَذْرَمَةُ القراءةِ ،
وهَذُّها من غير تدبرٍ ولا تفكير .

فعليكم ـ عباد الله ـ بتدبُّرِ كتابِه العزيز ، وتفهُّمِ معانيه ،
ولا يكن همُّ أحدِكم بالقراءةِ آخِرَ السُّورَةِ من غير تدبُّر .
قال ابن مسعود رضى الله عنه :
ينبغى لقارئ القرآنِ أن يُعرَف بِلَيْلِه إذا الناسُ نائمون ،
وبنهارِه إذا الناسُ يُفطِرون ، وببكائه إذا الناسُ يضحكون ،
وبِوَرَعِه إذا الناسُ يَخلِطون ، وبِصَمْتِه إذا الناسُ يخوضون ،
وبخشوعِه إذا الناسُ يختالون ، وبحُزنِه إذا الناسُ يفرحون .
ولا ينبغى لحامِلِ القرآن أن يكون جافِياً ،
ولا غافِلًا ، ولا سخَّاباً ، ولا صيَّاحاً ، ولا حديداً .
وينبغى تحسينُ الصوتِ بالقراءةِ ، فيقرأُ بترتيلٍ
وحَزَنٍ وتدبُّرٍ . هذه بعضُ آداب القراءةِ .
﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ، ومن أساء فعليها ،
وما ربُّكَ بظلَّامٍ للعبيد ﴾ .

عبادَ اللهِ : هذا شهرُ رمضانَ الذى أُنزل فيه القرآنُ ،
وفى بَقِيَّتِه للعابدين مُستمتَع ،
وهذا كتابُ اللهِ يُتلَى فيه بينَ أظهُرِكم ويُسمع ،
وهو القرآنُ الذى لو أُنزِلَ على جَبَلٍ لرأيتَه خاشِعاً يتصدَّع ..
ومع هذا ـ فلا قلبٌ يخشع ، ولا عينٌ تدمَعُ ،
ولا صيامٌ يُصانُ عن الحرامِ فينفع ،

ولا قِيامٌ استقامَ فيُرجَى لصاحبه أن يشفع !..

قُلوبٌ خَلَتْ من التقوى فهى خَرابٌ بَلْقَع ،

وترا كمتْ عليها ظُلمةُ الذُّنوبِ فهى لا تُبصِرُ ولا تَسمع !..

كم تُتلَى علينا آياتُ القرآنِ وقُلوبُنا كالحجارةِ أو أشدُّ قسوة ؟!

وكم يتوالَى علينا شهرُ رمضانَ وحالُنا فيه كحالِ أهْلِ الشِّقْوة :

لا الشَّابُّ منَّا ينتهى عن الصَّبوة ،

ولا الشيخُ يَنْزَجِرُ عن القبيحِ فيلتحِقَ بالصَّفوة !..

أين نحنُ من قومٍ إذا سمعوا داعِىَ اللهِ أجابوا الدَّعوة ،

وإذا تُليت عليهم آياتُ اللهِ وَجِلَت قلوبُهم وَجَلَتْها جَلْوَة ،

وإذا صاموا صامتْ منهم الألسنةُ والأسماعُ والأبصارُ ،

فما لنا فيهم أُسوَة . ؟ كم بيننا وبين حالِ

أهل الصَّفاء ؟... أبعدُ مما بيننا وبين الصفا والمرْوَة :

كلما حَسُنَتْ منا الأقوالُ ، ساءت الأعمالُ ،

فلا حولَ ولا قُوَّة إلا بالله العلىِّ العظيم .

اللَّهُمَّ : أيْقِظْنا من رقداتِ الغفلة ، ووفِّقْنا للتزوُّدِ

قبل النُّقلة ، وارزقنا اغتِنام الزمانِ وقتَ المُهْلَة ،

واغفر لنا ولوالدينا ، ولجميع المسلمين ، الأحياء منهم والميِّتين ،

برحمتك يا أرحم الرَّاحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

﴿ الفصل الخامس عشر :
فى بركة شهر رمضان على هذه الأمة ﴾

الحمدُ لله الذى أوجَدَ الخليقةَ من عَدَمٍ وأنشاها ،
وقامَ بأرزاقِها وكفاها ،
وأبانَ لها طريقَ رُشْدِها وهَداها ؛
ومَنَّ بفضلِه على خُلاصَةِ اصْطفاها ،
ولِقُربه وخِدمتِـــه ارتضاها ؛
فهى فى مراضيه تدأبُ ، وبطاعتِه تتباهىٰ ..
وحَـكم بالطردِ والإبعادِ على سِواها ؛
فهى فى ميادين الغفلات تلعبُ وبالشهوات تتلاهى .
أحمدُه سبحانه على نِعَمٍ لا تتناهىٰ ،
وأشكرهُ شكرَ من عرفَ نِقَمَه فرعاها .
وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له :
شهادةَ من عَرَف معنـــاها .
وعَمِلَ ظاهِرًا وباطِنًا بِمُقْتضاها .
وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله ـ
أرسله إلى أُمَّةٍ زادَ بالكُفرِ ضَناها .
صلى الله عليه وسلم وعلى آله وأصحابه : خير الأمةِ وأزكاها .
وسلم تسليماً كثيرًا .

قال اللهُ تبارك وتعالىٰ :

﴿ كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ،
تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللهِ ﴾ .

فَمَدَحَهُمُ اللهُ عز وجل بأنَّهُم : يأمرون بالمعروف ،
وينهونَ عن المُنكرِ ، ويؤمنون باللهِ تعالى .

ولهم فضلٌ عظيمٌ على غيرهم من الأُمَمِ ،
والمُرادُ بهم أُمَّةُ محمدٍ صلى الله عليه وسلم ،
فإنهم : خيرُ الأُمَمِ ، وأكرمُها على الله .

وجعل اللهُ نبيَّهُم أفضلَ الأنبياء ،
وكِتابَهُم خيرَ الكُتُبِ ومُهيمنًا عليها ..

وخصَّهمُ اللهُ بشهرِ رمضان ، وبلَيْلةِ القَدْرِ ،
وبزيادةِ مُضاعفةِ الأعمال ، إلى غير ذلك ...

وفيهم : العلماء ، والأحبار ، والزُّهَّادُ ، والأبدالُ ،
الذين لم يكن فى الأُمَمِ السَّالِفَةِ مِثْلُهم .

إخوانى : شهرُ رمضان يُزَوَّجُ فيه الصَّائمونَ .

فى الحديثِ : « إنَّ الجنةَ لتُزخرفُ وتتجدَّدُ ،
من الحَوْلِ إلى الحَوْلِ ، لِدخولِ شهر رمضان .

فتقولُ الحُورُ : يا ربِّ اجعل لنا فى هذا الشهرِ ،
من عبادِكَ أزواجًا ، تَقَرُّ أعيُنُنا بهم ، وتقرُّ أعيُنُهم بنا . »

وقال الحسنُ : تقولُ الحوراء لولىِّ اللهِ وهو مُتكئٌ معها
على نهرِ العسلِ ، تُعاطِيه الكأس :
(إن اللهَ نظر إليكَ فى يومٍ صائفٍ ، بعيدٍ
مَّا بين الطَّرَفيْن وأنت فى ظمإٍ هاجرةٍ من جُهْدِ العطشِ ،
فباهَى بك الملائكةَ ، وقال :
[انظروا إلى عبدى : تركَ زوجتَه وشهوتَه ،
ولذَّتَه وطعامَه وشرابَه من أجْلِى ، رغبةً فيما عندى .
إشهدوا أنى قد غفرتُ له] ..
فَغَفر لك - يومَئذ - وزوَّجنيك ..)

* * *

وفى شهر رمضانَ : يلطفُ اللهُ
بأُمَّةِ محمد صلى الله عليه وسلم ،
فتُغَلُّ فيه الشياطين ومَرَدةُ الجن ،
حتى لا يقدِروا على ما كانوا يَقْدِرونَ عليه
فى غيره ، من تَسْويلِ الذنوبِ .
ولهذا تقلُّ المعاصى فى شهرِ رمضان ،
وتُفتحُ فيه أبوابُ الجِنان .
وتُغلقُ فيه أبوابُ النِّيران .
فللهِ الحمدُ على ذلك .

أبشِروا يا معشَرَ المسلمين . فهذه أبوابُ الجنةِ الثمانية :
فى هٰذا الشهرِ ـ لأجْلِكم ـ قد فُتِحَتْ .
ونَسَماتُها على قلوب المؤمنين قد نُفِحت .
وأبوابُ الجَحيم كُلُّها ـ لأجلكم ـ مُغلقة .
وأقدامُ إبليس وذُريته ـ من أجلِكم ـ موثَقة .
ففى هذا الشهرِ : يُؤخَذُ من إبليس بالثَّار ،
وتُستخلَصُ العُصاةُ من أسرِه ، فما بقِى لهم عنده آثار ..
نقضوا مَعاقِلَ حُصونِه بمَعاوِل التوبةِ والاستغفار ..
قصَمُوا ظهرَه بكلمةِ التوحيد ، فهو يشكو ألَمَ الانكسار ..
خرجوا من سِجْنِه إلى حِصنِ التقوى والإيمانِ ،
فأمِنُوا من عذابِ النار .

* * *

عِبادَ اللهِ : هذا شهرُ رمضان قد انتصف .
فمن منكم حاسَبَ نفسَه فيه لِلهِ وانتصف ؟
من منكم قامَ فى هذا الشهرِ بحقِّه الذى عُرِف ؟
من منكم عَزَمَ قبل غلقِ أبوابِ الجنَّة ،
أن يُبنىٰ له فيها غُرفٌ من فوقِها غُرَف ؟
ألَا إنَّ شهرَكم قد أخَذَ فى النقصِ ، فزيدوا أنتم
فى العملَ ، فكأنكم به وقد انصرف !..

فكلُّ شهرٍ عسىٰ أن يكون منه خَلَف ؛
وأما شهرُ رمضان فمن أين يكون منه خلف ؟!

(شعرا) :

تنصَّف الشهرُ وا لهفـــاهُ وانصرما
واختُصَّ بالفوز بالجنات من خَدما
وأصبح الغافلُ المسكين مُنكسرًا
مثـــلى فيا ويْحَه ، يا عُظمَ ما حُرِما
مَن فاته الزرعُ فى وقت البِـذار فما
تُراه يحصدُ إلّا الهمَّ والنَّـــدَما
طوبىٰ لمن كانت التّقوى بِضاعتَه
فى شهرِه وبِحَبْـــل اللهِ مُعتصِما

عِبادَ اللهِ : رَحَلَ الأحبابُ إلى القبورِ ، وسترحلون !..
وتركوا الأموالَ والأوطانَ ، وستتركون !..
وندموا على التفريطِ فى الأعمالِ ، وستندمون !..
ووقفوا ببصائرِهم على الأهوالِ ، وستقِفون !..
وتَجَرَّعوا كأسَ الفِراقِ ، وستتجرَّعون !..
وقَدِمُوا على ما قدَّموا ، وستقْدَمون !..
وسُئِلوا عَمّا فعلوا ، وستُسألون !..
فبادِروا بالمتاب ، قبل يوم الحساب وخيْبَةِ الظُّنون .

فكيف بك ـ يا ابنَ آدَمَ ـ إذا نُفِخَ فى الصُّور ،
وبُعْثِرَ ما فى القبور ، وحُصِّلَ ما فى الصدور ،
وضاقت الأمور ، وظهر المَسْتور ،
وخرج الخلائقُ من القبور ،
فإذا هم قِيامٌ ينظرون !..
فيا لَهُ من يومٍ عَظُمَ فيه الزِّلْزال ،
وسُيِّرَتِ الجبال ، وترادَفَت الأهوال ،
وانقطعت الآمال ، وقَلَّ الاحتيال ،
وخَسِرَ أصحابُ الشِّمال ،
وخرجوا من القبورِ بنفخةِ الصُّورِ يَزْجُفون ،
فإذا هم قِيامٌ يَنْظُرون !..
اللَّهمَّ : آنِسْنا إذا انْفَرَدْنا بالألحاد ،
وحضرنا فى الموقفِ يومَ المعاد ،
ونَسِيَنا الأهلُ والعُوّاد ؛
فلا تُبعِدْنا عن جنابِكَ يا رءوفاً بالعباد .
واغفر اللهم لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين :
الأحياء منهم والمَيِّتين .
برحمتِك يا أرحَمَ الراحمين ..
وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

﴿ الفصل السادس عشر :

في فضل النِّصْف الأخير من شهر رمضان المبارك ﴾

الحمدُ لله الذى جَعَلَ شهر رمضان غُرَّةَ وجهِ العام ؛

وأجزَلَ فيه الفضائلَ والإنعام ؛

وشرَّفَ أوقاتَه على سائر الأوقاتِ

وفَضَّلَ أيَّامَه على سائر الأيَّـام ؛

وجَعَلَه لعِقْدِ شُهورِ العامِ واسِطَةَ النِّظام ؛

وخَصَّ نِصفَهُ الأخيرَ بمزيد فضلٍ وإكرام -

فسُبْحانه مِن إلهٍ أيقظَ فيه قلوباً ،

كانَ لها إلى الخيراتِ وُثُوبٌ وإقدام ؛

وغَفَلَتْ فيه قُلوبٌ فلم يُؤَثِّر فيها وعظٌ ولا ملام !..

أحمده سبحانه على إحسانِه العـام ؛

وأشكره على التوفيق للإيمانِ والإسلام .

وأشهد أن لا إله إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له : القُدُّوسُ السَّلام .

وأشهد أنَّ سيِّدَنا محمدًا عبْدُه ورسولُه :

أفضَلُ من صلَّى وصام .

صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وأصحابِه : هُداةِ الأنام .

وسلم تسليماً كثيراً .

* * *

إعلموا ـ رحمكمُ اللهُ ـ أن الصَّائمين على طبقتين :

* إحداهما مَن ترك طعامَه وشرابَه وشهوتَه لِلهِ تعالىٰ ،

يرجو عنده عِوَضَ ذلك فى الجنة ؛

فهٰذا قد تاجَرَ مع اللهِ سُبحانه وعامَلَهُ ـ

واللهُ تعالى لا يُضيعُ أجرَ مَنْ أحسنَ عملا ،

ولا يَخِيبُ معه مَن عامَلَهُ ؛ بل يربحُ أعظمَ الرِّبح .

وقال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم لرجُلٍ :

« إنَّكَ لَنْ تَدَعَ شَيْئًا اتِّقاءَ اللهِ ،

إلَّا آتاكَ اللهُ خَـــيْرًا مِنْهُ » .

(أخرجه أحمد)

فهذا الصائمُ يُعطىٰ فى الجنةِ ما شاء اللهُ ،

من طعامٍ وشرابٍ ونســـاء .

قال الله تبارك وتعالىٰ :

﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ .

قال مُجاهدٌ وغيرُه : (نزلت فى الصائمين) .

* الطبقـــةُ الثانيةُ من الصَّائمين :

مَن يصومُ فى الدنيا عمَّا سِوَى اللهِ ـ

فيحفظُ الرأسَ وما وَعَى ؛

ويحفظ البطنَ وما حَوَى ؛

ويذكرُ الموتَ والبِـــلىٰ ؛

ويُريدُ الآخرةَ فيتركُ زينةَ الحياةِ الدنيا .

فهذا ، عيدُ فِطْرِه يومَ لقاءِ رَبِّه وفَرَحِه برؤيتِه .

(شعراً) :

أهلُ الخُصوصِ من الصُّوّامِ صَوْمُهمُ
صَوْنُ اللِّسانِ عن البُهتانِ والكذبِ
والعارِفُونَ وأهلُ الأُنسِ صومُهمُ
صَوْنُ القلوبِ عن الأغيارِ والحُجُبِ

إخوانى : أُنظروا إلى بركةِ شهرِ رمضانَ ،

ونفعِه لكم فى الدنيا والآخرة !..

أمَّا فى الدنيا : فيحميكم عن الشهواتِ المُوجِبَةِ للنارِ والعذاب ..

وأما فى الآخرةِ : فتفوزون بالعفوِ والرضا من الملكِ الوهاب ..

فاغتنموا ـ رحمكم اللهُ ـ أوقاتَه قبل الذَّهاب ؛

وجِدُّوا واجتهدوا قبل غلق الباب .

(شعراً) :

إذا دعَتْك الذُّنوبُ فـداوِها
برفعِ يدٍ فى الليلِ ، والليلُ مُظلِمُ
ولا تقنطنْ من رحمةِ اللهِ إنما
قنوطُكَ منها من ذنوبِكَ أعظمُ
فرحمتُه للمُحسنين كرامةٌ ورحمتُه للمُذنبين تكرُّمُ

عِبادَ اللهِ : شهرُكم قد أخذ فى النقصِ والانصِرام . .
فخُذُوا أنتم بالاجتهادِ فى العملِ والاهتمام ..
ومن كانَ منكم أحسَنَ ، فعَلَيْهِ التَّمام ..
ومن كان فرَّط ، فليختِمهُ بالحُسنىٰ ، فالعملُ بالخِتام . .
واستدرِكُوا من بقية اللَّيالى والأيام ..
واستودِعُوهُ عملًا صالحًا يشهدُ به لكم عند الملكِ العَلَّام .
ألَا وإنَّ شهرًا عظَّمَهُ الرحمٰن ، وأنزَلَ فيه القرآن ؛
لحقيقٌ بالإكرامِ والاحترام ؛
وجديرٌ أن يُصانَ عن فِعْلِ القبائح والإجرام .

* * *

إخوانى : هذا شهرُ عِمارة المِحْراب .
هذا شهرُ تِلاوةِ الكِتاب ..
هذا شهرٌ تُخْلَعُ فيه خِلَعُ الغُفْران ، وتتوفَّرُ لها الأسباب ..
هذا شهرٌ يُسمعُ فيه الدُّعاء ويُستجاب ..
شهرُ الإفاضاتِ والنفحاتِ وعِتْقِ الرِّقاب .

* * *

عِبادَ اللهِ : مُصابُ الحِرْمانِ لا يُشْبِهُهُ مُصاب .
وكسرُ الإبعادِ لا ككسرِ الأعضاءِ والآراب .
فالبدارَ البدارَ قبل إغلاقِ الباب وإسبال الحِجاب .

عِبادَ اللهِ : ما هٰذه الغفلةُ ، وإلى البِلى المصير ؟!

وما هذا التوانى ، والعُمرُ قصير ؟!

وإلى متى التَّمادى فى البطالةِ والتقصير ؟!

وما هذا الكسلُ ، وقد أنذرَ النذير ؟!

خَلَّفكُم واللهِ عن باب الحبيب سُوء التدبير !..

فإلى متى التَّبَهْرُجُ ، والنَّاقِدُ بَصِـــير ؟!

إخوانى : تذكَّروا القيامَةَ ، فالأمرُ شديد ..

وبادروا بقيةَ أعماركم ، فالنَّدمُ بعدَ الموتِ لا يُفيد ..

وأحضِروا قلوبَكم لفهمِ الوعدِ والوعيد ..

وحاسِبُوا أنفسكم ، فعليكم رقيبٌ وعتيد ..

وتأهَّبُوا للموتِ ، فكأنكم به وقد أخذَ الأحرارَ والعبيد ..

﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ،

ذٰلِكَ مَا كُنتَ مِنْهُ تَحِيـــدُ ﴾ .

اللَّهُم : اجعل شهرَ رمضانَ شاهِدًا لنا عند قِيامِ الأشهاد ،

ولا تجعلهُ شاهدًا علينا فترمِيَنا بالطَّرْد والإبعاد .

برحمتِك يا رءوفا بالعبـــاد .

واغفر ـ اللهُمَّ ـ لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين :

الأحياء منهم والميتين . برحمتك يا أرحم الراحمين .

وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

﴿ الفصل السابع عشر :
فى أن اللهَ فرَق بين الحقِّ والباطل فى صُبح
السابع عَشَر من شهر رمضان ﴾

الحمدُ لله الذى رفَعَ السماءَ بلا أركانٍ ولا عِماد ..
وبَسَطَ الأرضين على تيَّارِ الماء ،
وأثبتَـها بالرَّواسى والأوتاد ..
العليم الذى يعـلمُ ما فى البرِّ والبحرِ ،
من : ناطقٍ ، وصامتٍ ، ومُتَحَرِّكٍ ، وجماد ..
أحمدُه سُبحانَه حمدَ عبدٍ أخلَصَ لِلهِ من صميمِ الفُؤاد ..
وأشكره على نِعَمٍ لا أُحْصِى لها تعداد .
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له :
شهادةَ نرجو بها النَّجـاةَ يومَ التَّناد .
وأشهد أن سيدنا ونبينا محمداً عبدُه ورسولُه :
صاحِبُ الكِتاب المُنزَّل والشَّرْع المُفَضَّل ،
والمقامِ المحمودِ عنـد جميع العِباد .
صلى اللهُ عليـه وعلى آله وأصحابه :
أفضلِ من رأسَ وساد .
وسلم تسليما كثيرًا .

* * *

قال اللهُ تبارك وتعالى :

﴿ وَاعْلَمُوا أَنَّ مَا غَنِمْتُم مِّنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ ،
وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَىٰ وَالْيَتَامَىٰ وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ .
إِن كُنتُمْ آمَنتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا ،
يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ ،
وَاللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ .

يُنَبِّـــهُ تبارك وتعالى على نعمته وإحسانه إلى خلقه ،
بما فرَقَ به بين الحقِّ والباطل بِبَدْرٍ .
ويُسَمَّى يوم الفُرْقان ،
لأن اللهَ أعلىٰ فيه كلمة الحَقِّ على كلمة الباطلِ ،
وأظهر دينَه ونصَرَ نبيَّه وحِزْبَه .
قال ابنُ عباسٍ رضى الله عنهما فى يوم الفُرقان :
(هو يوم بدرٍ : فرَقَ اللهُ فيه بين الحقِّ والباطل) .
وقد رُوِيَتْ فى هذه الليلة أخبارٌ وآثارٌ ليس هذا موضع بَسْطِها .
وكان أهلُ المدينة يُعظِّمون هذه الليلة ..
وكان زيدُ بن ثابت لا يُحيي ليلةً من رمضان ،
كما يُحيي ليلة سبع عشرة من رمضان ؛
ويقولُ : (إنَّ اللهَ فرَقَ فى صبيحتها بين الحقِّ والباطل ،
وأذَلَّ ـ فى صبيحتها ـ أهلَ الكفرِ) .

وعن الحسن قال :

قال إبليس : (إنّى سَوَّلْتُ لأمّةِ محمد المعاصىَ .

فقطعوا ظهرى بالاســـتغفار .

فسوَّلْتُ لهم ذُنوباً لا يستغفرون منها) .

يعنى : الأهـــواء .

ولٰـكِنْ ولِلهِ الحمد لا يزال فى همٍّ وغمٍّ .

ويَرَى ما يغيظُه ويُهِمُّه من : بعثة النبىِّ

صلى الله عليه وسلم ، ومن طاعات أُمّتِه ..

ولا يزال يرى فى مواسم الفضل :

من المغفرةِ والعِتقِ من النار ما يسوؤُه .

فيومَ عرفةَ لا يُرىٰ أصغرَ ولا أدحرَ ولا أحقرَ منه ؛

لما يُرَى من تَنَزُّل الرَّحْمَةِ ، وتجاوُزِ اللهِ

عن الذُّنوب العِظام . إلّا ما رُئِىَ يومَ بدرٍ .

وفى حجّة الوداع يوم النحرِ بالمُزدلفة أهوٰى ،

يَحثُو التُّرابَ على رأسِه ، ويدعو بالويل والثُّبور .

فتبسَّمَ النبىُّ صلى اللهُ عليه وسلم من جزع الخبيث .

وفى شهر رمضان : يُسلسلُ ويصفَّدُ ويُغَلُّ ، هو وجنودُه ؛

حتى لا يُفسدوا على المسلمين عباداتهم .

فنسألُ اللهَ التوفيق والإعانةَ ، إنه جوّادٌ كريم .

عِبادَ اللهِ : أين أحبابُكم الذين سلفوا ؟!..
أين أقرانكم الذين رحلوا وانصرفوا ؟!..
أين أربابُ الأموالِ وما خلَّفوا ؟!..
ندِموا على التَّفريط ، فيالَيتَهم عَرَفوا :
هَوْلَ مقامٍ يَشيبُ فيه الوليد !..
واعجبًا لك يا ابنَ آدمَ :
كلما دُعيتَ إلى اللهِ ، توانَيت !..
وكلما دَعتْك المواعظُ إلى اللهِ ، أبَيتَ وتماديتَ !..
وكم نهاكَ مولاكَ عن غيِّك ، فما انتهيتَ !..
يا مَن جَسَدُه حيٌّ ، وقلبه ميت :
ستُعايِنُ ـ عند الحسرات والسَّكرات ـ
ما لم يخطرْ ببالك ولا درَيْت !..

* * *

عِبادَ اللهِ :
هٰذا شهرُ رمضان : قد عزمَ على الانصِراف والانصِرام ..
ونوَى الثَّقلة عنكم ، والرَّحيلَ بَعد المقام ..
وهو شاهدٌ لكم أو عليكم ،
بما أودعتموه من الأعمالِ عند الملك العلَّام .
طالَ ما عَمُرت به القلوب ، ودَرَسَتْ معالمُ الذنوبِ والآثام .

وقد كان لكم نِعمَ الضَّيْفُ : فهل أضعتم حقَّه ،
أم قُمْتُمْ بما يجب له من الإكرام ؟
فلعلَّ المُسَوِّفَ فيه بالتوبةِ لا يُدرِكه بعد هذا العام ؛
فيندمَ حين لا ينفعُه النَّدم ،
ويتأسَّفَ على تفريطه إذا زَلَّتْ به فى القيامةِ القَدَم ..
فاستدركوا فائتَ ما قد مضىٰ ،
فإنما الدنيا كمِثْل المنام :
فالسعيدُ : مَن بادرَ هذه البقيَّة بالاغتنام .
والشقيُّ : من جَعَل هذه البقيةَ بغفلته كالإعدام .

* * *

وفَّقنا الله وإياكم لصالح الأعمال ،
وجنّبنا وإيّاكم سيِّئاتِ الأعمال ،
وخفَّف ظُهورَنا من الأوزارِ الثِّقال .

* * *

واغفر اللَّهُمَّ لنا ولوالدينا ، ولجميع المسلمين :
الأحياء منهم والميِّتين ،
برحمتك يا أرحم الراحمين .
وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

﴿ الفصل الثامن عشر :
فى أن المؤمن يُقدِّم رضىٰ ربِّه على نَيْلِ شهواته ﴾

الحمـــدُ لله :

الذى عَلِمَ الذُّنوبَ ، فغفرها ..

وأبصَرَ العُيُوبَ ، فستَرها ..

وكَوَّنَ اللُّطَفَ فى الأرحامِ ، وحَوَّرها ..

وعيَّنَ آجالَ العِبادِ ، وقدَّرها ..

وقسَّمَ أرزاق العبـــادِ ، ويسَّرها ..

أحمَدُه بجميع المحامِد التى لا أحصُرُها ،

وأشكرُه على جميع عوائدَ لا أقدُرُها .

وأشهد أن لَّا إله إلَّا الله وحده لا شريك له :

شهادةً تُورِدُنا من الإيمانِ أصفىٰ موارِدِها .

وأشهد أن سيدنا محمـــدًا عبده ورسوله ،

الذى نصحَ أُمَّتَه بالتَّوحيدِ وبَشَّرَها ،

ونهاها عن الشِّركِ به وحذَّرها ،

صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه :

ما ارتَعَدَ قلبُ خائفٍ من النارِ وذكرها ،

وسلم تسليماً كثيرًا .

* * *

اِعلموا ـ رحِمَكُم الله ـ أن المُؤمنَ الصَّائمَ لمَّا عَلِمَ :

أنَّ رِضىٰ مولاهُ فى ترك شهواتِه ،

قدَّمَ رِضىٰ مولاهُ على هواهُ .

فصارت لذَّتُه فى تركِ شهواتِه

ـ لإيمانِه باطِّلاعِ اللهِ عليه ، وأنَّ ثوابَه وعِقابَه :

أعظمُ من لذَّتِه فى تناوُلِها فى الخَلوةِ ـ

إيثارًا لرِضى ربِّه على هَوَى نفسِه . .

ولهذا كثيرٌ من المؤمنين : لو ضُرب على أن يُفطِر

ـ فى رمضان ، لغير عذرٍ ـ لم يفعلهُ ،

لِعلمِه كَراهةَ الله لفِطرِه فى هذا الشهر .

ولهذا جعل النبيُّ صلى الله عليه وسلم

علاماتِ وُجودِ حلاوةِ الإيمان :

أن يكرهَ المؤمن أن يرجعَ إلى الكفرِ

بعد إذ أنقذَهُ الله منه ـ كما يكره أن يُقذفَ فى النار .

وعن أبى هريرةَ رضى الله عنه ، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« أُعطِيَتْ أُمَّتِي فِي رَمَضانَ خَمْسَ خِصالٍ

لَمْ تُعْطَها أُمَّـةٌ قَبْلَهُمْ :

خَلُوفُ فَمِ الصَّائمِ أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ .

وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الْمَلائِكَةُ - وفى رواية « الْحِيتانُ - حَتَّى يُفْطِرُوا » .

وَيُزَيِّنُ اللهُ جَنَّتَهُ كُلَّ يَوْمٍ ، ثُمَّ يَقُولُ :

[يُوشِكُ عِبادِيَ الصَّالِحُونَ : أَنْ يُلْقُوا عَنْهُمُ

الْمَئُونَةَ وَالْأَذى ، وَيَصِيرُوا إِلَيْكِ] .

وَتُصَفَّدُ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّياطِينِ ، فَلا يَخْلُصُونَ فِيهِ

إِلَى ما يَخْلُصُونَ إِلَيْهِ فِي غَيْرِهِ .

وَيُغْفَرُ لَهُمْ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ مِنْهُ .

قيل يا رسولَ اللهِ : أهى ليلةُ القدرِ ؟

قالَ : لا ، وَلٰكِنِ الْعامِلُ إِنَّما يُوَفَّى أَجْرَه ،

إِذا قَضَى عَمَلَه . » (رواه أحمد وغيره)

عِبادَ الله : إن شهرَ رَمضانَ مِضمارُ المُتسابِقين ،

وغنيمةُ الصَّادقين . وفيه تُضاعَفُ الأعمال ،

وتُحَطُّ الأوزارُ الثِّقال .. وفيه : يُستجابُ السُّؤال ،

ويُغفرُ للمُستغفرِ ويُقال . فهو غُرَّةُ الدُّهور ،

ومِصباحُ الشُّهور ، وربيعٌ للمُؤمن ، يَقتطِفُ فيه الأُجُور ،

وتُزَيَّنُ فيه الجِنانُ والقُصور ،

فجِدَّ فيه بالطَّاعاتِ ، واهْجُرِ الفُتُور .

عِبادَ الله : هذا شهرُ الصِّيامِ والقِيامِ ..

هذا موسمُ الخيراتِ لأهلِ الاغتنامِ ..

شهرُ مُضاعفةِ الحَسناتِ .. شهرُ إقالةِ العَـثراتِ ..
شهرٌ تُفتَـح فيه أبوابُ السَّماواتِ ،
وترتفِـعُ فيه الأصـواتُ بالدَّعواتِ ،
وتُشرِفُ الحُـورُ العِينُ من الجَنَّاتِ ،
يبتغينَ الأزواجَ من أهـلِ الطَّـاعاتِ ..
فطُوبىٰ لِمَنْ تلقَّاهُ بعمـلٍ صالِحٍ ،
وطَهَّرَ فيه الجَوارِحَ من الآثامِ والقَبائِح ؛
لَعَلَّه يَحْظىٰ فيه بالْقَبُول والفَوزِ بالجَنَّـاتِ .

عِبادَ اللهِ : هذا شهرٌ اختصَّه الله من بين الشُّهور ،
وأعظمَ فيه القليلَ من الأعمال بمُضاعفةِ الأُجور .
فمالَكَ ـ يا عبدَ اللهِ ـ لا تُشَمِّر فيه إلى مَعالِي الأُمور .
تاللهِ إن شهرَ رمضانَ لا يُشْبِه الشُّهور . (شعراً) :

إذا أنتَ لم تَرحَلْ بِزادٍ من التُّقَىٰ
ولاقَيتَ بَعد المَوْتِ من قد تَزَوَّدا
ندِمْتَ على أن لا تكونَ كمِثْلِه
وأنك لم تَرْصُدْ كما كان أرْصَدا

فسُبْحانَ مَن افترضَ صِيامَ شهرِ رمضانَ على أُمَّةِ الإسلام ،
وحَباهُم بالفضلِ والإحسان ، وخَصَّهُمْ بالعِتْقِ من النِّيران ،
وجعله صِحَّةً للأبدان ، ومطْهَرَةً للقلبِ واللِّسان ،
من الذُّنوب والعِصْيـان .

ابنَ آدَمَ : كم يومٍ غابت شمسُه وقلبُكَ غائب ؟!.
وكم ظلامٍ أُسْبِلَ سِتْرُه ، وأنت في عجائب ؟!..
وكم أُسْبِغت عليك نِعْمَةٌ ، وأنت للمعاصي تُوائِب ؟!..
وكم صحيفةٍ قد ملأَها بالذُّنوبِ الكاتِب ؟!..
وكم يُنذِرُكَ سَلَبُ رفيقِكَ وأنت لاعِب ؟!..
يا من يَأْملُ البقاء ، وقد زُمَّتِ الرَّكائب :
أَفِق من سَكْرَتِكَ قبل حسرتِكَ على المَعايِب !..
وتذكَّرْ نُزولَ حُفْرَتِكَ وهِجرانَ الأقارِب !..
وبادِرْ إلى تحصيل الفضائل قَبْلَ فَوْتِ المَطالِب ..
فالسَّائق : حَثِيثٌ ، والحادي : مُجِدٌّ ، والمَوتُ : هو الطالب ..
اللهُمَّ : اسْلُك بنا سبيلَ الأبرار ،
واجعلنا من عِبادِك المُصْطَفَيْنَ الأخيار ..
وامْنُن علينا بالعفو والعِتْق من النَّار ..
وانظِمْنا في سِلْكِ المُتَّقين الأخيار ..
واكْفِنا شَرَّ الأشرار ، يا حليمُ يا غفَّار .
واغفرِ - اللَّهُمَّ - لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين :
الأحياء منهم والمَيِّتين ،
برحمتك يا أرحم الراحمين .
وصلى الله على محمد وآلِه وصَحْبِه أجمعين .

﴿ الفصل التاسع عشر :
فى معنى فرح الصائم ﴾

الحمـــدُ لله : الـكريمِ التَّوَّاب ،
غافِرِ الذَّنْبِ لمن رجع إليه وأناب ،
العزيز الذى تَوَعَّدَ مَن كذَّبَ رُسُلَهُ بأشدِّ العذاب ،
وأنزلَ بأسَه بمن أعرضَ عن السُّنَّةِ والكتاب .
أحمدُه حمدَ عبدٍ يرجو مِنْ رَبِّهِ جزيلَ الثواب .
وأشكرُه وأسأله أن يَمُنَّ علينا بالمَتاب .
وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له : العزيزُ الوهاب .
وأشهدُ أن سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا : عبدُه ورسوله ،
الهـــادى إلى طريقِ الصَّواب .
صلى اللهُ عليه وعلى آله وأصحابه البرَرَةِ الأنجاب ،
وسلم تسليماً كثيراً .
قال الله تبارك وتعالى :
﴿ إِنَّ الْمُتَّقِينَ فِي جَنَّاتٍ وَنَعِيمٍ .
فَاكِهِينَ بِمَا آتَاهُمْ رَبُّهُمْ ،
وَوَقَاهُمْ رَبُّهُمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ .
كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيئًا بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴾ .

هذه الآيات كقوله تعالى :

﴿ كُلُوا وَاشْرَبُوا هَنِيـئًا
بِمَا أَسْلَفْتُمْ فِي الْأَيَّامِ الْخَالِيَةِ ﴾ .

أى : هٰذا بِذاكَ ، تَفَضُّلًا منه سبحانه
عليـهم وامتنانًا وإحسانًا .

فلما أن قاموا فى دارِ الدنيا بطاعةِ الله ،
واجتهدوا فى طلبِ مَرْضاتِه بالأعمال الصالحةِ
- مِن : صيامٍ وقيامٍ وركوعٍ ،
وسجودٍ وتِلاوةِ قرآنٍ ، وغير ذلك -
قيلَ لهم فى الجنةِ ذٰلك ، أى : جزاء على صنيعكم .

وقد وردَ أن الصَّائمين توضَعُ لهم مائدةٌ يأكلون منها ،
والنـاسُ فى الحساب ، فيقولون :
(يا ربِّ : نحن نُحاسَب ، وهؤلاء يأكلون ؟!)
فيُقالُ : (إنهم طالما صاموا ، وأفطرتم .. وقاموا وِنِمتُم) .

وقد قال النبيُّ صلى الله عليه وسلم :
« لَخَلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ : أَطْيَبُ
عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ . »

خَلُوفُ الفم : رائحةُ ما يتصاعدُ منه من الأبخِرَةِ ،
لِخُلُوِّ المَعِدَةِ من الطعامِ بالصيامِ .

وهى رائحةٌ مُستكرهَةٌ فى مَشامِّ الناسِ فى الدنيا .
لكنها طيِّبةٌ عند اللهِ ، حيثُ كانت ناشِئَةً
عن طاعةِ اللهِ وابتغاءِ مرضاتِه .
وفى طيبِ رِيحِ خُلُوفِ فمِ الصَّائِمِ عند اللهِ عز وجل معنيان :
أحدهما : أن الصيامَ لما كان سِرًّا
بين العبدِ وربِّهِ فى الدنيا ،
أظهَرَهُ اللهُ علانيةً للخَلْقِ فى الآخرةِ ؛
لِيَشْتَهِرَ بذلك أهلُ الصيامِ ،
ويُعرفوا بصيامِهم بين الناسِ ،
جزاءً لإخفائهم صِيامَهم فى الدنيا .
كما روى أبو الشيخ الأصبهانىُّ بإسنادٍ فيه ضَعف ،
عن أنسٍ مَرْفُوعًا :
« يخرجُ الصَّائمونَ من قُبُورهم ـ
يُعرفونَ بريحِ أفْواهِهِمْ :
أطيبُ من ريح المِسْكِ » .
المعنى الثانى : أنَّ مَن عبد اللهَ وأطاعَهُ ،
وطلب رِضاهُ فى الدنيا بعملٍ ؛
فنشأ من عَمَلِهِ آثارٌ مكروهةٌ للنفوسِ فى الدنيا ؛
فإنَّ تلكَ الآثارَ غيرُ مكروهةٍ عِندَ اللهِ ؛

بل هىَ محبوبةٌ له وطَيِّبةٌ عنـــده ؛
لـكَوْنِها نشأت عن طاعتِه واتِّباعِ مَرْضاتِه .
فإخبارُه بذٰلك للعاملينَ فى الدنيا ؛
فيه تطييبٌ لقلوبهم ، لأن ما يُـكرهُ منهم
مِمَّا وُجِدَ فى الدنيا ، مما ينشا من الطاعاتِ ،
فهو محبوبٌ عند اللهِ تعالى .
ولهذا كان دَمُ الشهيد : ريحُه ريحُ المِسْك يوم القيامةِ ،
وغُبارُ المجاهدين فى سبيل اللهِ : ذريرةُ أهلِ الجنة .

* * *

إخوانى ـ خُلُوف أفواهِ الصَّائمينَ عند اللهِ :
أطيبُ من ريح المِسْك !..
عُرْىُ المُحْرِمينَ لزيارةِ بيتِهِ الحرامِ :
أجملُ من لِبـــاسِ الحُلَلِ !..
نَوْحُ المُذْنبينَ على أنفسِهم من خشيتِه تَعالَى :
أفضلُ من التسبيح !..
إنـكسارُ المُخْبِتين لعظمتِه هو : الجبرُ !..
ذُلُّ الخائفين من سَطْوتِه هو : العزُّ !..
تهتُّكُ المُحِبِّينَ فى محبَّتِه : أحسن من السَّتْر !..
بذلُ النُّفوسِ للقتلِ فى سبيله هو : الحيـــاة !..
جُوعُ الصَّائمين لأجلِه هو : الشِّبَع !..

عطشُهم فى طلب مرضاته هو : الرِّىّ !..
نَصَبُ المجتهدين فى خدمته هو : الرَّاحة !..
سُبْحانَ من أيقظَ المُتَّقين ،
وخَلَعَ عليهم خِلَعَ اليقين !..
وألحقهم بتوفيقِهِ فى السـابِقين !..
فباتُوا فى جِلباب الجنةِ مُسابقين .
كُلَّما لاحت لهم ـ فى مِرآةِ الفكرِ ـ ذُنوبُهم ،
تجافَتْ عن المضاجِعِ جُنوبُهم !..
فيا وَيْحَ من كانَ مطرودًا عن البـاب !..
ويا خَجْلَةَ من لا ينتفعُ بتلاوةِ الكِتاب !..
ويا سَوْءَةَ من تنقضى المواعِظُ وهو ما تاب !..
أمَا آنَ للغافِل : أن يُبْصِرَ ويَسمع ؟!..
أمَا آنَ للجانِى : أن يُنِيبَ إلى مَوْلاهُ ويخشع ؟!..
أمَا لَكَ عينٌ ـ من مَخافةِ اللهِ ـ تدْمَع ؟!..
تاللهِ ، إنَّ مواعِظَ القرآنِ :
لو خُوطِبَ بها جَبَـلٌ ، لتصدَّع !..
ولـكن غلب على القلوب الهوى والغفلةُ ،
فالوعظُ فيـها لا ينفع !..
واستولىٰ عليها حُبُّ الدنيـا ،
فهى لا تُبْصِرُ ولا تَسمـع !..

(شعراً) :

فيـــا أيُّها الإنسانُ بادِرْ إلى التُّقىٰ
وسارِعْ إلى الخيراتِ ما دُمتَ مُمْهَلُ
وأكثِرْ من التَّقوى لِتَحْمَـــدَ غِبَّها
بدارِ جزاءٍ : دارٌ بهـــا سَوْفَ تنزِلُ
وقدِّمْ لمـــا تَقْدَمْ عليـــه فإنما
غدًا سوف تُجْزَى بالَّذى أنتَ تفعلُ
وسارِع إلى الخـــيراتِ لا تُهْمِلَنَّها
فإنك إن أهملتَ : ما أنت مُهْمَـــلُ
فما أحسنَ التقوى وأهـــدَى سبيلَها
بها ينفـــعُ الإنســانَ ما كان يعملُ

اللَّهُـــمَّ :

اجعـــل التقوى لنا أربحَ بضاعة ..
ولا تجعلْنا من أهلِ التفريط والإضاعة ..
وآمِن خَوْفَنا يومَ تقومُ الساعة .
واغفر ـ اللَّهُمَّ ـ لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين :
الأحيـــاء منهم والميِّتين .
برحمتِك يا أرحم الراحمين .
وصلى الله على محمد وآله وصحبه أجمعين .

﴿ الفصل العشرون :

فى استِحْباب دِراسة القرآن فى شهرِ رمضان المُبارك ﴾

الحمدُ لله فارِجِ الكُرُبات .. ومُجيبِ الدعوات ..
ومُضاعِفِ الحسنات .. وغافِرِ الخطايا والزَّلّات ..
ومُحِيل الشدائدِ والمكروهات ..
أحاط علماً بجميع الكائنات .
عَزَّ : ربًّا ، وجلَّ : مَلِكًا ،
وتعالىٰ : إلٰهًا مُتفرِّدًا بالكمالات ..
أحمدُه سبحانه وتعالىٰ حمدًا يملأُ الكائنات .
وأشكره على ما أوْلاه من الإحسانِ والكرامات .
وأشهدُ أن لا إله إلا اللهُ : وحده لا شريك له ـ
إلٰهٌ قائمٌ بأرزاقِ جميع المخلوقات .
وأشهد أن سيدنا محمدًا عبده ورسوله : سيِّدُ السَّادات ،
والهادى إلى سبيلِ النَّجاة .
صلى اللهُ عليه وعلى آلِه وأصحابِه أُولِى الفضائل والكرامات ،
وسلم تسليماً كثيرًا .

اِعلموا رحمكم اللهُ : أنَّهُ يُستَحَبُّ دِراسةُ
كلامِ اللهِ سُبحانه فى كلِّ زمانٍ ،
ويتأكَّدُ فى رمضان ، لا سيَّما فى لَيْلِه .

وفى حديثِ ابنِ عباسٍ : أنَّ المُدارَسَةَ بينه صلى الله عليه وسلم وبين جبريل ، كانت ليلًا .

فذلك يدلُّ على استِحْبابِ الاستِكثارِ من التِّلاوةِ فى رمضان ، فى الليلِ ؛ فإنَّ الليلَ تنقطعُ فيه الشَّواغِلُ ، وتتجمعُ فيه الهِمَمُ ، ويجتمعُ فيه القلبُ واللسانُ على التدبُّرِ .

وشهرُ رمضان له خُصوصيَّةُ القرآنِ ، كما قال اللهُ تعالى :

﴿ شَهْرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِى أُنزِلَ فِيهِ ٱلْقُرْآنُ ﴾ .

قال ابنُ عباسٍ : (نزلَ جُمْلةً واحِدةً من اللَّوحِ المحفوظِ إلى بيتِ العِزَّةِ فى ليلةِ القـــدر) .

وقد رُوِى أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم بُدِئَ بالوَحْى ونُزولِ القرآنِ عليه فى شهرِ رمضان .

وقد كان السَّلفُ يتلُون القرآنَ فى كلِّ شهرِ رمضان ، فى الصَّلاة وغـــيرِها .

وكان الزهرىُّ يقولُ : (إذا دخلَ رمضانُ : فإنما هو تِلاوةُ القرآنِ ، وإطعامُ الطعامِ) .

قال كعبُ الأحبارِ :

(يُنـــادى مُنادٍ يومَ القِيـــامَةِ :

إن كُلَّ حارثٍ يُعطَى بقدرِ حَرْثِه ويُزاد ،

غيرَ أهلِ القرآنِ والصِّيام ؛

فإنهم يُعطَوْنَ أجْرَهم بغيرِ حِساب) .

وقد وَرَدَ أن القرآنَ والصيامَ

يَشفعانِ للعبدِ يومَ القِيامةِ . يقول الصِّيامُ : (أىْ رَبِّ :

منعْتُه الطعامَ والشَّرابَ والشهواتِ بالنهارِ) .

ويقول القرآنُ : (منعتُه النَّوْمَ بالليلِ ، فشَفِّعْنى فيه) .

فالصيامُ يشفعُ لِمن مَنَعَهُ الطعامَ والشهواتِ المُحَرَّمَةَ كلَّها ،

سَواءٌ كان تحريمُها يختصُّ بالصيامِ :

كشهوةِ الطعامِ والشرابِ والنكاحِ ؛

أو لا يختصُّ به : كشهوةِ فُضولِ الكلامِ المُحَرَّمِ ،

والنَّظرِ المُحَرَّم ، والسماعِ المُحَرَّم ، والكَسْبِ المُحرَّم .

فهذا إذا منعَه الصِّيامُ من هذه المُحرَّماتِ كلها ،

فإنه يشفعُ له عند اللهِ .

يقولُ : (يا ربِّ ، منعتُه شهواتِهِ ؛ فشفِّعْنِي فيه) .

فهذا لمن حَفِظَ صِيامَهُ ومنَعَهُ من شهواتِه .

وأمَّا مَن ضَيَّعَ صِيامَهُ ولم يمنعهُ مما حرَّمَ اللهُ عليه ،

فإنه جديرٌ أن يُضْرَبَ به وجهُ صاحِبِه ،

ويقول : (ضَيَّعَكَ اللهُ ، كما ضيَّعْتَنِي) ..

كما وَرَدَ مِثْلُ ذلك فى الصلاة .

وقال أحمدُ بن أبى الحوارى :

(إنى لأقرأ القرآنَ ، وأنظرُ فيه :

آيةَ آيةَ ؛ فيُحَيِّرُ عقلى بها !..

وأعجبُ من حُفَّاظِ القرآنِ : كيف يهنؤهُم النومُ ،

ويَسَعُهُم أن يشتغلوا بشىء من الدنيا وهم يتلونَ كلامَ اللهِ !!..

أما إنهم : لو فهموا ما يَتْلُونَ ، وعرفوا حَقَّهُ ، وتلذَّذوا به ،

واستحْلَوُا المُناجاةَ به : لذهَبَ عنهمُ النومُ !)

وأنشد ذُو النُّون المصرى شعراً :

مَنَعَ القُرآنُ بوعدِه وَوعيدِه

مُقَلَ العُيونِ بِلَيلِها : لا تَهجَعُ

فهِموا عن المَلِكِ الجليلِ كلامَهُ

فَهْماً تذِلُّ له الرِّقابُ وتخضعُ

إخوانى : سار المُتَّقونَ ، ورجعنا !..

ووصَلُوا ، وانقطعنا !..

وأصابوا باجتهادِهم ، وبالتَّفريط انقطَعْنا .

ونَجَوْا مِنْ حبائلِ الشَّهواتِ ، ووقَعْنا !.

يا نائمًا إلى كَمْ هذا الهجُوع ؟!..

إلى متى بالهوىٰ هذا الوُلوع ؟! .

أتنفعُكَ وقتَ المَوْتِ الدُّموع ؟!..

إلى متى عن زخارفِ الدنيا لا تُشَمِّر إلى النُّزُوع ؟!..
فمَلَكُ الموتِ إذا جاء : ليس بممنوع !..
هيهات لا ينفعُ الذلُّ ولا الخُضوع !..
وليسَ لك شافِعٌ ولا مشفوع !..
هذا ومَلَكُ المَوْتِ يَسُلُّها من بين الضُّلُوع ؛
وتأسَّفْتَ على مالِكَ المَجْمـــوع :
رشَقَك سَهمُ المَنُونِ ، وما أغْنَتِ الدُّروع !..
وخلَتْ منكَ المساكِنُ والرُّبوع !..
وتمنَّيتَ لو زِدْتَ من سُجودٍ أو رُكوع .

(شعراً) :

يا مَنْ يُجِيبُ دعوةَ المُضطَرِّ فى الظُّلَمِ
يا كاشِفَ الضُّرِّ والبَلْوَى مع السَّقَمِ
قد نامَ وَفْدُكَ حـوْلَ البيتِ وانْتَبَهوا
وأنتَ يا حَيُّ يا قَيُّومُ : لم تَنَـــمِ
هَبْ لى بِجُودِكَ ما أخطأتُ من جَرَمِ
يا من إليه أشار الخَلْقُ بالكرمِ
إن كان عفوُكَ لم يَسْبِقْ لمُجـــترِمِ
فمن يجودُ على العاصِين بالنِّعَمِ ؟!

عِبادَ اللهِ : ما هذه الغفلةُ ، وإلى البِلىٰ المصير ؟!..

وما هذا التَّوانى ، والعُمُر قصير ؟!..

وإلى متىٰ هذا التَّمادى فى البطالةِ والتقصير ؟!..

وما هذا الكَسَلُ ، وقد أنذر النذير ؟!..

يا مُعْرِضًا عن المَوْلىٰ : إلى متىٰ هذا الإعْراض ؟!..

وقد وَلَّى شَبابُكَ فى طلبِ الأغراض !..

أما علمتَ : أنَّ العُمرَ فى انقِراض !..

وقُواكَ ـ كُلَّ ساعةٍ ـ فى انتِقاض !..

وَيْحَكَ : تزوَّد ، فالسَّفَرُ بعيد !..

وجاءتْ سَكْرَةُ المَوْتِ بِالحقِّ ذٰلِكَ ما كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ .

فعليكُمْ بالجِدِّ والاجتهادِ فى هذه الساعاتِ والأيام ،

واللياليالى العظام ؛ فإنها قد آذنَتْ بانصِرام .

اللَّهُمَّ : جُدْ علينا بالعفوِ والإحسان ،

والعِتقِ من النِّيران .

وأدخِلنا الجنَّةَ مَنْزِلَ الرِّضوان .

واغفر ـ اللَّهُمَّ ـ لنا ولوالدينا ، ولجميع المسلمين :

الأحياءِ منهم والميِّتين .

برحمتِكَ يا أرحم الرَّاحمين .

وصلى الله على سيِّدنا محمد ، وآله وصحبه أجمعين .

﴿ الفصل الحادى والعشرون :
فى فَضْلِ العَشْرِ الأواخِرِ من رمضان ، وفضْلِ الاعتِكاف ﴾

الحمدُ لله الذى شَرَّفَ عَشْرَ رمضانَ على كُلِّ عَشْرِ ..
وخصَّها بليلةٍ ، هِىَ : خيْرٌ من ألفِ شهر ..
قدَّرَ فيها كُلَّ ما يَجرى ، وسَمَّاها : ليلةَ القَدر ..
فكم خَـــبَرٍ صَحَّ بما فيها من الأجر !..
فقد ثبتَ عن الثِّقاةِ : أنها تُطْلَبُ فى الوِتر ..
وكم من مُعْتَقٍ فيها من النَّار ، وهو لا يَدْرِ ! .
أَلَا فادَّخِروها ، فإنها من أَنفَسِ الذُّخْرِ ..
أحمَدُه سبحانه ، وهو : أهْلُ الحَمْدِ والشُّكر ..
وأستغفِرُه من ذُنوبٍ ، طالما أثْقَلتِ الظَّهر ! ..
وأشكُرُه على نِعَمٍ تَجِلُّ عن العَدِّ والحَصْر !..
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ـ
شهادةَ ، هى : العُـــدَّةُ والذُّخْر ..
وأشهد أن سيدنا محمدًا عبدُه ورسوله :
أشرفُ مُرْسَلٍ ، أُنْزِلَ عليه أشرفُ الذِّكْر ..
صلى الله عليه وعلى آلِه وأصحابِه
الذين حازوا قَصَباتِ السَّبْقِ ورُتَبَ الفَخْر ،
وسلم تسليماً كثيرًا .

إعلموا ـ رحمكم الله ـ أنَّ نبيَّنا صلى الله عليه وسلم
كان يخصُّ العشرَ الأواخرَ من رمضان بأعمالٍ
لا يعملها فى غيره ، من : إحياء الليل ، والاعتكاف .
فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها ، قالت :
(كان النبيُّ صلى الله عليه وسلم يعتكفُ العشرَ
الأواخرَ من رمضان ، حتى توفَّاهُ اللهُ ..
واعتكف نساؤهُ من بعده) .
وعنها رضى اللهُ عنها أنها قالت :
(السُّنَّةُ للمُعْتَكِفِ :
أن لا يَعُودَ مريضاً ، ولا يشهدَ جنازةً ،
ولا يَمَسَّ امرأةً ، ولا يُباشِرَها .
ولا يخرجَ إلَّا لِما لا بُدَّ منه ..
ولا اعْتِكافَ إلا بِصَوْمٍ ..
ولا اعتكاف إلَّا فى مسجدٍ جامِعٍ) .
وكان صلى الله عليه وسلم يَحتجرُ حَصيرًا يتخلَّى به
عن الناسِ ، فلا يُخالِطُهم ، ولا يشتَغِلُ بهم .
فالمُعْتَكِفُ : الأفضَلُ له الانفرادُ بنفسِهِ ،
والتَّخَلِّى بمُناجاةِ ربِّه ، وذِكْرِه ، ودُعائِه .
وإنما يكون فى المساجد : لئلَّا يَترُكَ به الجُمَعَ والجماعات ؛
فإنَّ الخَلْوَةَ القاطِعَةَ عن الجُمَعِ والجماعات : مَنْهِيٌّ عنها .

ومعنى الاعتكاف وحقيقتُهُ : قطعُ العلائقِ عن الخلائق ،
للاتِّصال بخِدْمةِ الخالق ،
وكلما قَويَت المعرفةُ باللهِ ، والمحبةُ له ، والأُنسُ به :
أورثَتْ صاحِبَها الانقطاعَ إلى اللهِ سبحانه وتعالى ،
بالكُلِّيَّةِ على كلِّ حالٍ .
فهذا المعتكفُ : قد فارق الخَلْق ،
وأقبل على الخَلْوَةِ بالإلهِ الحقِّ .
وقد كان النبيُّ صلى اللهُ عليه وسلم يعتكِفُ في هذه العَشْرِ ،
التي يَطلبُ فيها ليلةَ القدرِ ـ قطعاً لأشغالِه ، وتفريغاً لِبالِه ،
وتَخَلِّياً بمُناجاةِ ربِّه وذِكْرِه ودُعائه .

* * *

عِبادَ اللهِ : اِغتنموا كَرَمَ المَولىٰ في أوقاتِ إفاضاتِهِ ،
فإنَّ لربِّكم ـ في دَهْرِكم ـ نفحاتٍ ، فتعرّضوا لنفحاتِه .
اِبْنَ آدَمَ : يا مَن بُلِيَ بالصَّدِّ ، ورُمِيَ بالهجرِ طولَ حياتِه ..
إن أردتَ الأوْبَ ، والقُربَ : فهذه أوقاتُه .
فيا من ضَيَّعَ عُمُرَهُ في لَهْوِهِ وغفلاتِه :
اِستدرِكْ ما فاتكَ ، قبل عَجْزِكَ عنه وفواتِه .

عِبادَ الله : متىٰ يُغفرُ لمن لم يُغفَر له في رمضان ؟!..
متىٰ يُزْلَفُ من رُمِيَ فيه بالإبعادِ والهِجران ؟!..
متىٰ يُشْفَى قلبٌ لم تشفِهِ آياتُ القرآن ؟!..

يا لها خَسارةً لا تُشْبِهُ الخُسْران -
أن ترى المُحْسِنين قد حظُوا بالقُرْبِ والزُّلْفَىٰ والرِّضوان ،
وأُزْلفت لهمُ الجِنانُ ، وأُلبسوا التِّيجان ،
وأُعْطُوا المُلْكَ والخُلدَ وأُدْخِلُوا على الرحمٰن -
وقد رُميتَ بالطَّرْدِ والإبعادِ والحِرمان :
تُغَلُّ وتُجَـــرُّ إلى النِّيرانِ ؟!..
أتُرَى قلبك هذا نائمًا أم يقظان ؟!..
قُمْ على أقدامِ الذُّلِّ وقتَ السَّحَرِ ،
فللرَّحمةِ مع السَّحَر شان !..
ونادِ فى نادِى الذُّلِّ : يا صاحِبَ الإحسان ..

* * *

عِبادَ اللهِ : أينَ من كان معكم فى الزمان الماضى ؟!..
اختطفتْه سُيُوف المَنون المَواضِى !..
وفطمتْه عن شهواته ، وهو غير راضى !..
أين من صبر على مشقةِ الجوع والظما ،
وحَفِظ سمعًا وبصرًا وفمًا ؟!..
أين الذين عَمَرُوا المساجِدَ بالعبادات والأدعية ؟!..
خرجت تلك الجواهِرُ من تلك الأوْعِيَة !..

* * *

عِبادَ اللهِ : شهرُكم هـــذا لا قِيمَةَ له فيُباع ،
ولا يُستدركُ منـــه ما ضاع .
إذا خسِرْتَ فيه ، فمتى تربح ؟!.
وإذا لم تُسافر فيه نحو الفوائد ، فمتى تَبْرَح ؟!..
قَرُبَ الرَّحيـــل ، ودَنا السَّفَر ..
وعند الممات يأتيك الخبر ..
أنت فى رمضان ، كما أنت فى عاشورا وصَفَر !..
كلما خرجْتَ من ذنوبٍ ، دخلْتَ فى أُخَر !..

* * *

إخوانى : ليْلَةُ القَدْرِ تُفتحُ فيها الأبواب ، ويُقرَّبُ الأحباب ..
ويُسمعُ الخطاب ، ويُرَدُّ الجواب ..
ويُكتَبُ للعاملين جزيلُ الأجر والثواب ..
ليْلةٌ يَصِلُ فيها الرَّبُّ ويقطع ، ويُعطى ويَمْنع ،
ويَخفِض ويرفع ، ويُميت ويُحْيى ، ويُسعدُ ويُشقى ،
وتجرى أقلامُ قضائه بما يُقدِّر ويقْضِى .

(شعرًا) :

يا من يرى ما فى الضَّمِير ويسمعُ
أنتَ المعَدُّ لِكلِّ ما يُتَوَقَّعُ
يا مَنْ يُرَجَّى للشَّدائدِ كلِّها
يا مَنْ إليه المُشتكَى والمَفْزَعُ

يا مَن خزائنُ مُلكِه فى قَولِ : كُنْ
أُمْنُنْ ، فإن الخيرَ عندكَ أجمعُ
مالِى سِوَى قَرْعِى لِبابِكَ حِيلَةٌ
ولئِن طُرِدتُ ، فأىَّ بابٍ أقرعُ ؟!
اِجعل لنا من كُلِّ ضِيقٍ مَخْرَجاً
والْطُفْ بِنا يا مَن إليهِ المَرْجِعُ

عِبادَ اللهِ : إنَّ شهرَكم هذا : شهرُ البركاتِ والسُّرور ،
شهرٌ ضاعف الله أجْرَهُ ، وهو بالخيرات مَغْمور ..
شهرٌ : الدُّعاءُ فيه مُسْتَجاب ، والجنةُ مُفتَّحةُ الأبواب ،
والتوبةُ مقبولةٌ لمن تاب ، والتِّجارة فيه لن تَبُور .
طُوبىٰ لمن صامه حقَّ الصِّيام !..
وهنيئاً لمن قامه حقَّ القِيـــام !..
وسُعدًا لمن أخلص فيه للمَلِكِ العـــلَّام !..
اللهُـــمَّ : ارْحَمْ ذُلَّنا يومَ قِيام الأشْهاد ،
وأمِّن خوْفَنا من فزع يوم المَعاد ،
ووفِّقنا لعملٍ تُنجِّينا به فى ظُلَمِ الألْحاد .
ولا تُخْزِنا يومَ القِيامةِ ، إنك لا تُخْلِفُ الميعاد .
واغفر ـ اللهُمَّ ـ لنا ولجميع المسلمين : الأحياء منهم والميِّتين ،
برحمتِك يا أرحم الراحمين .
وصلى الله على نبيِّنا محمد ، وآلِه وصحْبِه أجمعين .

﴿ الفصل الثانى والعشرون :
فى فَضْل قِيـــامِ الليل ﴾

الحمدُ لله : مُنْشئ الأيامِ والشُّهور ،
ومُفْنِى الأعوام والدُّهـــور ،
ومُضاعِفِ الثوابِ لمن أطاعَهُ والأُجور ،
وغافِرِ الذُّنوب لمن تابَ إليه من المَعاصى والفُجور .
أحمَدُه سُبحانَه على نِعَمٍ تتجدَّدُ بالرَّواحِ والبُكُور .
وأشكرُه على سابِغ فضْلِه المنشور .
وأشهدُ أن لا إله إلا الله وحـــده لا شريك له ،
على رغم أنفِ كُلِّ مُشركٍ كَفور ـ
شهادةً نرجو بها عفوَ الرَّبِّ ورِضاهُ ،
فإنَّ رِضاهُ نِهايةُ المُنىٰ ، وغايةُ السُّرور ..
ونُؤَمِّلُ بها من كرمِهِ فى فسيح الجِنان أعالىَ القُصور ..
وأشهد أن سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عبدُه ورسوله :
سَيِّـــدُ البَوادِى والحُضـــور ..
اللَّهُمَّ : صلِّ وسلِّم وبارِك على سيِّدنا محمد وعلى آله وأصحابه وضاعِف ـ اللهمَّ ـ لهم الحسناتِ ، وأعْظِم لنا ولهم الأُجور ، وسلِّم تسليماً كثيرًا .

* * *

إعلموا ـ رحِمَكم الله ـ أن نبيَّنا صلى الله عليه وسلم ،
كان يخُصُّ شهرَ رمضانَ بالاجتهادِ ،
وكان يجْتَهِدُ فى العَشْرِ الأواخِرِ منه ، ما لا يجتهد فى غيرها ،
كما جاء فى حديث عائشةَ رضى الله عنها ، قالت :
(كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
إذا دخلَ العشرُ الأواخِرُ من رمضان :
شَدَّ مِئْزَرَهُ ، وأحْيا لَيْلَه ، وأيْقظ أهلَه) .
وأخرج الترمذى عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال :
قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« أفْضَلُ الصِّيامِ بَعْدَ شَهْرِ رَمَضانَ :
شَهْرُ اللهِ الْمُحَرَّمُ ..
وَأفْضَلُ الصَّلاةِ بَعْدَ الْفَرِيضَةِ :
صَلاةُ اللَّيْلِ . »
وقيامُ الليلِ : فوائِده عظيمةٌ ـ منها : الاقتداء
بالنبىِّ صلى الله عليه وسلم ، والتأسِّى به .
قالت عائشةُ رضى الله عنها لرجُلٍ :
(لا تَدَعْ قِيامَ الليْل ؛ فإن رسولَ الله
صلى الله عليه وسلم كان لا يَدَعُه .
وكان إذا مَرِضَ ـ أو « قالت : أو كَسِلَ » ـ صلَّى قاعِدًا) .

وأخرج الترمذى عن عمرو بن عبد الله ،
أنه سَمِعَ النبيَّ صلى الله عليه وسلم يقول :
« أَقْرَبُ ما يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ :
فِي جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ . »
فإنِ استطعتَ أن تكونَ ممن يذكرُ اللهَ
فى تلك الساعةِ ، فكُنْ ..
ولِصلاة الليلِ على صلاةِ النّهارِ فضلٌ ؛ لأنها أبلغُ فى الإسْرار ،
وأقربُ إلى الإخلاصِ ، وأشَقُّ على النفوسِ ..
فإنِ الليلَ : محلُّ النَّوْمِ والرّاحةِ من تعبِ النَّهارِ ..
ولأن القراءةَ فى صلاةِ الليلِ : أقربُ إلى التَّدبُّرِ ،
وأحْضَرُ للقلبِ ، ويتواطأُ هو واللِّسان على الفهم .
وصلاةُ اللَّيْل : مَنْهاةٌ عن الإثْمِ ،
ولأن وقت التهجُّدِ من الليلِ أفضلُ أوقات التَّطوُّع فى الصلاة ؛
وأقرب ما يكون العبدُ من ربِّه ،
وهو : وقتُ فَتْحِ أبواب السماء ، واستجابةِ الدُّعاء ،
واستِعراض حوائج السائلين ..
وفى الليلِ : ساعةُ الإجابةِ . وفيهِ النُّزولُ الإلٰهِيُّ .
فينبغى لمن وفَّقهُ اللهُ تبارك وتعالى :
أن يحْرِصَ على اغتنامِ فُرَصِ الخيرات .

فعن جابرٍ رضىَ الله عنه ، قال :

سمعتُ رسولَ اللهِ صلى اللهُ عليه وسلم يقول :

« إنَّ فِى اللَّيلِ لَساعَةً ـ لا يُوافِقُها رَجُلٌ مُسْلِمٌ ،

يَسْأَلُ اللهَ خَيْرًا مِن أَمرِ الدُّنيا والآخِرَةِ :

إلَّا أَعْطاهُ إيَّاهُ . وَذٰلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ . »

(رواه مسلم)

(شعراً) :

إذا أوجَعَتْكَ الذُّنوبُ فــداوِها

بِرَفْعِ يَدٍ فى الليلِ ، والليلُ مُظلمُ

ولا تقنطنْ من رحمةِ اللهِ إنما

تُنوطُك منهــا من ذُنوبِك أعظمُ

فرحمتُــه للمُحسنين : كرامةٌ

ورحمتُــه للمُذْنبينَ تكرُّمُ

* * *

إخوانى : كيفَ لا يُرَغَّبُ فى صيامِ شهرِ رمضانَ وقِيامِه ؟!..

كيف لا يُتَأَسَّــفُ على شهرٍ ،

تُكَفَّرُ فيه جميعُ ذُنوبِ العبدِ وآثامِه ؟!..

كيف لا يُبْــكَى على شهرٍ يفُوتُ

فيه رِبْحُ العامِلِ وفُرَصُ اغتنامِه ؟ ! . .

أمَا آنَ لكَ يا مِسكينُ : أن تُقلِعَ عن هواك ؟!..

أمَا آن لك : أن ترْجِعَ إلى بابِ مولاك ؟!..

أنسيتَ ما خَوَّلك وأعطاك ؟ ! أمَا خلقَك فسوَّاك ؟!..

أمَا عطَّفَ عليكَ القلوبَ وبرِزْقِهِ غذَّاك ؟! .

أما ألهَمَكَ الإسلامَ وهَـــداك ؟!..

أمَا قرَّبك بفضلِهِ وأدْناك ؟ !..

أما بِرُّه فى كلِّ طرفةِ عينٍ يَغشاك ؟ ! .

فقابَلْتَ ذلك بالغفلَةِ ورُكوبِ الشهوات ،

والمُبـــادرةِ إلى الخطايا والزَّلّات .

فجدَّ فى هذا الشهرِ ، عسى أن تُدْرِك ما فات ؟!..

أما آنَ لك أن تَستحْيِيَ ممَّن شاهَدَك على المعصيةِ ورآك .

ومع هذا الحرمانِ والبُعْدِ عن مولاك ـ

إن عُدْتَ إليه : قَبِلك وارتضاك !..

وإن دُمْتَ على خِدمتِهِ : قرَّبك وأدناك !..

فإلى متى هذا التَّوانى : لِمَ لا تُقلِـــعُ عن غَيِّكَ وهواك ؟!..

فيا إخوانى : ما هذه الغفلاتُ والاغترار ؟ ! . .

وما هذا الإكبابُ على الدنيا وقد رأيتُمْ تَصَرُّمَ الأعمار ؟ ! ..

وما هذا التفريطُ ، وأنتـــم على الآثار ،

وقد أيقنتم أن دار الفناء : ليست لكم دارَ قرار ؟!..

* * *

عِبـــادَ اللهِ :

أوصيكم ونفسِى بالإكثارِ فى هذا الشهرِ

من كلِّ عملٍ مـــبرُور . .

وأنهاكم أن تُخبِطُوا صِيامَكم بالغِيبَةِ والنَّميمةِ وقَولِ الزُّور .

فرُبَّ صائمٍ أطالَ صيامَه وقِيامَه ، وهو غيرُ مأجور !..

يا غافِلًا عن طاعةِ اللهِ : ما هٰذه الغفلةُ والفُتور ؟!..

يا هائمًا فى الهوٰى : أما تخشى ظُلُماتِ القُبور ؟ !..

يا عامِلًا بالبِـــدَع والخطايا :

أمَا علمتَ أنَّ اللهَ غَيُور ؟!..

يا مائلًا إلى زَهْـــرةِ الدنيا :

فما الحياةُ الدنيا إلَّا مَتـــاعُ الغُرور !..

اللَّهُـــمَّ : أيقِظْنَا لِمَصالِحنا .

واعصِمْنا من ذنوبنا وقبائحنا .

واستعمِل فى طاعتِك جميعَ جوارِحِنا .

واغفر ـ اللَّهُمَّ ـ لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين :

الأحيـــاء منهم والميِّتين .

برحمتِك يا أرحم الرَّاحمين .

وصلى الله على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

﴿ الفصل الثالث والعشرون :
فى إخلاصِ العملِ لله سبحانه وتعالى ﴾

الحمدُ لله المُغنى الحميد ، المبدئ المُعيد ،
الفعّال لمـــا يريد .
أحمـــدُه سُبحانه على ما أوْلاه
من الإنعامِ والإكرام والتّسديد .
وأشكره طالباً بِشُكرِه المزيد .
وأشهد أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له العزيز الحميد ـ
شهادةً نرجو بها النّجاة من نارٍ شديدةِ الوَقُودِ ..
ونُؤمِّل بها من فضلِه المزيد .
وأشهَدُ أن سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عبده ورسوله :
أفضلُ من دعا إلى الإيمان والتّوحيد .
اللّهُـــمَّ : صلِّ وسلم وبارِك
على نبيِّنـــا محمد وآلِه وأصحابه ،
ومن تَبِعَهم من صالح العبيد ،
وسلِّم تسليما كثيراً .

* * *

اِعلموا ـ رحمكم اللهُ ـ أنه ينبغى للصائم القائم ،
الذى يرجو ثوابَ صِـــيامِهِ وقِيامِه ،
أن يحفظَ صِيامَه عمَّا يَشُوبه من المعاصى ـ

كقَوْلِ الزُّور والكذِبِ والغِيبَةِ والنَّميمةِ ،
وعن الاستماعِ إلى اللَّهوِ والأغانى ، وغيرِ ذلك .
وأن يُخلِصَ عملَه لربِّه تعالى ، ولا يُرائِىَ بعَمَلِه أحدًا .
قال الله تبارك وتعالى :
﴿ فَمَنْ كانَ يَرْجُو لِقاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صالِحًا ،
وَلَا يُشْرِكْ بِعِبادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا ﴾ .
وقد قال النبىُّ صلى الله عليه وسلم :
« رُبَّ صائمٍ حَظُّهُ مِنْ صِيامِهِ : الْجُوعُ والظَّمأُ . .
وَرُبَّ قائمٍ حَظُّهُ مِنْ قِيامِهِ : السَّهَرُ . »

* * *

واعلموا ـ رحمكم اللهُ ـ أنَّ أهَمَّ ما على الإنسانِ :
المُحافظةُ على أداءِ الصلوات المكتُوبات مع الجماعة ،
فقد وردَتِ الأخبارُ الصَّحيحةُ فى الترغيبِ فيها ،
والمُحافظةِ عليها ، والتَّرهيبِ من تركها والتَّهاونِ فيها .
عن عبد الله بن عُمرَ رضى الله عنهما ،
أن رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم قالَ :
« صلاةُ الجماعةِ : أفضَلُ من صلاةِ الفَذِّ
بسبعٍ وعشرين دَرَجةً . »
(متفقٌ عليه)

وعن أبي هريرة رضى اللهُ عنه ، قال :

قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

« صلاةُ الرجلِ فى الجَماعَةِ ، تُضاعَفُ

عَلَى صلاتِه فى بيتِه ، وفى سُوقِه :

خمساً وعشرين ضِعفاً .

وذلك أنه إذا تَوَضَّأ فأحسن الوُضوءَ ،

ثم خَرَجَ إلى المسجدِ لا يُخرِجُه إلا الصلاة ـ

لم يَخْطُ خطوةً : إلا رُفِعَتْ له

بها درجةٌ ، وحُطَّ عنه بها خطيئةٌ .

فإذا صَلَّى : لم تَزَلِ الملائكةُ تُصَلِّى عليه

ـ ما دام فى مُصَلَّاهُ ـ تقول :

(اللهم صَلِّ عليه ، اللهم اغفر له ، اللهم ارحمهُ) .

ولا يزالُ فى صلاةٍ ، ما دام ينتظرُ الصلاة . »

(متفق عليه ، واللَّفظُ للبخارى .

إلى غير ذلك من الأحاديث)

وروى مسلمٌ عن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« يُؤْتَىٰ بالنَّارِ يَوْمَ القِيامَةِ ـ لَهَا سَبْعُونَ أَلْفَ زِمامٍ ؛

مَعَ كُلِّ زِمامٍ : سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ ، يَجُرُّونَها . »

وعن أنسِ بن مالكٍ رضى الله عنه :

عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم قال :

« إنَّ نارَكُمْ هٰذِهِ : جُزْءٌ مِنْ سَبْعِينَ جُزْءًا مِن نارِ جَهَنَّمَ .

ولَوْلَا أَنَّها أُطْفِئَتْ مَرَّتَيْنِ ، ما اسْتَنْتَعْتُمْ بِها .

وَإِنَّها لَتَدْعُو اللهَ عَزَّ وَجَلَّ أَلَّا يُعِيدَها فِيها . »

(رواه ابن ماجه)

* * *

إخوانى : أما تعتبِرون بهذه الأحوال ؟!..

أما تُشْفِقون من نارِ جَهَنَّمَ ، وما فيها من العذابِ والأنكال ؟!..

أمَا تَحْذَرُونَ سَلاسِلَها والأغلال ؟!..

وا عَجَبًا لمن يقرعُ سَمْعَه ذِكْرُ السَّعير ،

وهو من عذابِها غير مُستجير ؟!..

أفيك جَلَدٌ على الحميمِ والزَّمهرير ؟!..

أفيكَ جَلَدٌ على نارٍ وَقُودُها النَّاسُ والحِجارة ؟!..

أم قد رَضِيتَ لِنَفْسِكَ بهذه الخسارة ؟! ..

فيا وَيْحَ من كانت هذه الدَّارُ دارَه !..

ألا إنَّها نارٌ وقُودُها الناسُ والحِجارة .

(شعراً) :

النارُ مَنْزِلُ أهلِ الكُفْرِ كُلِّهِمُ

طِباقُها سَبْعة : مُسْوَدَّةُ الحُفَرِ

جهنّمُ ولظَى من بَعدها حُطَمُ
ثم السَّعِيرُ ، وكلُّ الهولِ فى سَقَرِ
وتحتَ ذاكَ جَحيمٌ ثم هاوِيَةٌ
تَهْوِى بهم أبدًا فى حَرِّ مُسْتَعِرِ
فيها غِلاظٌ شِدادٌ من ملائكةٍ
قلوبهم شِدَّةً أقسَى من الحجرِ
لهم مقامِعُ للتَّعذيبِ موحِشَةٌ
وكُلُّ كَسْرٍ لديهم غيرُ مُنْجَبِرِ
سَوداءُ مُظْلِمَةٌ ، شَعْثاءُ مُوحِشَةٌ
دهماءُ مُحْرِقَةٌ ، لَوّاحَةُ البَشَرِ
فيها العقاربُ والحَيّاتُ قد جمعت
جلودُهم كالبِغالِ الدُّهم والحُمُرِ
لها إذا ما غَلَتْ فَوْرٌ يُقَلِّبُهم
ما بين مُرتفعٍ منها ومُنحدِرِ

* * *

قيلَ لزيد بن مزيد : مالنا نراكَ باكيًا خائفًا وجلًا ؟ فقال : (إن اللهَ توعّدنى ، إن أنا عَصَيْتُه : أن يسْجُنَنى فى النارِ . والله ، لوْ لم يتوعّدنى أن يسجُنَنى إلّا فى الحمّامِ ؛ لبكيت لا تجِفُّ لى عَبْرةٌ) .

فَخَـــزَنَةُ جهنم غِلاظٌ شِـــدادٌ ،
أى : طِباعُهُمْ فى غايةِ الشِّدَّةِ والغِلْظة ؛
قد نُزِعَتْ من قلوبهم الرَّحمةُ بالكافرين !..
وخِلْقَتُهم فى غايةِ الكثـــافةِ !..
وتركيبُهم فى غايةِ الشدَّة والمنظرِ المزعِـجِ ؛
سُودُ الوُجوهِ ، كالِحَةٌ أنيابُهم !..
نسألُ اللهَ السَّلامةَ .. إنَّهُ جَوَادٌ كريم .

(شعراً) :

وفى البَعْثِ بَعد الموتِ نشرُ صحائفٍ
وميزانُ قِسْطٍ طائشٌ ومُثَقَّـــلُ
ونَشْرٌ يشيبُ الطِّفْلُ من عِظم هَوْلِه
ومنه الجبـالُ الرَّاســياتُ تزَلْزَلُ
ونارٌ تلظَّى ، فى لَظاها ســـلاسِلٌ
يُغَلُّ بها الفُجَّار ثم يسلســلُوا
شرابُ ذوى الإجرامِ فيها : حميمُها
وزَقُّومها : مطعومهم حين يُؤكلُ
حميمٌ وغسَّاقٌ وآخرُ مثـــلُه
من المُهْلِ يغلى فى البُطون ويُشْعلُ
يزيـــدُ هواناً منْ هواها ولم يزل
إلى قَعْرِها يهْوِى دواماً ويَنـــزِلُ

وفى نارِه يبقىٰ دواماً مُعَـــذَّباً
يصيحُ ثُبـــورًا : وَيْـــلَهُ ، يَتَوَلْوَلُ
عليها صِراطٌ مُـــدْحِضٌ وَمَـزَلَّهُ
عليه البرايا فى القيامَةِ تُحْمَـــلُ
وفيه كلاليبُ تَعَلَّقُ بالْوَرَى
فهـذا نجا منها ، وهذا مُخَرْدَلُ
فلا مُجرمٌ يفْدِيه ما يفتدِى به
وإن يَعتذر يوماً فلا عُذر يقبلُ
فهٰـذا جزاءُ المجرمين على الرَّدى
وهذا الذى يومَ القيامةِ يحصـــلُ
أعوذُ بربِّى من لظىٰ وعذابها
ومن حالِ من يهوِى بها يتَجَلْجَلُ
ومن حالِ مَن فى زمهريرها مُعَذَّبٌ
ومَن كان فى الأغلالِ فيها مُكَبَّلُ

* * *

عِبادَ اللهِ : هذا شهرُ الصيام .
هذا شهر القِيام . هذا شهرُ الملكِ العلَّام .
هذا شهر الصَّدقةِ وصِلَةِ الأرحام .
هذا شهرٌ تُتَفَقَّدُ فيه أحوال المساكينِ والأيتام .

هذا شهرٌ يفتحُ اللهُ فيه أبوابَ الجِنان ،
ويُغلقُ فيهِ أبوابَ النِّيران .
هذا شهرٌ طَهَّرَ اللهُ فيه الأبدان ،
ونَوَّر فيهِ الأكوان ؛ ويجزى فيه بالإحسان .
ياهذا : كيفَ يصومُ من يأكلُ بالغِيبَة والنَّمِيمَةِ لُحومَ الإخوان ؟!
أم كيفَ يُصَلِّى مَن قلبُه فى مكانٍ ، وجِسمُه فى مكان ؟!..
أم كيفَ يتصدَّقُ من كَسْبُه حرام ؟!..
فهو يستُر غيره ، وهو عُرْيان !..

* * *

اَللَّهُمَّ : أعْتِقْنا من النَّار ،
وسلِّمنا من دارِ الخِزْى والبَوار ،
ووفِّقنا لِسلوكِ عِبادِكَ الأخيار ،
وكفِّر عنَّا جميع الذُّنوبِ والأوْزار ،
وأدخِلنا الجنَّةَ : دارَ القرار ..

* * *

واغفر - اللَّهُمَّ - لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين :
الأحياء منهم والميِّتين .
برحمتِكَ يا أرحم الرَّاحمين .
وصلى الله على نبيِّنا محمد وآله وصَحْبِه أجمعين .

﴿ الفصل الرابع والعشرون :
فى أنَّ تكفير الذُّنوب بصيام رمضان :
مشروطٌ بالتَّحفُّظ مِمَّا ينبغى التحفُّظ منه ﴾

الحمد لله الذى حكَم بالفناء على أهلِ هذه الدار ،
وهدَمَ بالموت مَشِيدَ الأعمار ،
وجعلهم فيها أغراضاً لسِهامِ الأقضِيَة والأقدار ،
وأجرىٰ عليهم أمراضاً تُزعِجهم عن القرار ،
وسَوّىٰ فيه بين الفقراء وذوى اليَسار ،
والبادِيَــة والحُضَّار ..
أحمدُه سبحانه ، وحلاوةُ مَحامِدِه تزدادُ بالتَّكرار ..
وأشكره ، وفضْلُه على شاكِرِه مِدْرار ..
وأشهد أن لا إله إلا الله الملك العظيم القادر القهار :
شهادةَ نرجو بها النجاة من دار الهوانِ والبَوار ،
ونُؤَمِّل بها من كرمه جناتٍ تجرى من تحتها الأنهار ..
وأشهد أن سيِّدَنا ونبيَّنا مُحَمَّداً
عبده ورسوله المصطفى المختار ،
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه : البرَرَةِ الأطهار ،
وسلم تسليماً كثيراً .

* * *

اعلموا ـ رحمكم الله ـ أن تكفير الذُّنوب بصيام رمضان ،
يتوقَّف على التَّحفُّظ مما ينبغى التحفُّظ منه ،
كما فى مسند الإمام أحمد وصحيح ابن حبان ..
عن أبى سعيد أن النبىَّ صلى الله عليه وسلَّم قال :
« مَنْ صام رمضانَ فعرف حُدودَه ،
وتحفَّظ مِمَّا ينبغى أن يتحفَّظ منه :
كفَّرَ ذَنْبَ ما قبْلَه . »
وروى ابن أبى الدنيا عن أبى جعفرٍ محمد بن علىٍّ مُرسلًا ،
أن النبى صلى الله عليه وسلم قال :
« من أتى عليه رمضانُ صحيحًا مسلمًا ـ
صامَ نهارَه ، وصلَّى وِرْدًا من ليْلِه ،
وغضَّ بصَرَه ، وحَفِظَ فَرْجَه ولِسانَه ،
وحافظ على صلاتِه فى الجماعة ،
وبكَّرَ إلى جُمَعِـه :
فقد صامَ الشَّهْرَ ، واستكملَ الأجرَ ،
وأدركَ ليْلةَ القَـدْر ،
وفاز بجائزة الرَّب تباركَ وتعالى . »
والجمهورُ على أن تكفيرَ الذنوبِ إنما هو :
تكفيرُ الصَّغائرِ دون الكبائر ،
لأن الكبائر لا تُكفَّرُ إلا بالتوبةِ النَّصُوح ..

ويدلُّ على ذلك ما خرّجه مسلمٌ عن أبي هريرة رضى الله عنه ،
عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال :
« الصلواتُ الخمسُ ، والجُمُعَةُ إلى الجمعةِ ،
ورمضانُ إلى رمضان : مُكفِّرات لما بَيْنَهُنَّ ؛
إذا اجْتُنِبتِ الكبائرُ » .
فمن لم يجْتَنِب الكبائرَ : لم تُكفِّر له هذه الأعمال .
وأمَّا صيامُ رمضان وقيامُه ، فيتوقَّفُ التكفيرُ بهما
على تَمامِ الشهرِ .. فإذا تمَّ الشهرُ :
فقد كُمِّلَ للمؤمن صيامُ رمضان وقيامُه ..
ويدلُّ على ذلك ما رواه الإمام أحمد عن أبي هريرة رضى الله عنه ،
عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم ، قال :
« أُعْطِيَتْ أُمَّتِي خَمْسَ خِصالٍ فى رَمَضَانَ ، لَمْ تُعْطَها أُمَّةٌ غَيْرُها :
خُلُوفُ فَمِ الصَّائِمِ : أَطْيَبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ رِيحِ الْمِسْكِ ..
وَتَسْتَغْفِرُ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ ، حَتَّى يُفْطِرُوا ..
وَيُزَيِّنُ اللهُ كُلَّ يَوْمٍ جَنَّتَهُ ، وَيَقُول :
[يُوشِكُ عِبَادِي الصَّالِحُونَ أَنْ يُلْقُوا عَنْهُم
الْمُؤْنَةَ وَالْأَذَى ، وَيَصِيرُوا إِلَيْكِ] ..
وَتُصَفَّدُ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّياطِينِ ؛
فَلَا يَخْلُصُونَ فِيهِ إِلَى مَا يَخْلُصُونَ إِلَيْهِ فِي غَيْرِهِ .
وَيُغْفَرُ لَهُمْ فِي آخِرِ لَيْلَةٍ مِنْ رَمَضَانَ . »

قِيلَ : يا رسولَ اللهِ ، أهي ليلةُ القدرِ ؟

قال : « لَا ، وَلٰكِنَّ العامِلَ :

إنَّما يُوَفَّى أَجْرَهُ ، إذَا قَضَى عَمَلَه . »

واعلموا ـ رحِمَكم الله ـ أنه ينبغى للصائمِ ،

الذى يرجو ثوابَ صيامِه وقِيامه ،

أن يحفَظَ صِيامَه عما يَشُوبُه من المعاصى :

كقَوْلِ الزُّورِ ، والكذِبِ ، والغِيبَةِ والنَّمِيمَةِ .

قال النبىُّ صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ لَمْ يَدَعْ قَوْلَ الزُّورِ وَالْعَمَلَ بِهِ ، فَلَيْسَ لِلّٰهِ حاجَةٌ

فِى أَنْ يَدَعَ طَعامَهُ وَشَرابَهُ . »

إخوانى : ما أحسنَ حالَ من التجأ إلى رَبِّ العالمين !..

ما أصْبَحَ وُجُوهَ المُتهجِّدين !.. ما أعزَّ أنفاسَ الصَّائمين !..

ما أحلىٰ مُناجاةَ القائمين ، وما أعطَرَ أنفاسَ الذَّاكِرين ،

وما أنفَعَ بُكاءَ المحرومين ، وما أحلىٰ عَيْشَ المقبولين ،

وما أمرَّ عَيْشَ المطرودين ، وما أذلَّ نُفوسَ الخاطئين ،

وما أسْوَءَ حالَ المحرومين ، وما أعظَمَ حسرةَ الغافلين ،

وما أشنعَ عيشَ المحجوبين ، وما أعمَى قُلوبَ الظالمين ،

وما أقبحَ وُجوهَ العُصاةِ والمُذنبين !..

كان بعض السَّلَف الصالحين له وِرْدٌ بالليل ، فنام عنه .. فوقف عليه فتًى فى منامِه ، فقال له هذه الأبيات شعراً :

تَيَقَّظْ بساعاتٍ من الليل يا فتىٰ
لعلَّك تَحْظَى فى الجِنان بِحُورها
تنَعَّمْ فى دارٍ يدوم نعيمُهـــا
محمدٌ فيهـــا والخليلُ يزورُها
قُمْ فتيَقَّظْ ساعةً بعـــد ساعةٍ
عساكَ تقضى ما بقى من مُهورِها

* * *

واعلموا ـ رحِمَكم الله ـ أن من زرع حصد ، ومن جَدَّ وجد .

أىُّ مطلوبٍ : نِيلَ من غير مشقة ؟.

وأىُّ مرغوبٍ : لم تبعد على طالِبِه الشُّقَّة ؟

المال لا يُتحصَّلُ إلا بالتَّعَب .. والعلم لا يُدْرَك إلا بالطَّلَب ..

واسْمُ الجُود لا يناله بخيل ..

ولقبُ الشجاع لا يحصل إلا بعد تعب طويل ..

فآهٍ على قُلوبٍ أقسىٰ من الحديد !..

وآهٍ على نُفوسٍ عن طريق الرَّشاد تحيد !..

وآهٍ على عُيون أصلب من الجلاميد !..

* * *

عِبـــادَ اللهِ :

ما أشْرَفَ الأوقاتِ ، وقد ضيعتموها !..

وما أجهلَ النُّفُوسِ ، وقد أطعْتُموها ! .

وما أدقَّ الحِسابِ والسؤالِ عن الأموالِ ،

فانظروا : كيف جمعتموها ؟!..

وما أحْفَظَ الصُّحُفِ للأعمالِ ، فتدبَّروا ما أوْدَعتموها ،

قبل أن تنزلوا بُطونَ اللُّحودِ ، وتصيروا طعاماً لِلدُّود ،

فى بيْتٍ مظلمٍ بابُهُ مَسْدود ؛

ولو قيل للعاصى فيه : ما تختار ؟ لقال : أعودُ ، ولا أعود ..

* * *

اللَّهُـــمَّ : اجعلْ عملَنا مقبولا ،

وسعْيَنا مشكوراً ، وذَنْبَنا مغفوراً ..

اللهُمَّ : اجعل اجتِماعَنا اجتماعاً مرحوماً ،

وتفرُّقَنا تفرُّقاً معصوماً ،

ولا تجعل فينا شقيًّا ولا محروماً ،

واغفر ـ اللَّهُمَّ ـ لنا ، ولوالدينا ، ولجميع المسلمين :

الأحيـــاء منهم والميِّتين ،

برحمتكَ يا أرحم الراحمين ،

وصلىٰ الله على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

﴿ الفصل الخامس والعشرون :
فى فضْلِ قِيام الليل ، والأمر بالدُّعاء فيه ﴾

الحمدُ للهِ الذى فتح أبوابَ الجِنانِ ،
بما فيها من الحُبُور والسرور .
وأعَدَّها لأهل الإيمانِ ، بما فيها من الحُور والقُصور .
القدير الذى شملت قدرتُه كلَّ مقدور .
فسُبحان من فاوَتَ بين خَلْقِه :
فهذا مجبورٌ ، وهذا مكسور !..
فإذا رأيتَ هذا الغَبْنَ والفَرْقَ ،
فقُل : ذلك تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْغَفُورِ !..
أحمده وأشكره على نِعَمٍ تتجدَّدُ بالرَّواح والبُكُور .
وأشهد أن لا إلٰه إلا اللهُ وحده لا شريك له ،
الإلٰه : الغفور الشكور ..
وأشهد أنَّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عبْدُه ورسولُه :
المبعوثُ بالهُـــدَى والنُّور .
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه ،
الذين هم للاهتداء : نجومٌ ، وللظُّلَم : بُدُور .
وسلم تسليماً كثيراً .

* * *

إعلموا ـ رحِمَكم اللهُ ـ أن اللهَ سُبحانه وتعالى
أمر بالدُّعاء ، وَوَعد بالإجابةِ .
قال تبارك وتعالى :
﴿ وَقالَ رَبُّكُمُ ٱدْعُونِى أَسْتَجِبْ لَكُمْ ،
إِنَّ ٱلَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِى ،
سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ ﴾ .
واعلموا ـ رحِمَكم اللهُ ـ
أنَّ للدعاء أوقاتًا وللاستجابةِ أوْقاتًا .

* فعن أبى هريرة رضى الله عنه :
أنَّ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم قال :
« ينزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وَتَعالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّماء الدُّنْيا ،
حِينَ يَبْقَىٰ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرُ ، يَقُولُ :
[مَنْ يَدْعُونِى ، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟..
مَنْ يَسْأَلُنِى ، فَأُعْطِيَهُ ؟..
مَنْ يَسْتَغْفِرُنِى ، فَأَغْفِرَ لَهُ ؟..] . »
(رواه البخارى وغيره)

ويَختصُّ هذا فى أشرف الأزمانِ ، وهو : شهرُ رمضان .
ويختصُّ هذا فى العَشْرِ الأواخِرِ منه .
ويختصُّ هذا فى لياليها التى تُرْجىٰ فيها ليلةُ القَدْرِ .

فينبغى لمن وَفَّقه اللهُ تعالى أن يغتنِمَ هذه الليالىَ ،
وأن يُلِحَّ على اللهِ فيها بالدُّعاءِ والتَّضَرُّع .

* وعن أبى هريرة رضى الله عنه :
أن رسولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال :
« أَقْرَبُ ما يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ رَبِّهِ ـ عَزَّ وجَلَّ ـ
وَهُوَ سَاجِدٌ .. فأكْثِرُوا من الدُّعاءِ . »
(رواه مسلم وأبو داود والنسائى)

واعلموا ـ رحِمَكم اللهُ ـ أنَّ هذه الدنيا :
سوقُ مَتْجَرِ الأَبْرار ، ومزرع التَّقوى لِيَوم القَرار ،
ومحلُّ تحصيلِ الزَّادِ للسَّفرِ الذى ليس هو كالأسفار !..
فبادِرُوا ـ إخوانى ـ قبلَ فوات إمكانِ البِدار ..
واغتنموا أنفاسَكم : العظيمةَ المِقدار .
وابكُوا على ما سَلَف من تفريطِكم ؛ فإن القطْرةَ
من الدَّمعِ ـ من خشيةِ الله ـ تُطفئُ البُحورَ من النار ..
وتيقَّظوا فى ساعاتِ الأسحار ،
وأحْضِروا ـ بقلوبِكم ـ قولَ العزيز الغفَّار :
[هل مِن سائلٍ ، فأُعطِيَه ؟..
هل من داعٍ ، فأستجيبَ له ؟..
هل من مُستغفرٍ ، فأغفِرَ له ؟..]

* * *

ابنَ آدم : متىٰ تَذْكر عواقبَ الأُمور ؟!..
إلى متىٰ أنتَ فى جمْعِ ما تبنِى ، تدور ؟!..
أين مَن كانَ قَبلكم : فى المنـــازِلِ والدُّور ؟!..
أين من ظنَّ - بسوء تدبيره -
أنـــه لا يَحُـــور ؟!..
رحَلَ - واللهِ - الـكُلُّ ، فاجتمَعُوا فى القُبور !..
واستوْطَنوا خَشِنَ التُّراب ، إلى النَّفخِ فى الصُّور !..
فإذا قاموا لِفَصْلِ القضاء ، والسماءُ تَمُور ؛
وكُشِفَ الحِجابُ وهُتِكَ المَسْتور ؛
وظهرتْ عجائبُ الأفعالِ ، وحُصِّلَ ما فى الصُّدور ؛
ونُصِبَ الصِّراطُ : فـكَمْ من قَدمٍ عَثُور !..
ووُضِعتْ عليه كلاليبُ لخطفِ كلِّ مغرور !..
وأصبحتْ وُجوهُ المُتَّقين تُشْرِقُ كالبُدور ،
وباؤوا بتجـــارةٍ لَنْ تَبور !..
ودعا أهلُ الفُجورِ بالويلِ والثُّبور !..
وجىءَ بالنارِ تُقادُ بالأزِمَّةِ ، وهى تَفُور !..
إذا أُلقُوا فِيهَا ، سَمِعُوا لَهَا شَهِيقًا وَهِىَ تَفُور .

* * *

إخوانى : إنّما الدنيا متاعٌ ، كلُّ ما فيها : غُرور !..

فتذكّروا هَوْلَ يومٍ فيهِ السماءُ تَمُور .

ولا يَغُرَّنكم فيه إلا العَمَلُ الصّالح المبرور ..

(شعراً) :

لَئِنْ جَلَّ ذنبي وارتكبتُ المآثِما

وأصبحتُ فى بحرِ الخطيئةِ عائِما

فها أنا يا ربِّ أقْرَرْتُ بالّذِى

جَنَيْتُ على نفسِى وأصبحْتُ نادِما

أجَلْ ذُنوبى عند عفوكَ سيِّدى

حقيرٌ ، وإن كانت ذَنُوبى عظائِما

إخْــوانى :

إرغبوا فيما عند اللهِ ، من الأجرِ والثّواب ..

وودِّعوا شهرَ رمضانَ ، فقد عَزَمَ على الذّهاب ..

فهٰذا شهرُ رمضانَ : قد أزِفَ رحيلُه ..

وحانَ تحويلُه ، ولم يَبْقَ منه إلّا قليلُه ..

فيا وَيْحَ : من كان مطروداً عن الباب !..

ويا خَجْلَةَ : من لّا ينتفِعُ بتِلاوَةِ الكِتاب !..

ويا سَوْأَةَ من تَنقضِى المواعِظُ ، وهو ما تاب !..

أما آن للغافلِ : أن يُبصِرَ وَيسمع ؟!..
أما آن للجافي : أن يُنيبَ إلى مولاهُ ويخشع ؟!..
أمَا لكَ عينٌ من مخافةِ اللهِ تدْمَع ؟ !..
تاللهِ ، إنَّ مواعِظَ القرآنِ :
لو خُوطِبَ بها جبلٌ ، لتصدَّع !..
ولٰـكن غلب على القلوب الغفلةُ والهوٰى ؛
فالوعظُ فيهـــا لا ينفع !..
واستولىٰ عليها حُبُّ الدنيا ، فهى لا تُبصِرُ ولا تَسمع !..

* * *

عِبـــادَ اللهِ :
إنَّ شهرَكم هذا : شهرُ البركاتِ والسُّرور .
شهرٌ ضاعَفَ اللهُ أجرَهُ ، وهو بالخيراتِ مغمور ..
شهرٌ : الدعاءُ فيه مُستجاب ، والجنةُ فيه : مُفَتَّحةُ الأبواب .
والتَّوبةُ : مقبولةٌ ، لمن تاب .
والتِّجارَةُ فيـــه لَنْ تَبُور .
طوبىٰ لِمَنْ صامَهُ حَقَّ الصِّيام ..
وهنيئًا لمن قامَهُ حقَّ القِيـــام ..
وسُعْدًا لمن أخلص فيه للمَلِكِ العَـــلَّام .
إنَّـــه لَغَفُورٌ شَكُور .

* * *

عِبـــادَ اللهِ :

أُوصيكُمْ ونفسى بالإكثار فيه من كلِّ عملٍ مبرور .

وأنهاكم أن تُحْبِطوا فيه صِيامَكم ،

بالغِيبَـــةِ والنَّميمَـــةِ وقَولِ الزُّور .

فرُبَّ جائـعٍ : أجاعَ فُؤادَه ، وهو مأزور !..

ورُبَّ قائمٍ : أطالَ قِيامَه ، وهو غيرُ مأجور !..

يا غافِلًا عن طاعةِ اللهِ : ما هذه الغَفْلةُ والفُتور ؟!..

يا هائِمًا فى تِيهِ الهوَى : أما تخشىٰ ظُلُماتِ القُبور ؟!.

يا عامِلًا بالبِدَع والخطايا : أما علمتَ أن اللهَ غَيُور ؟ !..

يا مائِلًا إلىٰ زهرةِ الدُّنيـــا ؛

فما الحياةُ الدنيا إلا متاعُ الغُرور !..

يا عادلًا عن طريق الهُدَى : متى تنتَبِه ليوم النُّشُور ؟!..

اللهُـــمَّ : احْشُرْنا فى زُمْرَةِ السُّعداء والمُتَّقين ،

وأَلْحِقْنا بالصالحين ، وتوَفَّنا مُسلمين ،

ولا تجعلْ مُصيبَتَنا فى الدِّين ، ولا مِنْ رحمتِك آيِسين ،

ولا عن بابِكَ مطرودين .

واغفر ـ اللهُـــمَّ ـ لنا ولوالدينا ، ولجميع المسلمين :

الأحياء منهم والمَيِّتين ،

برحمتك يا أرحم الراحمين ،

وصلى الله على سيِّدنا محمد وآلِه وصَحْبِه أجمعين .

﴿ الفصل السادس والعشرون :
فى بعض ما رُوى عن النبىِّ صلى الله عليه وسلم
فى لَيْـــلَةِ القَدْر ﴾

الحمدُ لله : الذى أنزلَ القُرْآنَ فى شهرِ رمضان ..
فعَظُمَ قدرُه بذلك ، وأجزلَ فيه الإحسان ..
فيه تُفتحُ أبوابُ الجِنان ، وتُغلقُ فيه أبوابُ النِّيران ..
وَسَّعَ فيه على خَلْقِهِ ، وأنعم فيه عليهم بالغُفْران ..
وأيَّدَه على سائر الشُّهور ، بأن قيَّد فيه كُلَّ ماردٍ وشيطان .
أحمَدُه سُبحانه وتَعالى على جميع الإحْسان ..
وأشكره على ما أوْلاهُ من الفضْل والإمتِنان ..
وأشهد أن لا إله إلّا الله وحده لا شريك له ـ
شهادةً تُنَجِّى صاحِبَها منْ عذابِ النِّيران ..
وأشهدُ أن نبيَّنا محمدًا عبده ورسوله : سيِّدُ ولدِ عدنان .
صلى الله عليه وعلى آلِه وأصحابِه كُلَّ وقت وأوان ،
وسلَّمَ تسليماً كثيرًا ..

إعْلموا ـ رحِمَكم الله ـ أن العلماء قد اختلفوا فى ليلة القدْر
اختلافًا كثيرًا . والصحيح أنها فى رمضان ،
وتختصُّ بالعَشْرِ الأواخِرِ منه ، وليالى الوتْر : آكَدُ .
وقد اختُلِفَ فى تعْيينها ..

فى الصحيحين عن ابن عمر رضى الله عنهما ،
أن رجالًا من أصحاب النبىِّ صلى الله عليه وسلم ،
رأوْا ليْلةَ القدْر فى المَنام فى السَّبْعِ الأواخِرِ من رمضان ،
فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم :
« أَرَى رُؤْياكُمْ قَدْ تَواطَأَتْ فِى السَّبْعِ الْأَواخِرِ ..
فَمَنْ كانَ مُتَحَرِّيها ؛ فَلْيَتَحَرَّها فِى السَّبْعِ الْأَواخِرِ . »
ولمسلمٍ عن ابن عباسٍ عن النبىِّ صلى الله عليه وسلم ، قال :
« اِلْتَمِسُوا لَيْلَةَ الْقَدْرِ فِى الْعَشْرِ الْأَواخِرِ مِنْ رَمَضان ،
فِى تاسِعَةٍ تَبْقَى ، فِى سابِعَةٍ تَبْقَى ، فِى خامِسَةٍ تَبْقَى . »
وفى رواية له : « هِىَ فى العَشْرِ الأواخِرِ .
هِىَ فِى سَبْعٍ يَمْضِينَ ، أَوْ سَبْعٍ يَبْقِينَ . »

إخوانى : اِعْلموا أن هذا شهرٌ مُبارَكُ الأيامِ ،
وهو سببٌ لِمَحْوِ الذُّنوب وَالآثام ..
فيه يَتوفَّر جزيلُ الأجْـــر وَالإنْعام ..
فـكُونُوا مِمَّنْ حفِظ حُدودَ صَوْمِهِ فيه ،
وأمسكَ عن اللَّغْوِ وَقَوْلِ الزُّورِ على فِيهِ ؛
وأعدَّ عمـــلًا صالحًا لِيوْم الحَشْرِ يُنجِيه ..
فـكَمْ صَوْمٍ فسَدَ ، فلم يسْقُط به الفرْض !..
وكمْ من صائمٍ يفضحُه الحِسابُ يومَ العَرْض !..
وكم من عاصٍ - فى هذا الشهرِ - تستغيثُ منه الأرض !..

ابنَ آدمَ : يا مَن نسِيَ العهدَ القديمَ وخان ! ..
يا دائمَ العِصْيان ، متى يُقالُ : تابَ فُلان ؟! ..
من الذى سَوَّاكَ فى صورة إنسان ؟! ..
من الذى غَذَّاكَ فى أعْجبِ مكان ؟!..
مَن الذى بقُدْرتِه استقامتِ الأركان ؟!..
مَن الذى بحِكْمَتِه أبْصَرَتِ العيْنان ؟!..
من الذى وهَبَ العَقلَ ، فاستَبانَ للرُّشْدِ وبان ؟!..
من الذى بارزْتَه بالخطايا ، وهو يستُرُ العِصْيان ؟!..
من الذى تركتَ شُكرَهُ ، فلم يُؤاخِذْكَ بالكُفران ؟!..
إلى كم تُخالِفُنى ، وما يصْبِرُ عَلَى الخِلافِ الأبوان ؟! ..
وتُعامِلُنى بالغَدْرِ الذى لا يرضاهُ الإخْوان ؟! ..
أما تأنَفُ من هذا ؛ وتحميكَ مُرُوءةُ الإنسان ؟! ..
ولو علِمَ الناسُ منكَ ما أعلَمُهُ ، ما جالَسُوكَ فى مكان !..
فارجِعْ إلىَّ ، فأنا المعروفُ بالإحسان ..
وقِفْ على بابى ، فأنا المُفيضُ لمن لاذَ بِى جزيلَ الغُفران .

* * *

إخوانى : كيفَ لا يُرْغَبُ فى صيامِ شهرِ رمضانَ وقِيامِه ؟!..
كيف لا يُبكَىٰ على شهـــرٍ :
تُكفَّرُ فيه جميعُ ذُنوبِ العبدِ وآثامِه ؟! ..

كيف لا يُتأسَّفُ على شهـرٍ :
يفوتُ فيه ربحُ العامِلِ وفُرصُ اغتِنامه ؟ ! ..

* * *

إخـوانى : آهٍ على جـوارِحَ
قابلت بفِعلها القبيحِ ، الفِعلَ الجميل ! ..
آهٍ على أكبادٍ لم تتقطَّعْ خوْفًا من الملكِ الجليل ! ..
آهٍ على قُلوبٍ لم تتفكَّر فى الموتِ ،
فأعظِم به مِن رحيـل ! .
آهٍ على جنَّـةِ عدْنٍ وظِلِّها الظَّليل ! ..
آهٍ على قسْوةٍ سلكَتْ بالقلبِ إلى النارِ ، وبِئْسَ السَّبيل ! ..
آهٍ على قلبٍ بالذُّنوب عليـل ! ..
تزوَّد قَرينًا مِنْ فعالكَ إنما
قرينُ الفَتى فى القبْرِ ما كان يعملُ
فإن كُنتَ مشغولًا بشىءٍ فلا تكُنْ
بغيْرِ الذى يرضى به اللهُ تَشْغَلُ
فلنْ يصْحبَ الإنسانَ مِن بعد موْتِهِ
إلىٰ قبْرِه إلا الذى كان يعملُ
ألا إنما الإنسانُ ضيفٌ لأهْلِهِ
يُقيم قليـلا عِندهم ثُمَّ يرْحَلُ

عِبـــادَ اللهِ : كيف يصومُ من يأكلُ
ـ بالغِيبَةِ ، والنَّميمةِ ـ لُحومَ الأنام ؟! ..
وكيف يُصلِّي من قلبُه فى مكانٍ ، وجسمُه فى مكان ؟! ..
أم كيف يتصدَّقُ من كَسْبُه حرامٌ ،
فيستُرَ غيرَهُ وهو عُريان ؟! ..
فهٰذا ـ عِبـــادَ اللهِ ـ شهرُ الصِّيام والقِيام ..
هٰذا شهرُ الملكِ العَـلَّام ..
هٰذا شهرُ الصَّدقةِ وصِلةِ الأرْحام ..
هذا شهرٌ تُتفقَّدُ فيه المساكين والأيتام ..
هذا شهرُ إطعامِ الطعام ، وإفشاءِ السَّلام ..
هذا شهرُ تِلاوة القرآنِ ، على الدّوام ..
هذا شهرٌ يفتحُ اللهُ فيه أبوابَ الجِنان ،
ويُغلِق فيه أبوابَ النِّيران ..
اللَّهُـمَّ : احْمِنا من المُخالفةِ والعِصيان ..
واصْرِفْ عنا آفاتِ التَّفْريطِ والنِّسيان ..
واجعلْ مَآلنا إلى فسيح الجِنان ..
وأعِذْنا من دارِ العذابِ والهوان ..
واغفر ـ اللَّهُمَّ ـ لنا ولوالدينا ، ولجميع المسلمين :
الأحيـــاءِ منهم والميِّتين .. برحمتِكَ يا أرحم الرّاحمين .
وصلَّى الله على نَبيِّنا محمدٍ ، وآلِه وصَحْبه أجمعين .

﴿ الفصل السابع والعشرون :
فى استِحْبابِ الاغْتِسال فى الليالى
التى تُرْجَى فيها ليلةُ القَدْر ﴾

الحمدُ لِلّه : الذى وَفَّق أولياءه للعملِ بما يُحِبُّه ويَرْضاه ،
وحقَّق على أهلِ معصيتِه ما قدَّره عليهم وقضاه :
النَّاصرِ لمن ينصرُه من أهل طاعته وتقواه ـ
الذين يغضبون لغضبِه ، ويَرْضَوْن لرضاه ..
أحمدُه سُبحانه على ما خوَّله من فضلِه وأسْداه ..
وأشكرُه على سَوابغ نِعَمِه وجزيلِ بِرِّه وآلاه ..
وأشهد أن لَّا إلٰه إلَّا الله وحده لا شريك له :
شهادةَ من عرف ربَّه ، ولم يُعامِلْ أحداً سِواه ..
وأشهد أن سيدنا ونبينا محمـــدًا عبدُه ورسوله ،
الذى اصْطَفاهُ واجْتَباه ، وأمره بطاعتِه وتقْواه ،
وعن طاعة المنافقين حذَّره ونهاه ،
صلى الله عليـــه وعلى آله وأصحابه ،
وجميعِ من نصره وتولَّاه ،
وسلَّم تسليماً كثيراً .

* * *

اِعلموا ـ رحِمَكم اللهُ ـ أنه يُستحبُّ الاغتسالُ :
فى كل ليلةٍ من ليالى العَشْر ،
وكذا يُستحبُّ التَّطَيُّب ، ولبسُ أفخرِ الثِّياب ،
وتطييبُ المساجد : فى الليالى التى :
تُرْجىٰ فيها ليلةُ القدر .
كما ورد عن أيوب السختيانى وثابت البُنَانى ،
وحُميدِ الطويلِ وتميمِ الدارى : أنهم
كانوا يلبسون أفخرَ الثِّياب ويتطيَّبون .
وأما الاغتسالُ بين العشاءَيْن كُلَّ ليلةٍ :
من ليالى العشر الأواخِر من رمضان ،
فرُوِىَ من حديث علىٍّ رضى الله عنه :
(أن النبىَّ صلى الله عليه وسلم كان يغتسلُ بين العشاءين :
كل ليلةٍ من ليالى العَشْرِ الأواخِرِ من رمضان) .
قال ابن جريرٍ : كانوا يستحِبُّون أن يغتسلوا
كُلَّ ليلةٍ فى العشرِ الأواخِر .

واعلموا ـ رحِمَكم اللهُ ـ أنه لا يكمُلُ تزيينُ الظاهِرِ :
إلَّا بتزيينِ الباطنِ بالتَّوبةِ والإنابةِ إلى الله سبحانه ،
وتطهيرِه من أدناسِ الذنوب ؛

فإن زينةَ الظاهرِ مع خَرابِ الباطنِ لا تُغني شيئاً ، كما قيل :

إذا المرءُ لم يلبس ثِياباً من التُّقى
تَجرَّدَ عُرياناً وَلَوْ كان كاسِيا

وخَـــيْرُ خِصالِ المرءِ : طاعةُ رَبِّه
ولا خَيْرَ فيمَنْ كانَ لِلّهِ عاصِيا

* * *

إخـــوانى : جِدُّوا واجتهِدوا ، فما بقى من الشهرِ إلّا القليل ..

وبادِروا بالأعمالِ الصالحةِ ، قبـــلَ الرَّحيل ..

فوا أسَفاَ : أن تأتِيَ غداً ، وأنتَ حقيرٌ ذليل !..

فللّهِ دَرُّ : من عَمِلَ وبادَرَ شُهورَه وسِنِيَّهُ ! .

وتَدَرَّعَ بالحَيـــاء والوَقارِ والسَّكينة ! ..

وعمِل ليومٍ فيه كُلُّ نفسٍ بما كسبتْ رهينة !..

فهذا ـ عِبادَ اللهِ ـ شهرُ رمضان قد أخذ فى النقص والإنصرام .

فخُذُوا أنتُـــم فى الإجتهادِ والإهتمام .

ومَنْ كان مِنكم أحسن ، فعليـــه بالتَّمام ..

ومَنْ كان فرَّطَ فليختِمْهُ بالحُسنىٰ ، فالعملُ بالخِتام .

واستدْرِكوا فيه بقِيَّـــةَ الليالِى والأيّام ..

ألَا وإنَّ شهْرًا عظَّمَه الرحمٰنُ ، وأنزل فيه القُرآن ،

لحقيقٌ بالإكرام والإحترام !..

* * *

ابنَ آدم : يا غافِلًا عن الموتِ ، وقد دنا إليه !..
ياساعِيًا إلى ما يضُرُّه بقدميْـــه !..
كمْ عاينَ ميِّتًا ، واعتبرَ بعَيْنَيه ؟!..
أينفعُ - يومَ الرَّحيل - دمعٌ جَرَىٰ على خدَّيه ؟!..

* * *

إخـــوانى : اِجتهِدوا هٰذه الليالىَ فى مَحْوِ ذُنوبِكم ..
واستغيثوا إلى مَوْلاكم من عُيُوبِكم ..
هٰذه لَيالى الإنابة : فيها تُفتَح أبوابُ الإجابة ..

* * *

إخـــوانى : إلى كمْ مع البَلايا ؟!..
إلى متى تأمنونَ الرَّزايا ؟!..
أين الاِستِعدادُ لِلْمَنـــايا ؟!..
اِعتذروا - فى هذه الليالى - من الخطايا ..
وأقبِـــلوا بالقلوب إليـــه ..
وقِفُوا بالخُضوع والخُشوع لَدَيْه ..
وتعلَّقوا بجُودِهِ : تَمويلًا عليـــه ..
وانكَسِرُوا بالذُّلِّ بين يديْه ..

* * *

عِبـــادَ اللهِ : قد علمتم أنَّ شهرَ رمضانَ راحِلٌ ،
ولم يَبْقَ منه إلا القليل : مَضىٰ وانقضىٰ ، كأنَّه ما كان !..
وشهد على المُسيء بالإساءةِ ، وللمُحْسِنِ بالإحسان ..
فزوِّدوهُ بالطَّاعةِ أيُّها الإخوان ..
واحذروا الحِقْدَ والحَسَدَ ، وطاعةَ الشيطان ..
واغتنِموا ما بقِيَ من شهرِكم بالاجتِهاد ..
وحَصِّلوا زادًا ينفعُكم يومَ المَعاد .
وودِّعوا شهرَكم هذا وَداعَ الأحْباب ..
وقُولوا : أعادَكَ اللهُ علينا ، يا شهرَ الغُفران والثَّواب .
كانتْ مساجِدُنا فيكَ : بالخيراتِ مَعْمورَة ..
ومصابيحُنا فيكَ : بالأنوارِ مشهورة .
وذُنوبُنا فيكَ : بِعَفوِ اللهِ مغفورة .
اللَّهُـمَّ : اشْفِ فى هذه الليـلةِ مرْضانا .
وارْحَـمْ بفضلِكَ مَوْتانا ..
وأصلِحْ أُمورَ دِينِنـا ودُنيانا ..
وجازِنا ـ اللهمَّ ـ بالحسنةِ : إحسانا ، وبالسيِّئةِ : غُفرانا .
واغفر ـ اللهمَّ ـ لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين :
الأحيـاء منهم والمَيِّتين .
برحمتِك يا أرحم الراحمين ..
وصلَّى اللهُ على نبيِّنا محمدٍ وآلِه وصَحْبِه أجمعين .

﴿ الفصل الثامن والعشرون :
فى اغتِنام أوقاتِ الفضائلِ قَبلَ فَواتِها ﴾

الحَمْـــدُ لله : الذى لم يخلُق الخَلْقَ ، إلّا لِيَعْبُدُوه ..
ولا أسْبَغَ عليهم نِعَمَه ، إلّا لِيَحْمَدُوه ..
ولا أنزلَ عليهم كُتبَه وأرسل إليهم رُسُلَه ، إلّا لِيَعْرِفُوه ..
أحمدُه سُبحانه : حمْدَ عبدٍ يخافُه ويرجوه ..
وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له :
لا يُسْأَلُ عما يَفعلُ ، ويَسأَلُ خَلْقَه عما فعلوه .
وأشهد أنّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عبدُه ورسوله :
الذى دعا أُمَّتَه إلى التوحيـــدِ ،
وأوْصاهم بأن يخافوا اللهَ ويتَّقُوه ..
صلى الله عليه وعلى آله وأصحابه :
الذين آزَرُوه ونصروه ..
وسَلَّم تسليماً كثيرًا .

* * *

اِعلموا ـ رحِمَكم اللهُ ـ أن السَّلف الصَّالح
يهتمُّون بقبولِ العملِ : أشَدَّ اهتماماً منهم بالعملِ ..
كما رُوِىَ عن علىٍّ رضى اللهُ عنه أنه قال :
(كونُوا لِقَبُولِ العملِ : أشدَّ اهتماماً من العمل) .

ألم تَسْمعوا اللهَ سُبحانه وتعالى يقول :

﴿ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

فهذه حالُ السَّلَفِ الصالحِ :

يجتهدون فى إتمام العملِ ، وإكمالِه وإتقانِه ..

ثمَّ يهتَمُّون - بعد ذلك - بِقَبُوله ، ويخافون من ردِّه ..

وهؤلاء : ﴿ الذين يُؤْتُونَ ما آتَوْا وقلوبُهم وَجِلَةٌ ﴾ ..

وقال مالكُ بن دينارٍ :

(الخوْف على العمل أن لا يُتقبَّلَ : أشَدُّ من العمل) .

وقال عبد العزيز بن أبى روَّاد :

(أدركتُهم يجتهِدون فى العمل الصالِح ..

فإذا فعلوه ، وَقَعَ عليهم الهَمُّ : أيُقبلُ منهم أم لا ؟)

قال بعض السَّلَف :

(كانوا يَدْعُون اللهَ ستَّةَ أشهُرٍ : أن يُبَلِّغَهم رمضانَ .

ثمَّ يدْعُونَه ستَّةَ أشهرٍ : أن يتقبَّله منهم !..)

رأى وهيبُ بنُ الورد قومًا يضحكون يومَ عيدٍ ، فقال :

(إن كان هؤلاء تُقُبِّلَ منهم صِيامُهم ،

فما هذا فِعْلُ الشاكرين !..

وإن كان لم يُتقبَّل منهم صِيامُهم ،

فما هذا فِعْلُ الخائفين !.)

وعن الحسنِ قال :

(جعل اللهُ شهرَ رمضان لِخَلْقِه : مِضمارًا ،

يستَبِقُونَ فيه بطاعتِه ومَرْضاتِه .

فسَبَقَ قومٌ ، ففازوا .. وتَخَلَّفَ آخرونَ ، فخابُوا) .

عِبـــادَ الله : هذا شهرُ رمضانَ ؛

قد عزَمَ على الإنصراف والإنصرام ..

ونَوى الثَّقْلَةَ عنكم ، والرحيـــلَ بعد المقام .

وهو شاهدٌ لكم أو عليكم ،

بما أودعتُموه من الأعمالِ عند الملكِ العَـــلَّام .

طالما عَمَرَتْ به القُلوبُ ، وَدَرَسَتْ به معالِمُ الذُّنوب والآثام .

وقد كان لكم : نِعمَ الضيفُ .

فهل أكلتُم حقَّهُ ، أم قمتُم بما يجب له من الإكرام ؟!..

فلَمِلَّ المُسَوِّفَ فيه بالتَّوبةِ لا يُدرِكُه بعد هذا العام ؛

والمُغْتَرَّ بالإهمالِ لا تُهمِلُه المَنُونُ إلى استِكمالِ التَّمام ؛

فينـــدمَ حين لا ينفعُه النَّـــدم ،

ويتأسَّفَ على التَّفريط إذا زلَّت به فى القيامةِ القَدَم !..

إخـــوانى : كيف يطمَئِنُّ إلى الدنيا

من رَأى سُرْعةَ الإنتقال ؟!..

كيف يطمعُ فى المقامِ : من يرى تقلُّبَ الأحوال ؟!..

تتبعون الشهواتِ ، وهى : خيـــال !..
وتحملون أوزارًا ، وهى ثقال !..
وتتعللون بالتسويف والآمال !..
وتبارزون بالمعاصى ذا الجـــلال !..
أما أنذركم : من رحلَ من الأحباب بالارتحال ؟ !..
فجدوا ـ رحمكم اللهُ ـ ما دمتم فى زمنِ الإمهال .
واستدركوا شهرَكم ، فقد عزمَ على الارتحال .
عبـــادَ اللهِ : كيف لا يُبكَىٰ على فراق شهرِ رمضان ؟!..
كيف لا يُتأسَّفُ على شهرِ العفوِ والغفران ؟!..
كيف لا يُحزَنُ على شهرِ العِتقِ من النيران ؟!..
فارغبوا فيما عند اللهِ ـ عزَّ وجلَّ ـ من الأجرِ والثواب ..
وودِّعوا شهرَ رمضانَ ، فقد عزمَ على الذهاب .
وبادِروا بالأعمالِ الصالحةِ ، قبلَ غلقِ الباب .
فهذا شهرُ رمضان : قد أزفَ رحيلُه ،
وحانَ تحويلُه ، ولم يبقَ منه إلَّا قليلُه ..
فأكثِروا فيه من العمل الصالح وشيِّعوه ،
بالبُكاء والأسفِ وودِّعوه ..

* * *

إخـــوانى : تداركُوا مواسمَ الغفران .
واجتهِدوا فى بقيةِ شهر رمضان ..

واستغفِروه من الذُّنوب والعِصيان ..

واسألوه قَبولَ ما أسلفتُم من الأعمالِ فى شهرِ رمضان ...

(شـــعراً) :

قُم فى ظلامِ الليلِ وارفع شِكايَةً
إلى اللهِ الأعلىٰ وقلبُك خاشِعُ

وقُلْ : يا رَءوفًا بالعبـادِ ومُحسِناً
ببابِكَ عبدٌ من عبـادِكَ خاضِعُ

فكُن راحِمًا فقْرى وذُلِّى وحالتى
فعفْوُكَ مأمولٌ وفضلُكَ واسِعُ

ووفِّر نصيبى من عطاياكَ سَيِّدى
فما زِلْتَ تُعطِى مَنْ لِبابِكَ قارِعُ

أغِثْ يا عظيمَ الطَّوْلِ عبدًا مُحاذِرًا
يرجوك فى الغُفرانِ : بالعفوِ طامِعُ

اللَّـهُمَّ : اجبُرْ قلوبَنا بفِراقِ شهرِنا بالغُفران ،
والعفوِ والعِتقِ من النِّيران ..
وأدخلنا برحمتِك الجنَّةَ : منزِلَ الرِّضوان .
واجعلنا من المقبولين الفائزين بالجِنان .
واغفر - اللهمَّ - لنا ولوالدينا ، ولجميع المسلمين :
الأحياء منهم والميِّتين .. برحمتِك يا أرحم الرَّاحمين .
وصلى الله على نبيِّنا : محمد وآله وصحبه أجمعين .

﴿ الفصلُ التاسعُ والعشرون :
فى الترغيب فى إتمام العمل وإكماله ﴾

الحمدُ لله : الذى يُزِيلُ جميعَ الأشياء ولا يَزُول ..
الذى جعل القمرَ بعد الكمال يتناقصُ شيئًا فشيئًا ،
وحتى ينتهىَ إلى الأُفول ..
وقد دلَّ ذلك على انقِضاء الآجالِ ؛
وأن الدُّنيا بما فيها : تنقضى وتزول !..
أحمـــدُه سبحانه وأشكرُه وأستغفِرُهُ :
من كلِّ سَهْوٍ وغفلةٍ وذُهول ..
وأشهدُ أن لّا إلٰه إلا الله وحده : لا شريك له :
المُنَـــزَّهُ عن كلِّ ما تحويه العُقول !..
وأشهدُ أن سيِّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه :
أكرَمُ عبْدٍ ، وأعظَمُ رسول ..
صلى اللهُ عليـــه وعلى آله وأصحابه :
صلاةً وسلاماً إلى يومٍ تَذْهَلُ من هَوْلِه العُقول ،
وســـلّم تسليماً كثيرًا .

* * *

عِبـــادَ اللهِ : ماذا حَصَّلَ مَنْ فاتَه خيرُ رمضان ؟!..
وأىُّ شىء أدْرَكَ مَنْ حظُّهُ فيه الخَيْبةُ والحِرمان ؟!..

كَمْ بين مَن حظُّهُ فيه القَبولُ والغُفران ،
وبين من كان حظُّهُ فيه الخَيْبَةُ والخُسران !..
رُبَّ صائم حظُّهُ من صِيامه : الجوع والظمأ !..
ورُبَّ قائم حظُّهُ من قيامه : السَّهرُ .
فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه ،
عن النبىِّ صلى الله عليه وسلم ، قال :
« مَنْ صامَ رَمَضانَ إيماناً وَاحْتِساباً :
غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ ..
وَمَنْ قامَ لَيْلَةَ الْقَدْرِ إيماناً وَاحْتِساباً :
غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ . »
وفى رواية للنسائى :
« مَنْ صامَ رَمَضانَ إيماناً وَاحْتِساباً :
غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ وَما تَأَخَّرَ . »

واعلموا ـ رحِمَكم الله ـ أن المغفرة لها أسباب ..
منها : تفطيرُ الصُّوَّام ، والتَّخْفيف عن المَمْلوك ـ
كما أفادَه حديثُ سلمان المرفوع ..
ومنها : الذِّكْرُ ، ففى حديثٍ مرفوع :
« ذاكِرُ اللهِ فِى رَمَضانَ : مَغْفُورٌ لَهُ » .
ومنها : الاستغفارُ .. والاستغفارُ : طلبُ المغفرة ..

ودعاءُ الصائم : مُستجابٌ فى صِيامِه ، وعند فِطره .

ولهذا كانَ ابنُ عمر رضى الله عنهما ، إذا أفطر يقول :

(اللَّهُـــمَّ : يا واسِعَ المَغفِرة ، اغفر لى) .

وفى حديث أبى هريرة المرفوع فى فضل شهر رمضان :

« ويغفرُ فيه ، إلّا لِمَن أبىٰ »

قالوا : يا أبا هُريرة ، ومن يأبىٰ ؟!..

قال : (يأبىٰ أن يستغفِرَ اللهَ) .

ومنها : استغفارُ الملائكةِ للصّائمين حتى يُفطروا ـ

كما ثبتَ ذلك فى حديث أبى هريرة .

فلما كثُرتْ أسبابُ المغفرةِ فى رمضان :

كان الذى تفوتُه المغفرةُ فيه محروماً غايةَ الحِرمان ..

إخـــوانى : تداركُوا مواسِمَ الخيْرات ،

وتنافَسُوا فى الأعمال ، ما دمتُم فى أيّام الحياة .

وبادِرُوا بالأعمال الصّالحةِ ، قبلَ غلْقِ الباب .

واسألوا مولاكم قَبولَ المَتاب ؛ فهذا شهرُ رمضان :

قَرُبَ رحيلُه ، وأَزِفَ تحويلُه ، ولم يبْقَ إلّا قليلُه .

واستدْرِكوا ـ رحِمَكم الله ـ بقيَّةَ هذه الأيام ..

وقومُوا بما يجِبُ عليكم من واجبِ الإكرام ..

فإنّ شهرَ رمضان قد عَزَمَ على الرَّحيل بعد المقام ..

واعلموا أنَّ الله سُبحانه وتعالى يعتقُ
فى آخرِ ليلةٍ من هذا الشهرِ الشريف :
كما أعتقَ من أوّله إلى آخره -
كما ثبت ذلك فى الأحاديث الصحيحةِ :
(أنّ اللهَ سُبحانَه وتعالى يُعتِقُ كلَّ ليلةٍ عند الإفطار ،
ألفَ ألفِ عتيقٍ من النارِ : كلُّهم قد استَوْجَبُوا النّار . .
ويُعتِقُ فى آخرِ ليلةٍ منه ثلاثين ألفَ ألفِ عتيقٍ من النار :
كلُّهم قد استَوْجَبُوا النّـــار) .
فينبغى لك أيُّها العامِلُ المجتهدُ : أن تجتَهِدَ فى هذه الليلة ،
لعلكَ أن تُكتَبَ من هؤلاء العُتَقاء ..
وأن تجتَهدَ فى إتمامِ العملِ وإكماله وإتقانه ؛
فقد كان السَّلَف الصالح يجتهدُون فى إتمام العمل ،
وإكماله وإتقانه ، ثم يهتمُّون بعد ذلك بقبوله ، ويخافون من ردِّه .
عِبـــادَ اللهِ :
هذا شهرُ رمضان : قد عزم على الرَّحيل بعد المقام .
وقد آن فيه تشتُّت النِّظـــام ..
فمن كان مِنكم أحسن فيه ، فعليه بالتّمام . .
ومن كان فرَّط فليختِمْه بالحُسنىٰ ، فالعملُ بالخِتام ..
واستودِعُوه عملًا صالحًا يشهدُ به لكم عند المَلِكِ العلّام ..
وودِّعُوه - عند فِراقه - بأزكىٰ تحيةٍ وسلام ..

(شعرًا) :

سلامٌ من الرحمٰن كلَّ أوان
على خيْرِ شهرٍ قد مضى وزَمان
سلامٌ على شهْرِ الصِّـــيام فإنّه
أمانٌ مِن الرّحمٰن : أىُّ أمانِ
لئنْ فنِيَتْ أيّامُكَ الغُرُّ بغْتـــةً
فما الحزنُ مِن قلبى عليْك بفانِ

* * *

إخـــوانى : مضى شهرُ الصِّيام ، وكأنّه ما كان !..
وشهِد على المُسىء بالإساءة ، والمُحسنِ بالإحسان ..
وحَصَلَ كُلٌّ على ما قُسِمَ له : من ربحٍ أو خُسران ..
فيا حسرةَ المُفَرِّط : لقد أضاع الزمان !..
ويا خيْبةَ المُسىء : كأنّه من الموت فى أمان ! ..
أعَلِمَ أن القضاء يُمهِلهُ إلى رمضانَ ثان ؟!..

عِبـــادَ اللهِ :

هذا شهرُ رمضانَ قد انْتَصبَ لكم مُوَدِّعًا ،
وسارَ مُسرِعًا ـ فأيْن البُكاء لرحيله ؟!..
وأين الاستِعـــدادُ لقليلِه ؟! .
وأين الاقتِداء بفاعِل الخيرِ ودليلِه ؟ !..

رُوِىَ عن علىٍّ رضى الله عنه ، أنه كان يُنادى
فى آخرِ ليـــلةٍ من شهْر رمضان :
(يا ليْتَ شِعرى : مَنْ هذا المَقبولُ ، فنُهَنِّئَـــه ؟!..
ومَن هذا المَرْدودُ ، فنُعَزِّيـــه ؟!..
أيُّها المَقبول ، هنيئـــاً لكَ ..
أيُّها المحرومُ ، جبَر اللهُ مُصيبتَك) .
ورُوِىَ عن ابن مسعود رضى الله عنه ، أنه كان يقول :
(مَن هٰذا المَقبولُ منا ، فنُهَنِّئَه ؟!..
ومن هـــذا المحرومُ ، فنُعَزِّيه ؟!..
أيُّها المقبولُ ، هنيئاً لك .. أيُّها المطرودُ ، جبَر اللهُ مُصيبتَك) .
اللَّهُـــمَّ : إنَّا توَلَّيْنا صِيامَ شهرِ رمضانَ عَلَى تقصيرٍ مِنا ،
وقد أدَّيْنا مِن حقِّكَ قليلًا من كثيرٍ ..
وقد أنَخْنا ببابِك سائلين .
اللَّهُـــمَّ : فلا تردَّنا خائبين ، ولا من رحمتِك آيسين ..
واجعَلْنا فى هذا الشهرِ من المقبولين المرحومين ،
ولا تجعَلْنا من المَطرودين المَحرومين ،
واغفر ـ اللَّهُمَّ ـ لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين :
الأحيـــاءِ منهم والميِّتين .
برحمتِك يا أرحم الرَّاحمين .
وصلَّى اللهُ على نبيِّنا محمد وآله وصحبه أجمعين .

﴿ الفصل الثلاثون :
فى وَداع شهرِ رمضان المُعَظّم ﴾

الحمــدُ لله : الذى شَرَّفنا بهذا الشهرِ المُباركِ تشريفا ..
وعرَّفنا ما فيه من الخيْراتِ والبركاتِ تعريفا ..
وكلَّفنا بما فيه من الطَّاعاتِ والخَيْراتِ تـكْليفا ..
وضاعَفَ لنا فيه الحسناتِ والأعمالَ الصالحاتِ تضْعيفا ..
أَحمدُه وأشكره سُبحانه وتعالى : إنه كان بنا رحيماً رءوفا .
وأشهدُ أن لّا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له ـ
شهادةَ عبْدٍ كان ولا يزالُ ضعيفا .
وأشهدُ أن سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا : عبدُه ورسولُه ،
الذى كان بـكلِّ الخيراتِ موْصوفا .
صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وأصحابِه :
صلاةً وسلاماً دائِمَيْن ما دام الخيرُ مألوفا ،
وسلَّمَ تسليماً كثيراً .

اِعلموا ـ رحِمَكم اللهُ ـ أنه ينبغى للعبْدِ أن يجتهِدَ
ويُلِحَّ على اللهِ سُبحانه فى دُعائه لِقَبُولِ عملِه ؛
وأن يختِمَ شهرَ رمضانَ : بالتَّوبةِ ،
والاِستِغفارِ ، والذِّكْرِ ، وسُؤال الجنةِ ،
والاِستعاذةِ من النَّـار .

كما ثبت عن المُصطفىٰ المُختار أنه قال :

« اِسْتَكْثِرُوا فِيهِ مِنْ أَرْبَعِ خِصالٍ . »

فمنها : سُؤال الجنَّة ؛ والاِستعاذة من النار ،

وهى من أهَمِّ الدُّعاء .

فيا عِبـــادَ الله : ودِّعوا شهرَكم بالزَّفرات ..

وأسبِلوا لفِراقِه العَبَرات ، واستَوْدِعُوه عملًا صالحًا

يشهدُ به لكم عند عالِمِ السِّرِّ والخفِيَّات .

* * *

إخـــوانى : هذا شهرُ رمضان قد قُوِّضَتْ خِيامُه ،

وتَشَتَّتَ نِظامُه ، وتصرَّمَت لياليه وأيَّامُه ..

فابْكوا عليه بالأحزانِ ، ووَدِّعوه ..

وأجْرُوا لفِـــراقِه الدُّموعَ ، وشَيِّعوه ..

فكمْ من صائمٍ لا يصـــومُ غيرَه أبدا !..

وكمْ من قائمٍ لا يقومُ غيْرَه أبدا !..

* * *

عِبـــادَ اللهِ : أىُّ صيامٍ ، لمن ظلَّ يأكلُ لُحُومَ الأنام ؟!..

وأىُّ قِيامٍ لمن جَسدُه مع التَّاعبين ، وقلبُه مع النِّيام ؟!..

وأىُّ صدقةٍ لمن يتصدَّقُ من مالٍ خبيثٍ حرام ؟!..

إنَّ اللهَ طيِّبٌ لا يقبلُ إلَّا طيِّبًا ، يا أُولِى الأفْهام .

أىُّ صلاةٍ لِمَن يَعُدُّ الرَّكَعاتِ ،
وقلبُه غافلٌ عن تدبُّرِ الآياتِ وما فيها من الأحكام -
يُعَجِّلُ الرُّكوع والسُّجودَ ، ورُبَّما سابقَ الإمام !..
يستطيلُ الصلاةَ ، ولا يستطيلُ لهْوَ الكلام !..
لقد كانَ شهرُ رمضانَ مُنَبِّهًا لذوى الغَفلاتِ والنِّسْيان ؛
ومَوْسِمًا لِمُضاعفةِ الأعمالِ والغُفران ؛
ومَخْصوصًا بفضيلة تِلاوةِ القرآن -
وقتَ إفاضات الكرمِ من المولىٰ والإحسان .
ليلهُ : مَعْمُورٌ بالقِيام ، ونهارُه : مَصُونٌ بالصِّيام .
ونفحاتُ الكرمِ : وارِدَةٌ فيه كُلَّ أوان ..
فكيف لا تجرى دُموعُ المؤمنِ على فقْدِ رمضان ؛
وهو لا يدرى : أَحَظِىَ فيه بالقَبول والغُفران ،
أم قد رُمِىَ فيه بالطّرد والحِرْمان ؟!..
ثم هو لا يدْرى : أيُدْرِكُه فى الزَّمانِ الثّانِ ؟!..
أم قد نُقِلَ اسمُه مع الموتىٰ فى الدِّيوان ؟!..
عِبـــادَ اللهِ :
إنَّ شهرَ رمضانَ قد عزم على الرَّحيل .
ولم يبْقَ منه سوىٰ نزرٍ قليل .
وهو ذاهبٌ عَنْكُم بأفعالِكم ..
وشاهِدٌ عليْكُم غدًا بأعمالِكم ..

ما كانَ أعظمَ ساعاتِه !..

وما كانَ أحلىٰ جميعَ أوقاتِه !..

كانت لياليه : ليالىَ عِتْقٍ ومُباهاةٍ !..

وأسحارُه : أوقاتَ خِدمةٍ ومُناجاةٍ !..

أيُّها الغافِلُ : ذهبَ عنكَ شهرُ رمضان ، وودَّعك ..

وسارت قوافِلُ الصَّالِحينَ ، وجهُلكَ قد منعَك ..

وأنت تُؤَمِّل منازِلَ العامِلينَ بأفعال الغافلينَ : ما أطمعك !..

قُلوبُ المُتَّقينَ إلى هذا الشهرِ تحِنّ !..

ومِنْ ألمِ فِراقِه تَئِنّ !..

كيف لا يجرى للمؤمنِ على فِراقه دُموع ؛ وهو لا يدرى :

هل بَقِىَ له فى عُمره إليه رُجوع ؟!..

واعلموا ـ رحِمكم اللهُ ـ أنَّ ليلتَكم هذه : ليلةُ الوَداع ،

لشهرِكم الذى شرَّفه اللهُ وعظَّمَه ، ورفع قدْرَه وكرَّمه ..

أنزل فيه كِتابَه ، وفتح فيه أبْوابَه ،

لِتَوْبَةِ التَّائبينَ وأهلِ الإنابَه ..

فلا دُعاءٌ إلَّا مسموع ؛ ولا خيْرَ إلَّا مجموع ؛

ولا ضرَّ إلَّا مدفوع ؛ ولا عملَ إلا مرْفوع ..

شهرٌ جعله اللهُ لِذُنوبِكم : تطهيرًا ؛ ولسيِّئاتِكم : تكفيرًا ؛

ولمن أحسنَ مِنكم صُحْبَتَه : ذخِيرةً ونورًا ؛

ولمن وفىٰ بشَرْطِه وقام بحقِّه فرَحًا وسُرورًا .

شهرٌ تورَّع فيه أهلُ الفِسقِ والفَساد . .

وازداد فيه من الرَّغبةِ إلى اللهِ أهلُ الجِدِّ والاجتهاد ..

شهرُ عِمارات القُلوب .. كفَّارات الذُّنوب .

شهرٌ تُشْرِقُ فيه المساجدُ بالأنوار !..

وتُكثِرُ فيه الملائكةُ لِصُوَّامِهِ الاستِغفار !..

ويعتقُ اللهُ فيه كلَّ ليلةٍ عند الإفطار ،

ألفَ ألفِ عتيقٍ من النار !..

شهرٌ تُكفَّرُ فيه السَّيِّئات ، وتُقالُ فيه العَثَرات !..

فيالَيتَ شِعْرِى : مَنِ المقبولُ مِنَّا ، فنُهنِّئَه بحُسن عملِه ؟ !..

أم ليْت شِعْرِى : مَن المَطرودُ مِنا ، فنُعَزِّيَه ؟!..

فيا أيُّها المقبولُ : هنيئًا لك بثوابِ اللهِ

عزَّ وجلَّ ورِضوانه ، ورحمتِه وغُفْرانه ،

وقبوله وإحسانه ، وعفْوِه وامْتِنانِه ،

وخُلودك فى دارِ رِضْوانه ..

ويا أيُّها المطرودُ بإصراره وطُغيانِه ، وظُلمه وعُدوانه ،

وغفْلتِه وخُسرانِه ، وتمادِيه وعِصْيانه :

لقد عظُمَت مُصيبَتُك بغضَبِ اللهِ وهوانِه !..

فأين مُقْلَتُكَ الباكِية على فَقْد رمضان ؟!..

وأين دَمْعَتُكَ الجارِيَة على شهرِ العَفوِ والغُفران ؟! . .

(شعراً) :

تذكَّرْتُ أيَّامًا مضتْ وَلِيَاليـــا
خلَتْ ؛ فجرَتْ مِن ذِكْرِهِنَّ دُموعُ !
أَلَا هَلْ لها يومًا من الدَّهْرِ عودة ؟
وهَلْ لِي إلى يومِ الوِصالِ رُجوعُ ؟!
وهلْ بَعْدَ إعراض الحبيب تواصُلٌ
وهلْ لِبُدورٍ إذا أَفَلَتْ طُلوعُ ؟!

* * *

يا شهرَ رمضان ترفَّقْ !.. دُموعُ المُحِبِّينَ تدفَّقُ !.
قُلوبهم من ألم الفراق تشقّق !..
عسَى وقفةٌ للوَداع تُطفئُ - من نارِ الشَّوْق - ما أَحْرَق ! ..
عسَى ساعةُ توبةٍ وإقلاع ترْفُو - من الصِّيام - ما تَخَرَّق !..
عسَى مُنقطِعٌ عن رَكْبِ المقبولين يلْحَق !.
عسَى أســـيرُ الأوْزارِ يُطلق !..
عسىٰ من استوْجب النَّارَ يُعتق !..
عسىٰ وعسىٰ من قبلِ وقتِ التَّفَرُّقِ
إلى كلُّ ما نرْجو من الخيْر نلتقي
فيُجْبَرَ مكسورٌ ، ويُقبلَ تائبٌ
ويُعتقَ خطَّاءٌ ، ويَسعدَ من شَقِي !

* * *

عِـبادَ اللهِ : من كانَ منعَ نفسه فى شهر رمضان من الحرام ،
فلْيَمنعْها فيما بَعْدَه من الشهور والأعوام ؛
فإنَّ إلٰهَ الشَّهْرَيْنِ : واحد .
وهو على الزَّمانيْنِ : مُطَّلِـعٌ وشاهِد ..
اللهُـمَّ : كما بلَّغْتنا شهرَ رمضان ،
فاجعلْ عامَهُ علينا من أبْرَكِ الأعوام ،
وأيَّامَه من أســعد الأيّام ..
وتقبَّــل منَّا ما قدَّمناه من الصِّيام والقِيام ..
واغفِرْ لنا ما اقتَرفْناه من الآثام ..
وخلِّصنا من مظالِم الأنَــام ـ
يومَ لا يُرجىٰ فيه سِوَاكَ ، يا عَلَّام .
وأَعْتِق رِقابَنا ووالدينا من النّار وما فيها من اللَّفحات ..
وارْفَـعْ لنا بصِيام شهرِ رمضانَ عندكَ الدّرجات ..
وكفِّر عنا جميــعَ السَّيِّئات ..
وضاعِف لنــا الحَسنات ..
واغفر ـ اللَّهُمَّ ـ لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين :
الأحياءِ منهم والميِّتين ..
برحمتك يا أرحم الراحمين ..
وصلَّى اللهُ على سيِّدِنا محمدٍ ، وآلِه وصَحْبِه أجمعين .

بسم الله الرحمن الرحيم

﴿ هذه فصولٌ عشرةٌ :
تُقرأ فى ليالى عشرِ رمضانَ المُعَظَّم الأخيرةِ ﴾

الحمدُ لله : الذى أنعمَ على هٰذه الأمّةِ بإحسانه ،
وعاد عليها بفضلهِ ورحمته وامتِنانه ،
وجَعَلَ عَشْرَ رمضانَ مخصوصةً بعميمِ غُفرانه ،
لا يخفىٰ عليه ضميرُ القلبِ : سِرُّه وإعلانه ،
وينزلُ ربُّنا إلى السَّماء الدُّنيا فيقول : هلْ من سائلٍ ؟ ..
هل من مُستغفرٍ من عِصيانه ؟ ..
فيستعرضُ حوائجَ عِبادِه ، إلى أن يَلُوحَ الفجرُ ببَيانِه ..
أحمده سُبحانه على ما أوْلاه من نِعَمِه وإحسانه ،
وأشكرُه وقد وعَدَ بالمزيدِ لأهلِ شُكرانِه ،
وأشهدُ أن لَّا إلٰهَ إلا اللهُ وحده لا شريك له ـ
شهادةَ عبْدٍ مُقِرٍّ بِتَقْصيرِه وعُدْوانه ،
سائلًا ربَّه مِن عفوِه وإحسانِه ..
وأشهَدُ أن سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عبده ورسوله :
المبعوثُ داعيًا إلى الله وإلى رِضْوانِه ،
صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وأصحابِه وأنصارِه وأعوانِه ،
وسلَّم تسليما كثيراً .

* * *

اِعلموا ـ رحِمكم اللهُ ـ أن النبيَّ صلى الله عليه وسلم :
كان يَخُصُّ العَشْرَ الأواخِرَ مِن رمضانَ ،
بأعمالٍ لا يعملُها فى بقيَّةِ الشهر .
فى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها ، قالت :
(كان رسولُ الله صلى اللهُ عليه وسلم إذا دخل العَشْرُ :
شدَّ المِئْزَرَ ، وأحْيا ليْلَه ، وأيقظ أهْلَه) .
وفى رواية : (إذا دخل العشرُ :
أحْيا الليْلَ ، وأيقظَ أهْلَه ، وشدَّ مِئْزَرَه) .
ولمسلم عنها قالت : (كان رسول الله صلى الله عليه وسلم ،
يجتهدُ فى العَشْرِ الأواخِرِ مِن رمضان :
ما لا يجتهِـدُ فى غيْـره ..
وكان النبيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
يعتكِفُ فى العشْرِ الأواخِرِ من رمضانَ ،
ـ حتى توفّاه اللهُ ـ التى يُطْلَبُ فيها ليلة القدرِ :
قطْعاً لإشغالِه ، وتفريغاً لِبالِه ،
وتخلِّياً لمُناجاةِ ربِّه وذِكْرِه ودُعائِه) .
ومعنى الاعتكاف وحقيقتُه : قطعُ العلائق عن الخلائقِ ،
للاتصالِ بخِدمةِ الخالِق تبارك وتعالى .

* * *

عِبـــادَ اللهِ : إنَّ عَشْرَكُم هذه هى العَشْرُ الأخيرة ..
وفيها الخَيراتُ والأُجورُ الكثيرة .
وتُكَمَّلُ فيها الفضائلُ ، وتتِمُّ فيها المَفاخِر ..
ويطَّلِعُ على عِبـــادِهِ العظيمُ القادر ..
ويُنيلُهم الثوابَ الجزيلَ ، والحظَّ الوافِر .
كان رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم : يسْهَر ليْلَه ،
ويحْيِل كُلَّهُ ؛ ويقومُ الليْلَ كُلَّهُ . .
فالسَّعيدُ : من أكْرَمه وأجَلَّه ..
والشَّقِيُّ : من أهانَه واستَقَلَّه .
وقد رُوِىَ عنه صلى الله عليه وسلم :
تعظيمُ هذه العَشْرِ ، على باقى الدّهْر .
كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم يَخُصُّها بالاعتِكاف والقِيام .
وورد عنه صلى الله عليه وسلم :
(أنه كان يخْلِطُ العِشْرين الأُوَلَ بصلاةٍ ونوم ..
فإذا دَخَلَ العَشْرُ : لم يذُقْ غَمْضاً) .
وورد عنه صلى الله عليه وسلم :
(أنه كانَ إذا دخل العشرُ :
طَوَى فِراشَه ، واعتزَل نِساءه) .
فكان صلى اللهُ عليه وسلم يَخُصُّ العشرَ الأواخِرَ
من رمضان ، بأعمال لا يعملُها فى بقيّةِ الشهر ـ

كان يخصُّها بالاعتكافِ والاغتسالِ بين العشاءين ،
والتنظُّفِ والتطيُّب وإحياء اللَّيـــلِ .
فبادِرُوا ـ عِباد الله ـ بالتوبةِ ، والاستغفارِ ،
والابتهال إلى ذِى العظَمَةِ والجَـــلال ..
واغسِـــلوا بالدَّمْع دَرَنَ الذُّنوب ،
قبل أن تفتضِحُوا بالعُيوب .
فى الصحيحين عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال :
قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم :
« ينْزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وَتَعالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إلَى سَماء الدُّنْيا ،
حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ ، يَقول :
[مَنْ يَدْعُونِى ، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟..
مَنْ يَسْـــأَلُنِى ، فَأُعْطِيَهُ ؟..
مَنْ يَسْـــتَغْفِرُنِى ، فَأَغْفِرَ لَه ؟..] . »
وفى رواية لمسلم : « ثُمَّ يَبْسُـــطُ يَدَيهِ وَيَقُول :
[مَنْ يُقْرِضُ ـ غَيْرَ عَدُومٍ ، وَلا ظَلُومٍ] ..
حَتَّى يَنْفَجِرَ الْفَجْـــرُ . »
وروى مسلمٌ عن جابر رضى الله عنه ، قال :
قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :
« إنَّ فِى اللَّيْلِ لَساعَةً ـ لا يُوافِقُها رَجُلٌ مُسْلِمٌ ،
يَسْأَلُ اللهَ فيها خَيْرًا : إلَّا أَعْطاهُ إيَّاه . وَذٰلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ . »

وروى الترمذىُّ عن أبى أمامة ،

عن النبىِّ صلى الله عليه وسلم ، قال :

« عَلَيْكُمْ بِقِيامِ اللَّيْلِ ،

فَإِنَّهُ دَأْبُ الصالِحِينَ قَبْلَكُمْ ..

وَهُوَ قُرْبَةٌ لَكُمْ إلى رَبِّكُمْ ،

وَمَكْفَرَةٌ لِلسَّيِّئاتِ ،

وَمَنْهاةٌ عَنِ الإِثْمِ . »

وروى أيضاً عنه ، قال :

قيلَ : يا رسولَ اللهِ ، أىُّ الدُّعاءِ أسمع ؟

قال : « جَوْفَ اللَّيْلِ الآخِرِ ،

وَ دُبُرَ الصَّلَواتِ الْمَكْتُوباتِ . »

وروى أيضاً عن عمرو بن عنبسةَ رضى الله عنه ، قال :

قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وَسَلَّم :

« أَقْرَبُ ما يَكُونُ الرَّبُّ مِنَ الْعَبْدِ :

فِى جَوْفِ اللَّيْلِ الآخِرِ ..

فَإِنِ اسْتَطَعْتَ أَنْ تَكُونَ مِمَّنْ يَذْكُرُ اللهَ ،

فِى تِلْكَ السَّاعَةِ ؛ فَكُنْ . »

وعن أبى مالك الأشعرى رضى الله عنه ،

عن النبىِّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنه قال :

« إنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظاهِرُها مِنْ باطِنِها ،
وَباطِنُهـــا مِنْ ظاهِرِها .. أَعَدَّها اللهُ تَعالَى
لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعامَ ، وَأَلانَ الْكَلامَ ،
وتابَعَ الصِّيامَ ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيامٌ . »
(رواه البيهقيُّ فى شُعب الإيمان)

* * *

اِبْنَ آدمَ يا مِسكينُ :
متى تكونُ من الذين عاملوا مولاهم وانفردوا ؟!..
وقاموا فى الدُّجى ، وركعوا وسجدوا ؟!..
وقاموا إلى بابِ مولاهم فى الأسحارِ ووفدوا ؟! .
وصاموا هَواجِرَ النَّهارِ ، وصابَرُوا واجتهدوا ؟!
لقد ساروا وتخلَّفْتَ ؛ وفاتك ما وجَدُوا !..
أينَ أنتَ مِن قومٍ : إذا تلذَّذَ الغافلونَ بالنومِ ،
تلذَّذُوا بقِيام الأســـحار ؛ وإذا فَرِحَ
أهلُ الدنيا بِدُنْياهم ، فرِحوا بالدُّموع الغِزار ؟!..
فسيكرِمُهمُ الكريمُ ، إذا وفدوا عليه يومَ المَزار ..
وسيُحِلُّهم محلَّ الضَّيْف : الخالِي من الأكْدار !..
فلو رأيْتَهم وقد وَرَدُوا على جِوارِ الأنهارِ ،
مع الحُـــورِ الأبكارِ ؛
ونُثِرَ عليهم ما أرادوا من ثمراتِ الأشْجار !..

ولو شاهَدتَهم وقد ساروا فزارُوا الملِكَ الجبَّار ؛
وعادوا وقد استفادوا ما أرادوا ، وازدادوا من الأنوار ؛
﴿ وَالمَلَائِكَةُ يَدْخُلُونَ عَلَيْهِم مِّنْ كُلِّ بَابٍ ،
سَلَامٌ عَلَيْكُمْ بِمَا صَبَرْتُمْ فَنِعْمَ عُقْبَىٰ الدَّارِ ﴾ .
وروى البيهقيُّ عن ابن عباسٍ رضى اللهُ عنهما ، قال :
قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :
« أَشْرافُ أُمَّتِي : حَمَلَةُ الْقُرْآنِ ، وَأَصْحابُ اللَّيْلِ . »
فأوَّل ما يُؤْمَرُ به العبدُ : الإخلاصُ فى قِراءتِه ،
وأن يُريدَ بها وجْهَ اللهِ سُبحانه وتعالى ..
وأن يتأدَّبَ مع القرآن ، ويستحضِرَ فى ذِهْنِهِ :
أنه يُناجى اللهَ سُبحانَه وتعالى ويتْلُو كِتابَه ـ
فيتلُوَه على حالِ من يرى اللهَ ؛
فإنَّه إن لم يرَهُ : فإنَّ اللهَ يراه .
وينبغى للقارئ أن يَكون شأنُه :
الخُشوع والتدبُّر والخُضوع .
فهذا هو المقصود المطلوب ، وبه تنشرِح الصُّدور ،
وتستنيرُ القلوب .. ويُستحبُّ البكاء ، فإنه :
صِفَةُ العارِفين ، وشِعارُ عِباد اللهِ الصالحين .

* * *

واعلموا ـ رحِمَكم اللهُ ـ أنَّ هذه العشرَ ،
قد أوْجبَ اللهُ تعظيمَها واحترامَها .
وأجزل الثَّوابَ لمن أحيىٰ ليْلَها وقامَها . .
فانتبهوا ـ رحِمكم اللهُ ـ واهْجُروا لذيذَ المَنام . .
واحْذَرُوا من الغَفْلةِ فى هذه الأيّام ، واللَّيالِي العِظام ...
هٰذه عشْرُ مَحْوِ الذُّنوب .. هٰذه عشْرُ حياةِ القُلوب .
هٰذا وقتُ تِلاوةِ الكِتاب .. هذا وقتُ عِمارةِ المِحْراب ..
هذه عشرٌ تُكَفُّ فيها النُّفوس ، كأنَّها فى حُبُوس !..
وتُطْرِقُ من الخَشية الرءوس ، عن النَّظرِ الحرام .
عشْرٌ تُحَلَّى فيها المساجد ، ويخْشعُ فيها الرَّاكِعُ والسَّاجِد . .
وينهضُ إلى الخـــيراتِ كلُّ قاعِد ..
ويصيرُ الرَّاغِبُ فيها كالزَّاهِدِ ، من قلَّةِ الطعام .
عشْرُ التعبُّدِ والتَّراويح ، عشْر السَّهَرِ والمصابيح ..
عشر المَتْجَرِ الرَّبيح ، عشْرٌ يُتركُ فيها القبيحُ ،
وتُهْجَرُ الآثام . فيها تَصِحُّ الأُمور . .
فيها تنْحَنِي الظُّهور ، من القِيـــام .
عشرٌ فيها تُغَلُّ الشياطين .. فيها يُعرَفُ قَدْرُ الدِّين ..
فيها يتشبَّه المُسيء بالمحسنين .. وبالكبيرِ الغلامُ ..
عشرٌ فيها تَرِقُّ القُلوب .. وفيها تُغفرُ الذُّنوب . .
وتتجافَى عن المضاجِعِ الجُنُوبُ ، فَتَجْفُوَ لذيذَ المنام .

عشرٌ فيها يَقِلُّ الفُضول .. فيها تُحْفَظُ الأُصول ..
فيها يتمنَّى العاقِلُ ويقول : ليْتَ هٰذا العَشْرَ دام !

* * *

عِبادَ اللهِ : أَيْقِظُوا - رحِمَكم الله - فيها الأسْماعَ والأبصار .
واحْبِسُوا فيها عن الفُضولِ اللِّسانَ المِهْذار ..
وانْهَضوا إلى الاسْتِغفار وقتَ الأسْحار ..
واعجَبًا لِمَنْ يَنام !..

إخْواني : لازِموا المساجِدَ ، وتزَوَّدوا ..
واجتمعوا على الفَلاحِ والخيرِ ، ولا تبَدَّدوا ..
وتَصَبَّروا عن الخطايا وسدِّدوا .. فإنَّما هى أيّام .
فالفضائلُ فى هذه العشرِ كثيرة ، والمصالحُ وافِرةٌ غزيرة .
فالسّعيدُ من عَمِل فَقُبِلَ ، والشَّقِيُّ من طُرِدَ وخُذِل .
ومِن الفضائلِ فيها : إطعامُ الطَّعام ، وتفطير الصُّوّام .
فإنه قد وَرَدَ عن خَيْرِ الأنام :
« مَنْ فَطَّرَ صائمًا : كانَ مَغْفِرَةً لِذُنوبِهِ ،
وَعِتْقَ رَقَبَتِه مِنَ النَّارِ . »

فيا عِبادَ اللهِ : أكثِروا من ذِكر الله ، والاستغفار ،
والصّدقاتِ ، وتِلاوَةِ القُرآنِ فى هذه الأيّام المُبارَكات ..
وحافِظوا على الصَّلوات مع الجماعات .

* * *

عِبـــادَ الله : مَنْ لَـكُم إذا فاتَ المَقصود ؟!..

مَنْ لَـكُم : إذا نطقت الجُـــلود ؟!..

مَنْ لَـكُم : إذا شابَ المَوْلود ؟!..

من لكُمْ : إذا غضِبَ المَعْبود ؟!..

مَنْ لكُم : إذا قـــلَّ السَّالِم ؟!..

مَنْ لكُم : إذا تعلّق المَظلومُ بالظَّالم ؟!..

مَنْ لكُمْ : إذا خرِسَ اللِّسان ؟!..

مَنْ لكم : إذا وُضِعَ المِيزان ؟!..

مَن لكُمْ : إذا بَدَت النِّيران ؟!..

المُلْكُ يَوْمَئِذٍ لِلرَّحمٰن !..

* * *

إخوانى : اِحفظوا صِيامَكم عن كلِّ سَبٍّ ورَفَثٍ وقولِ زُور .

فإن من الخُسران العاجِلِ : أن يكون العبدُ صام ،

ولا صـــامَ عن الزُّور !..

وإن أردتُم الغُرَفَ فى الجِنـــانِ والقُصورَ ،

فجِدُّوا ثم اجتهِدوا فى الاِسْتِغفارِ مع الشُّحور ،

فقد وردَ الحَثُّ على ذلك بالخَبَرِ المأْثور ..

وجانِبُوا المعاصىَ : القوْلِيَّةَ والفِعليَّةَ والفُجور !..

فوَيْلٌ ثم وَيْلٌ لمن صامَ ، ولم يُصمْ عن المعاصى وقولِ الزُّور .

وارْغَبُوا إلى مَوْلاكم فى هذا الوقتِ بتعظيمِ الأُجور .

(شعراً) :

وحافِظْ على فِعْـلِ الفُروضِ بِوَقْتِها
وخُذْ بنصيبٍ فى الدُّجَى من تَهَجُّدِ
ونادِ إذا ما قُمْتَ فى اللَّيْلِ سامعاً
قريباً مُجيبـاً بالفَواضِلِ يَبْتَدِى
ومُدَّ إليه كفَّ فَقْرِكَ ضارِعاً
بقلبٍ مُنيبٍ ، وادْعُ : تُعْطَ وتُسعَدِ

* * *

اللَّهُـمَّ : اسْلُكْ بنا سبيلَ الأبْرار ..
واجعَلْنا من عِبادِكَ المُصْطَفَيْن الأخْيـار ..
وامْنُن علينا بالعفو والعِتْق من النَّـار ..
واحفَظْنا من المعاصى فيما بقِيَ من الأعمار .
اللَّهُـمَّ : الْطُفْ بِنا فى قضائك ، وعافِنا من بلائك ..
وهَبْ لنا : ما وهَبْتَه لأحبابِكَ ..
واجعلْ خَـيْرَ أيّامنا : يومَ لِقائِك ..
واغفِرِ ـ اللَّهُمَّ ـ لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين :
الأحيـاء منهم والمَيِّتين ،
برحمتك يا أرحم الراحمين .
وصلَّى اللهُ على نبيِّنا محمدٍ وآلِه وصَحْبِه أجمعين .

﴿ الفصل الثانى :
فى الاجتهادِ بالعمل الصَّالح ،
فى العشرِ الأواخِر من رمضان المعظم ﴾

الحمـــدُ لله : المَلِكِ العظيـــم الجليل ؛
المُنَـــزَّهِ عن النَّـــظير والعديل ،
المُنْعِمِ : بِقَبول العملِ القليل ، المُكْرِم : بإعطاء الجزيل ..
أحمدُه وأشكرُه سُبحانه كلما نُطِقَ بحمدِه وقيل ،
وأشهدُ أن لَّا إله إلا الله وحـــده لا شريك له ،
تعالَى وتقدَّس عما يقولُ أهلُ التَّعطيل ..
وأشهدُ أن سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عبده ورسوله : النَّبيُّ النَّبيل ،
صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وأصحابِه : ذَوِى القَدْرِ الجليل ،
وسلَّم تسليمًا كثيرًا .

* * *

عِبـــادَ اللهِ : اجتهِدوا فى إخلاصِ الأعمال ؛
والابتهالِ إلى ذِى العظَمَةِ والجلال ؛
فى بقيَّةِ هذه الأيَّامِ واللَّيالِ ..
ولا تغْتَرُّوا بهذه الأعمارِ القصيرة ، فإنَّها قريبةُ الزَّوال ..

فبادِرُوا - رحِمَكم الله - ما بقِيَ من شهرِكم ، فإنَّه مُغْتَنَم ..
واستَدْرِكوا ما فات منه بالحسرةِ والنَّدم ..

واعلموا ـ رحِمَكم الله ـ
أن نبيَّنا محمداً صلَّى اللهُ عليه وسلم :
كانَ يخُصُّ رمضانَ بالاجْتِهاد ،
وكان صلَّى الله عليه وسلم :
يجتهِدُ فى العشرِ الأواخِرِ منه ،
ما لا يجتهِدُ فى غيرِها ـ كما ثبتَ ذلك
فى حديث عائشةَ وابن عباسٍ رضى الله عنهما .
ورُوِىَ أنه صلَّى الله عليه وسلم :
قامَ من الليلِ حتى تورَّمت قدَماه ،
فتقول له عائشةُ رضى الله عنها :
(لِمَ تصنَعُ هٰذا ، وقد غفر اللهُ لك
ما تقدَّمَ مِنْ ذَنبِكَ وما تأخَّرَ ؟)
قال : « أفَلا أكُونُ عَبْدًا شَكُورًا ؟! »
وكان صلى اللهُ عليه وسلَّم يُسْمَعُ لِصَدْرِه
أزيزٌ : كأزيزِ المِرْجَلِ ، من البُكاء ! ..

واعلموا ـ رحِمَكم الله ـ أنَّ النبيَّ صلى الله عليه وسلم :
كانَ يُطيلُ القِراءةَ فى قِيام اللَّيْلِ ، فى رمضانَ
خاصَّةً أكثرَ مِن غيره ـ وذلك لأن صلاةَ الليل
لها فضلٌ على صلاة النهارِ ؛ لأنَّها أبلغُ فى الإسْرار ،
وأقربُ إلى الإخلاص ؛ وأشَقُّ على النُّفوسِ ..

فإنَّ الليلَ : محَلُّ النَّوم والرَّاحةِ من التَّعب بالنهارِ ..
ولأنَّ القراءةَ فى صلاةِ الليلِ : أقربُ إلى التدبُّر ،
وأحضَرُ للقلبِ ـ وَيتواطأُ القلبُ واللِّسانُ على الفَهم .
وصلاةُ الليل : مَنهاةٌ عن الإثم ، ومَكْفَرَةٌ للسَّيِّئات ..
وفى الليلِ ساعةُ الإجابة ..

فعن جابرٍ رضى الله عنه ، قال :

سمعتُ رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلم يقول :

« إنَّ فِى ٱللَّيْلِ لَساعَةً ـ لا يُوافِقُها عَبْدٌ مُسْلِمٌ ،
يَسْأَلُ اللهَ تعالى فِيها خَيْرًا مِنْ أَمْرِ الدُّنْيا وَالْآخِرَةِ ،
إلّا أَعْطاهُ إيّاهُ .. وَذٰلِكَ كُلَّ لَيْلَةٍ . »

(رواه مسلم والإمام أحمد)

فينبغى لمن وفَّقهُ اللهُ :

أن يحرِصَ على اغتِنام الخيْراتِ فى أوقاتِها .

* * *

عِبـــادَ اللهِ :

إنَّ عشْرَ رمضانَ قد نزلت بِبَركاتِها إليكم ،
وأشْرَقتْ بفضلِها وشرَفِها عليكُم .

عشرٌ تربحُ فيها بضائعُ العُبَّاد ؛ وتُغْتَنَمُ فيها عِبادةُ الزُّهَّاد ؛
وتستقِيمُ فيها حُقوقُ الجهاد ، ويحسُنُ فيها الاجتهاد ..

عشرٌ فيها يُعتقُ الأسير ، ويُجبَرُ بالفضلِ الكَسيرُ ..
فأعِـدُّوا بقُدومِها عُدّة ،
واسألوا اللهَ فيها التوفيقَ إلى أن تُكمِلُوا العِدّة .
والحَذَرَ الحَذَرَ من التّفريط والإهمال ،
والتكاسُلِ عن صالِح الأعمـال .
فهِمَّةُ الصالحين فيها : القِراءةُ والقِيام ،
والكَفُّ عن فُضولِ الكلام ؛
والسّلامةُ من جميع الذُّنوبِ والآثام ؛
والاشتِغالُ بذِكرِ المَلِكِ العَـلّام ..

* * *

عِبـادَ الله : أين اللّائذُ بالجَناب ؟!..
أينَ الواقِفُ على الباب ؟ !..
أينَ الباكى على ما جَنَى ؟ !..
أينَ المُستغفِرُ لأمرٍ قـد دنا ؟!..
ألا رُبَّ فَرِحٍ بما يُؤتىٰ :
قد خرج اسْمُه فى الموتىٰ !..
ألا رُبَّ غافِلٍ عن تَدَبُّرِ أمرِه :
قد انفصَمت عُرَىٰ عُمرِه !..
ألا رُبَّ مُعرِضٍ عن سبيلِ رُشْدِه :
قد آنَ أوانُ شَقِّ لَحْدِه !..

ألا رُبَّ رافلٍ فى أثوابِ شَبابِه :
قد أَزِفَ رحيلُه عنْ أحبابِه ! ..
ألا رُبَّ مُقيمٍ على جهْلِه :
قد قَرُب رحيلُه عن أهلِه !..
ألا رُبَّ مشغولٍ بجمعِ مالِه : قد حانت خيْبَةُ آمالِه !..
ألا رُبَّ ساعٍ فى جَمْعِ حُطامِه : قد دنا تشتُّتُ عِظامِه !..
ألا رُبَّ مجتهدٍ فى تحصيلِ لذَّاتِه : قد آن خرابُ ذاتِه ! .

* * *

إخوانى : أين من كان فى مِثْلِ هذه العشرِ فى منازِله ؟! .
أما ظَهَرَ له الخُسْرانُ عند حِساب مُعامِله ؟!..
عِبادَ اللهِ : قد ذَهَبَ عنكم أكثرُ شهرِ رمضان ..
وأنتم اليومَ فى العَشرِ الحِسان ..
وهُنَّ عَشْرُ الإعْتاقِ من النِّيران ،
لمن تركَ الذُّنوب ، واسْتَحْيا من رقيبِه .
قال الله تبارك وتعالى عن الصَّوم فى ترغيبِه :
[الصَّوْمُ لِى .. وَأَنا الَّذِى أَجْزِى بِهِ] .
عشرٌ : أقبلت على المَقبولين بتكثير الأُجور ..
وعلى الصَّادِقين بتوفيرِ النُّور .. وعلى المَقبولين
بالفرحِ والسُّرور . . وعلى التَّائبين بِتَقْويمِ الأُمور ..
وعلى العامِلِ بتَكْميلِ نصيبِه ..

[الصَّوْمُ لِي ، وأَنا الَّذِي أَجْزِي بِهِ] .

عشرٌ فيها الأحبـــابُ بالدُّعاء يَعِجُّون ..

وبالتَّضَرُّعِ فى جميع أوقاتها يضِجُّون ..

وفى نهارِها عن الغفلاتِ يتحرَّجون ..

وفى دَياجِيها للمولىٰ الكريم يُناجون ..

وبآمالِهم إلى سيِّدِهم يلتجئُون ..

إذا سكنَ كلُّ حبيبٍ إلى حبيبِهِ

[الصَّوْمُ لِي .. وَأَنا الَّذِي أَجْزِي بِهِ] ..

عشرٌ ، يَتِمُّ فيها الإسعادُ والتكريم ..

ويتفضَّلُ بجزيل الإنعامِ الملِكُ الكريم ..

ويُصَفَّدُ فيها كلُّ شيطانٍ رجيم ..

ويُعافىٰ فيها مريضُ الخَطايا السَّقيم .. إذا امتثلَ أمرَ طبيبِه ..

[اَلصَّوْمُ لِي .. وَأَنا الَّذِي أَجْزِي بِهِ] .

عَشْرٌ : يَعفُو فيها عن عِبادِهِ الرَّءوفُ الرحِيم ..

فاسألوه سُبحانه يُحِلَّكُم جنَّاتِ النَّعيم ،

ويَقِيكُم فى القِيامةِ هَوْلَ الجحِيم ،

إذا انزعجت القلوبُ لِهَيْبَةِ لهِيبِه ..

[اَلصَّوْمُ لِي .. وَأَنا الَّذِي أَجْزِي بِهِ] .

لقد سُعِدَ من اتَّقىٰ فيها ونَجىٰ ..

ولقد نالَ مأمولَ الغُفران فيها من رَجَا ..

ولقد تَمَّ حالُ من أفطر فيها على سُؤال اللهِ والْتجا .
وتسحَّرَ فى جوْفِ الليلِ وظُلمةِ الدُّجى ، بِبُكائه ونحيبِه !..
[اَلصَّوْمُ لِى .. وَأَنا الَّذِى أَجْزِى بِهِ] .
إخْوانى : اِحذروا غِيبَةَ النَّاسِ ، فإنها تُحْبِطُ الأجْر ..
واجْتَنِبوا أكلَ الحَرامِ ، فإنه سببُ الطَّردِ والهَجْر .
وعَظِّموا عشرَكم ، فإنها عظيمةُ الأمر ..
وانتظِروا فيها ـ بحُسنِ اليَقَظَةِ ـ لَيْلَةَ القَدْر ..
واجتهدوا ـ رحِمَكم الله ـ فى الصَّلاة والقِيام ..
فإذا سَلِمَ رمضانُ ، سَلِمَ جميعُ العـــام ..
عَساهُ يقِيكم شَرَّ الوُقوفِ على الأقــدام ـ
يوم يفِرُّ المرءُ من أخيه ، والنَّسيبُ من نَسيبِه .
[اَلصَّوْمُ لِى .. وَأَنا الَّذِى أَجْزِى بِهِ] .
قال كعبٌ : (إذا وُضِعَ العبدُ الصَّالِحُ
فى قَبْرِه ، احْتَوَشَتْه أعمالُهُ الصالحةُ ..
فتجىءُ ملائِكةُ العَذابِ من قِبَلِ رِجْلَيْه ..
فتقولُ الصلاةُ : (إليْكُم عنه .. لا سبيلَ
لكم عليه ؛ فلقد أطالَ القِيامَ لِلّه عزّ وجل ..)
فيأتونه من قِبَلِ رأسِــه ، فيقولُ الصيامُ :
(لا سبيلَ لكُم عليْه ؛ فقد أطالَ ظمأَه فى دارِ الدُّنيا) ..

فيأتونه من قِبَلِ جسَدِه .. فيقولُ الحَجُّ والجِهادُ :
(إليكُمْ عنه .. لا سبيلَ لكُمْ عليْه ؛ فقد أنصبَ
نفسَهُ وأتعبَ بَدَنَه فى سبيل الله) ..
فيأتونه من قِبَلِ يديْه .. فتقولُ الصَّدقةُ :
(إليكُم عنه : لا سبيلَ لكم عليْه ؛
فكَمْ من صَدقةٍ خرجتْ مِن هاتيْن اليَدَيْن ،
حتى وقعتْ فى يدِ الله عَزَّ وجَلَّ) .
فيُقالُ له : (نَمْ هنيئاً !.. فقد طِبْتَ ،
وطابَ مَمْشاكَ : حَيًّا ومَيِّتاً) ..
وتأتيه ملائكةُ الرّحمةِ ، فتُفرِشُه فِراشاً من الجنَّةِ
ودِثارًا من الجنَّة .. ويُفسَحُ له فى قبْرِه مَدَّ بصَرِه ..
ويُؤتىٰ بقِنديلٍ من الجنَّةِ ، يستَضىءُ بنورِه إلى يوْمِ القِيامة ..
قال الحسنُ رحمه اللهُ : (أدركْنا أقواماً
ما كانوا يَرُدُّونَ سائلًا إلَّا بشىء ..
ولقد كان الرَّجُلُ منهم يخرُجُ من بيْتِه ،
فيأمُرُ أهْلَه أن لَّا يَرُدُّوا سائلًا) .
وكان علىُّ بن الحسين إذا أتاه السائلُ ، قال له :
(مرحباً بمن يحمِلُ زادِى إلى الآخِرة) .

* * *

كمْ بيْنَكَ وبيْنَ الموْصُوفين ؟!.. كما بيْنَ المجهولين والمعروفين !..

آثرتَ الدُّنيا ، وآثَرُوا الدِّين ..

فتلمَّحْ تفاوُتَ الأمرِ ، يا مِسكين !..

أمَّا الفقيرُ فلا يخطُر ببالِك .. وإذا جاء سائلٌ ،

أغلظتَ له فى مقالِك .. فإن أعطيتَه :

فحقيراً يسيراً من رَدىء مالِك ..

فبادِرُوا - عِبــادَ اللهِ -

بإخراج الزكاة إلى الفُقراء والمساكين وَذَوِى القَرابات . .

واعلموا - رحِمَكم اللهُ - أنَّ الزكاة أحَدُ أركان الإسلام ..

قال صلى الله عليه وسلم : « بُنِيَ الإسلامُ على خمسٍ . »

فذكر إحداهُنَّ : الزكاة .

وقد توعَّد اللهُ مانِعَها بالعذابِ الأليم .

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

« ما مِنْ صاحِبِ ذهَبٍ ولا فِضَّةٍ ، لا يُؤدِّى مِنها حَقَّها :

إلا إذا كان يومُ القيامةِ صُفِّحَتْ له : صَفائِحَ من نارٍ ..

فأُحْمِيَ عليها فى نارِ جَهنَّمَ ، فيُكْوَى بها جَنْبُهُ وجَبِينُهُ ،

وظَهْرُه - كلما بَرَدَتْ أُعيدتْ له :

فى يوْمٍ كان مِقدارُه خمسينَ ألفَ سنة ،

حتى يُقضىٰ بيْنَ العِباد . . »

فيَرى سبيلَه : إما إلى الجنَّة ، أو إلى النار .. »

وأعْطُوا الفقيرَ بانشِراحِ صدْرٍ ، ولُطفٍ ، وحُسنِ خُلقٍ ..

ولا تُبطِلوا صدقاتِكم بالمَنِّ والأذَى ..

ومن أخرج لِلّهِ شيئًا ، فليكُنْ مِن أطيبِ مالِهِ ،

ولْيُوقِنْ بمُضاعفةِ الأجرِ والثواب .

قال صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ تَصَدَّقَ بِعَدْلِ تَمْرَةٍ مِنْ كَسْبٍ طَيِّبٍ

ـ وَلا يَصْعَدُ إِلَى اللهِ إِلَّا طَيِّبٌ ـ

فَإِنَّ اللهَ يَقْبَلُها بِيَمِينِهِ ، ثُمَّ يُرَبِّيها لِصاحِبِها ،

ـ كَما يُرَبِّي أَحَدُكُمْ فُلُوَّهُ ـ حَتَّى تَكُونَ مِثْلَ الْجَبَلِ . »

وقال صلى الله عليه وسلم :

« إِنَّ الصَّدَقَةَ لَتُطْفِئُ غَضَبَ الرَّبِّ ، وَتَدْفَعُ مِيتَةَ السُّوءِ ؛

وَإِنَّ الصَّدَقَةَ فَكاكٌ مِنَ النَّارِ . »

قال ابنُ عباسٍ رضى الله عنهما :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم لرجلٍ وهو يعِظُه :

« اِغْتَنِمْ خَمْسًا قَبْلَ خَمْسٍ : شَبابَكَ قَبْلَ هَرَمِكَ ..

وَصِحَّتَكَ قَبْلَ سَقَمِكَ .. وَغِناكَ قَبْلَ فَقْرِكَ ..

وَفَراغَكَ قَبْلَ شُغْلِكَ .. وَحَياتَكَ قَبْلَ مَوْتِكَ . »

وروى ابنُ ماجه عن جابر رضى الله عنه ، قال :
خطب رسولُ الله صلَّى اللهُ عليه وسلم ، فقال فى خُطبته :
« أيُّها النَّاسُ : تُوبُوا إلَى رَبِّكُمْ ، قَبْلَ أَنْ تَمُوتُوا ..
وَبادِرُوا بِالْأَعْمالِ الصَّالِحَةِ ، قَبْلَ أَنْ تُشْغَلُوا .. »
فَأَمَرَ بِالْمُبادَرَةِ بِالتَّوْبَةِ قَبْلَ الْمَماتِ .
وَكُلُّ ساعَةٍ تَمُرُّ عَلَى ابْنِ آدَمَ :
فَإِنَّهُ يُمْكِنُ أَنْ تَكُونَ ساعَةَ مَوْتِهِ ..
(شعراً) :
لا تأْمَنِ الموْتَ فى طَرْفٍ ولا نفَس
وإن تمنَّعتَ بالحُجَّاب والحَرَسِ
وقال لقمانُ لابنه :
(يا بُنَىَّ : لا تُؤَخِّر التوبةَ ، فإنَّ الموتَ يأتى بغْتَة) .
وقال بعضُ السَّلَفِ :
(أَصبِحوا تائبين ، وأَمسُوا تائبين ؛ فإنَّ ابنَ آدمَ لا يدْرى :
متىٰ يفجؤُه الموتُ : صباحاً أو مساء) .
قال الله تبارك وتعالى :
﴿ وَمَنْ لَمْ يَتُبْ ، فَأُولٰئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ ﴾ .

واعلموا ـ رحِمَكم اللهُ ـ أن التوْبةَ ليست قولًا باللِّسان ،
ولـكن لها شروطٌ وأركان :

الأول : الإقلاعُ عن المعصيَةِ . الثانى : النّدمُ على فِعْلِها .
الثالث : العَزْمُ على أن لا يعودَ إليها أبدًا .
وإن كانت المعصيةُ تتعلّقُ بآدميٍّ ؛ فلها شرطٌ رابع ،
وهو أن يبْرَأ من حقِّ صاحبِها : فإن كانت مظْلمةً
من مالٍ ونَحوِه ، أدّاه إليه ..
ومتى قَصَّرَ فى قضاءِ دينٍ أوْ رَدِّ مظْلمةٍ ،
فإنَّ ذلك يدُلُّ على ضَعْفِ التَّوْبة .
اللَّهُـــمَّ : أيْقِظْنا من نوْمِ الغَفْلة ..
ونبِّهْنا لِاغتنامِ أوقات المُهْلة ، ووفِّقْنا لمصالِحنا ،
واعصِمْنا من ذُنوبنا وقبائِحنا ،
واستعمِلْ بطاعتِك جميعَ جوارِحِنا ،
ولا تُؤاخذنا بما انطوتْ عليه ضَمائِرُنا ،
وَأَكِنَّتْهُ سرائِرُنا ..
واغفر - اللهمَّ - لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين :
الأحيـــاء منهم والمَيِّتين .
برحمتِك يا أرحم الراحمين ..
وصلَّى اللهُ وسلَّم على نَبيِّنا محمـــدٍ ،
وعلى آلِه وصَحْبه أجمعين .

﴿ الفصل الثالث :

فى فضْلِ ليْلةِ ثلاثٍ وعِشرين من شهر رمضان المعظم ﴾

الحمدُ للهِ : الذى لا واضِعَ لما رَفَعَ ، ولا رافِعَ لما وضع ..
ولا واصِلَ لما قَطع ، ولا مُفرِّق لما جمع ..
أحمـــدُه على ما أعطىٰ ومنَع ..
وأشكرُه على ما صَرَفَ من المَكروه ودفَع ..
وأشهد أن لَّا إلٰه إلا الله وحـــده ،
لا شريك له : الَّذى أحكم ما صنَع ..
وأشهد أن نبيَّـــنا مُحَمَّداً عبدُه ورسولُه ،
أرسلَه والكُفْر قد علا وارتفع .. فَدَكَّ بُنيانَهُ وَخَارَ وَوَقَعَ ..
صلى الله عليه وعلى آلِه وأصحابِه ، ما نجمٌ بدا وطلَع ،
وســـلَّم تسليماً كثيراً ..

اِعلموا ـ رحمكم الله ـ أنَّ هٰذه الليلةَ : ليلةُ ثلاثٍ وعِشرين ..
وقد قال قومٌ : إنَّها ليْـــلةُ القَدرِ .
رُوى عن علىٍّ رضى الله عنه ، أنه قال :
(ليلةُ القدرِ : ليْلةُ ثلاثٍ وعِشرين) .
وقال ابنُ مسعود رضى الله عنه :
(اُطلُبوا ليلةَ القدرِ: ليلةَ ثلاث وعشرين) .
ورُوِىَ عن الشافعى ـ رحمه الله ـ
(أنَّ أرجاها : ليلةُ ثلاثٍ وعشرين) .

وثبت عن النبيِّ صلى الله عليه وسلم أنه أمرَ بقيامها وقال :

« مَنْ قامَ لَيْلَةَ القَدْرِ إيمانًا وَاحْتِسابًا ،

غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ . »

وقيامُها : إحياؤها بالصَّلاةِ والتهجُّد .

وكان النبيُّ صلى الله عليه وسلم :

يتهجَّدُ فى ليالى رمضان ، ويقرأُ قِراءةً مُرَتَّلَةً ،

لا يَمُرُّ بآيةٍ فيها رحمةٌ ، إلَّا وقف وسأل ..

ولا بآيةِ عـــذابٍ ، إلَّا تعوَّذَ ..

فيجمعُ بين القراءةِ والصَّلاة والدُّعاء والتفكُّرِ ..

وهذا أفضلُ الأعمالِ وأكملُها فى ليالى العَشْرِ وغيرِها .

وقال الشعبيُّ فى ليلةِ القَدرِ : (ليْلُها كَنهارِها) .

وقال الشافِعيُّ : (أستحبُّ أن يكونَ اجتهادُه

فى نهارِها كاجتهادِه فى ليْلها) .

يا ذا النَّفْسِ اللَّاهِيَة : تقرأُ القرآنَ وهِىَ ساهِيَة !..

يا بليدَ الاعتبارِ ، وقد أنذره القُرآن !..

يا من تَقْرَعُ قلبَهُ المواعِظُ ، وهو قاسٍ ملآن !..

لو حضرتَ بالذِّهنِ ، لكفاكَ زجْرُ القُرآن !..

لقد وعَظَ القرآن المجيد .. يُبْدِئُ التَّذكارَ عليكم ويُعيد ..

﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ .

أمَا فى القُرآنِ ما يُذيبُ الجلاميد ؟!..
إن مواعظَ القرآنِ لتُذيبُ الحـــديد !..
غير أنَّ الغافِلَ عن فهمِهِ بعيـــد !..
يتـــلوه ، ولكنّه لا يستفيد !..
أمَا فيكم من يتذكرُ أنَّه فى قبرِه وحيد ؟!..
أما فيكم من يتصوّرُ تمزيقَهُ والتشريد ..
﴿ فَذَكِّرْ بِالْقُرْآنِ مَنْ يَخَافُ وَعِيدِ ﴾ .
غداً ـ يُباعُ أثاثُ البيتِ : فمن يزيد ؟! .
غداً ـ يتصرَّفُ الوارِثُ كما يُريد !..
يا قومِ : ستقومونَ للمُبدِئ المُعيد ..
يا قومِ : ستُحاسَبونَ على القريب والبعيد !
فمِنْكُم : شقيٌّ وسعيد !.

إخـــوانى : أين أربابُ القِيام ؟! ..
أين المُتهجِّدونَ فى جُنحِ الظَّلام ؟! ..
أين أهلُ الشفَقةِ على الضُّعَفاء والأيتام ؟! ..
ذهبوا إلا قليلًا مِنهم ؛ فعليهِمُ السَّلام ! ..
هيهات : اِنغمستُم فى بحارِ الآثام ،
وملأتُم بُطونَكم من الشُّبُهاتِ والحَرام ،
وتقضَّت على هذه الحالةِ الأيام ، واندرج عامٌ بعدَ عام .
ما هذا فِعلَ أهلِ العُقولِ والأحلام ! .

إخوانى ـ ما حالُكم : إذا ظهرت فى القِيامةِ فضائحُكم ؟!.
وشهِدَت عليكم بين الخلائقِ جوارِحُكم ؟ ! ..
يا غريقاً فى بِحار الذُّنوب والعِصيان ! ..
يا من سُلِبَ حلاوَةَ الإيمان ، قد علاكَ المَشِيب ! .
وكأنِّى بك ، وقد أتاكَ الموتُ مِنْ قريب ! ..
اِسمعْ هٰذا الكلام : يا مَنْ إذا أصبَحَ ،
أطْلق إلى المعاصِى الأقدام ، ويَقْطعُ نهارَه بالغِيبَةِ
والنميمةِ والآثام ؛ وإذا جنَّ الليلُ بادرَ إلى المَنام ؛
ولا يُبالى : من أينَ كَسَبَ ، من حلالٍ أو من حرام ! ..
فاغتَنِمُوا ـ رحِمَكم اللهُ ـ هذه الأوقات ..
وأكثِروا فيها من الدُّعاء والتضرُّع إلى عالِم السِّرِّ والخَفِيَّات ..
وحافِظوا على الجُمَعِ والجماعات ..
وأحسِنُوا إلى الضُّعَفاء والأرامِلِ وذَوِى القَرابات ..
وعليكم ـ عِبادَ الله ـ ببِرِّ الوالدين ، وإكرامِهما :
إن كانا حيَّيْنِ .. والدُّعاء والاستِغفار لهما : إن كانا مَيِّتَيْن .
وتصدَّقوا واقْضُوا عنْهُما الدَّيْن ..
وروى الترمذى عن عبد الله بن عُمرَ رضى الله عنهما ، قال :
قال رسول اللهِ صلى الله عليه وسلم :
« رِضا الرَّبِّ : فِى رِضا الوالِد ..
وسخَطُ الرَّبِّ : فى سَخَطِ الوالِد . »

وروى ابنُ ماجه عن ثوبانَ رضى الله عنه ، قال :

قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم :

« لا يَرُدُّ القَـــدَرَ : إلَّا الدُّعاءُ ..

وَلا يَزِيدُ فى الْعُمْـــرِ : إلَّا الْبِرُّ .

وَإنّ الرَّجُلَ لَيُحْرَمُ الرِّزْقَ بِالذَّنْبِ يُصِيبُهُ . »

وعليـكم ـ عِبـــادَ اللهِ ـ بصِلَةِ الأرحام ،

والإحْسانِ إلى الفُقَراءِ والأيتام .

روى أبو داود والترمذى عن أبى سعيد ، قال :

قال رسولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« أَيُّما مُسْلِمٍ كَسَا مُسْلِماً عَلَى عُرْيٍ :

كَساهُ اللهُ مِنْ خُضْرِ الْجَنَّةِ .

وَأَيُّما مُسْلِمٍ أَطْعَمَ مُسْلِماً عَلَى جُوعٍ :

أَطْعَمَهُ اللهُ مِنْ ثِمارِ الْجَنَّـــةِ ..

وَأَيُّما مُسْلِمٍ سَقَىٰ مُسْلِماً عَلَى ظَمَإٍ :

سَقاهُ اللهُ مِنَ الرَّحِيقِ الْمَخْتُوم . »

عِبـــادَ اللهِ : إلى متىٰ تجمعون ما لا تأكلون ؟!..

وتبْنُونَ ما لا تسْكُنُون ؟!..

الجيِّـدَ فى بُيوتِـكم : تدَّخِرُون !..

والرَّدىءَ إلى الفقـيرِ تُخْرِجون !..

﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ .

يا بخيلًا بالفَتيلِ ، شحيحًا بالنَّقـــــير :
تختارُ لنفسكَ الأجْوَدَ ، ولرَبِّك الحقير !..
ما لا يصْلُحُ لك من الشَّيءِ : تُعطيه الفقير !..
إن كنتَ تُصَدِّقُ بالثواب ، فتصدَّق بالمحبوب المَصُون .
﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ .

إخـوانى : اِعلموا أن هذا شهرٌ مُباركُ الأيام ،
وهو سببٌ لِمَحْوِ الذُّنوب والآثام ..
فيه يتوفَّرُ جزيلُ الأجرِ والإنعـــام ..
وفى آخِرِه يُنَجِّى اللهُ عِبادَه من النِّيران ..

إخـــوانى : هذا شهرُ الصِّـــيام :
فهلْ أنتُم مِمَّن حفِظَ حُدودَ صَوْمِهِ فيه ؟!..
وأمسكَ عن اللَّغْوِ وقَوْلِ الزُّورِ على فِيه ؟!..
ومِمَّنْ أعَدَّ عملًا صالِحًا لِيَوْمِ الحشرِ يُنْجيه ؟!..
فكمْ صومٍ فَسَدَ ، فلم يسقُط به الفَرْض !..
وكَمْ من صائمٍ يفضحهُ الحسابُ يومَ العَرْض !..
وكَمْ من عاصٍ فى هذا الشهرِ تستغيثُ منه الأرض !..
فيا ليتَ شِعرى : مَن المقبولُ ، ومن المطرود ؟!..
ومَن المُقَرَّبُ ومن المُبْعَد ؟!.. ومن الشقيُّ ومن المُسْعَد ؟!..
تاللهِ لقد سُعِدَ فى هذا الشهرِ بحراسةِ أيَّامه :
من كفِّ جوارِحَه عن كَسْبِ آثامِه !..

ولقد خابَ من لم ينلْهُ من صيامِه ، إلا الجوعُ والظمأ ! .

فللهِ دَرُّ أقوامٍ وفَّقَهم مولاهُم للصِّيام فصاموا :

أظمأوا لأجلِه الأكباد ، فأراحَهُم من جميع الأنكاد ..

وأعانهم على القِيامِ فقاموا ـ ليلًا طويلا ..

وكان لهم ببُلوغ المُرادِ كفيلا : شَغَلَهم به عمن سِواه .

والسَّعيد من بات بخِدمتِه مشغولا ، ولذَّذهم بطيب المُناجاة ،

فنالوا فضلًا جزيلا ، يحزنون لمُفارقةِ شهرِ الصِّيام ،

ويتأسَّفونَ على انقِضاء ليالى التهجُّدِ والقِيام ؛

لأنه موسمٌ يلقَوْنَ فيه رحمةً وقبولا .

فمثِّلْ نفسك ـ يا أخِي ـ وقد حلَّت بك السَّكرات ،

ونزل بِك الأنينُ والغمرات ..

فمِن قائل يقول : إن فُلانًا قد أوصىٰ !..

ومِن قائلٍ يقولُ : إن فلانًا ثَقُلَ لِسانُه ،

ونسِيَ جيرانَه ، ولا يكلِّمُ إخوانَه !..

وأنتَ تسمعُ الخِطاب ، ولا تقْدِرُ على رَدِّ الجواب !..

كذلك : مَثِّل نفْسَكَ وقد أُخِذتَ من فِراشِك إلى لوْحِ مُغْتَسَلِكَ ، وقد جرَّدُوك من أثوابك وقدَّموا لك كفَنَكَ ..

ثمَّ غسَّلُوكَ وألبسوكَ الأكفان ، وبكى عليك

الأهلُ والجيران ، وفقدت الأحبابَ والإخوان

وصِرْتَ إلى العَدَمِ بعد الوُجْدان !..

فبادِرْ - يا أخى - إلى الخيراتِ ، ما دُمتَ فى زمنِ الإمكان ..
وتعرَّضْ لِنَفَحات المَلِكِ المَنَّان ،
وقِفْ بباب مَن بِيَدِه الفضلُ والإحسان .
فإنَّ له نفحاتٍ ، خُصوصاً فى شهر رمضان ..
فيا من نسِيَ العهدَ القديمَ وخان !..
يا دائمَ العِصيان ، متىٰ يُقالُ : تابَ فُلان ؟ !..
مَن الذى سَوَّاكَ فى صورةِ إنسان ؟!..
من الذى غذَّاكَ فى أعجَبِ مكان ؟!..
من الذى بقُدرتِه استقامت الأركان ؟!..
من الذى بحِكمته أبصرت العَيْنان ؟!..
من الذى وهب العقلَ ، فاستبانَ للرُّشدِ وبان ؟!..
من الذى بارزْتَه بالخطايا ، وهو يستُر العِصيان ؟!..
من الذى تركْتَ شُكْرَه ، فلم يُؤاخِذْكَ بالكُفران ؟!..
إلى متى تُخالِفُنى ، وما يصْبِرُ على الخِلافِ الأبَوان ؟!..
وتُعامِلُنى بالغدرِ : الذى لا يرضاهُ الإخْوان ؟!..
أمَا تأنَفُ من هذا ، وتحميك مُروءةُ الإنسان ؟!..
فلوْ عَلِمَ الناسُ منك ما أعلمهُ ، ما جالَسُوكَ فى مكان !..
فارجع إلىَّ ، فأنا المعروفُ بالفضل والإحسان ..
وقِف على بابى ، فأنا المُفيضُ لمن لاذَ بى جزيلَ الإحسان .

* * *

أما آنَ لك يا مِسكينُ : أن تُقْلِعَ عن هواك ؟ ! ..

أما آنَ لك أن تَرْجِعَ إلى بابِ مولاك ؟ ! ..

أنسيتَ ما خوّلكَ ، وأعطاكَ ؟ ! ..

أما خلقكَ ، فســـوّاك ؟ ! ..

أما عَطَّف عليكَ القُلوبَ ، وبرزْقِه غذّاك ؟ ! ..

أمَا ألهمك الإسلامَ ، وهداك ؟ ! ..

أما قرَّبك بفضلِه ، وأدناك ؟ ! ..

أمَا برُّه في كلِّ طرْفَةِ عيْنٍ يغشاكَ ؟ ! ..

فقابلتَ ذلك بالغَفْلةِ ورُكوبِ الشَّهَوات ،

والمُبادرةِ إلى الخطايا والزّلّات ! ..

فجِدَّ في هذا الشهرِ ، عسىٰ أن تُدْرِكَ بما بَقِيَ ما فات ..

أمَا آن لك أن تَسْتَحْيِيَ ممن شاهدَك على المعصيةِ ورآك ! .

ومع هذا الحِرمانِ والبُعدِ عن مولاكَ :

إن عُدتَ إليه ، قبلكَ وارْتضـــاكَ ! ..

وإن دُمتَ على خِدمتِه ، قرَّبكَ وأدناكَ ..

فإلى متى هـــذا التَّوانى :

أمَا تُقلِعُ عن غيِّك وهواك ؟ ! ..

* * *

ابنَ آدمَ : أتُراكَ بأيِّ عملٍ تُجزَى :
هل أنت تُهنَّى أم تُعزَّى ؟!..
قلبُك عند الصلاةِ فى غَيْبَة ،
ولِسانُكَ حالَ الصَّوْمِ فى رغْبَة ،
فاجتهِدْ ، قبلَ أن يَفُوتَ التَّدارُك ،
فرِّغْ قلبَكَ ، قبل أن تفرُغَ منك دارُك .

* * *

اللَّهُمَّ : عامِلْنا بإحسانك ، وتولَّنا برحمتِك وغُفرانِك .
واجعلْنا مِن عِبادك الذين لا خَوْفٌ عليْهِم ،
ولا هُمْ يَحْزَنون .
اللهُمَّ : لا تحرِمْنا بعُيوبِنا ، ولا تطرُدْنا بذُنوبِنا ..
وتجاوزْ عن جرائمِنا بعفوِك وغُفرانِك ،
وألْحِقْنا بالَّذين أنعَمْتَ عليْهِم فى دارِ رِضْوانِك ،
وارزُقنا ما رزَقْتَهم مِنْ نعيمِ قُرْبِك ؛
وأذِقْنا ما أذقْتَهُم مِن لذَّةِ مُناجاتِك وصِدْقِ حُبِّك ..
واغْفِر ـ اللَّهُمَّ ـ لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين :
الأحياءِ منهم والميِّتين ..
برحمتك يا أرحم الراحمين ؛
وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وآلِه وصَحْبِه أجمعين .

﴿ الفصل الرابع :
فى فضْلِ السَّبْعِ الأواخِرِ مِنْ رمضان المُعَظَّمِ ولَيْلة القَدْرِ ﴾

الحمدُ لله : الحىُّ القَيُّومِ الذى لا يزُولُ ولا يَفْنىٰ ،
السَّميع البَصير الذى يسمَعُنا ويرانا ..
نحمدُه على ما منحَنـــا وأوْلانا ..
ونشـكُره : وكيف لا نشْـكرُ مولانا ..
وأشهدُ أن لَّا إله إلا اللهُ : وحده لا شريك له ـ
سِرًّا وإعْـــلانا .
وأشهدُ أن سيِّدَنا ونبيَّنـــا محمداً : عبدُه ورسولُه ـ
صلَّى اللهُ عليْـــه وسلَّم ، وعلى آلِه وأصحابِه :
الذين كانوا أنصاراً له وأعْوانا ..
وسَلَّم تســـليماً كثيرا .

* * *

عبـــادَ اللهِ : لَيْلَةُ القَدْر عظيمةُ القَدْر .
ولها أعظمُ الشَّرفِ وأوْفىٰ الأجْر .
لَيْـــلةٌ شرَّفها اللهُ على غيْرِها ،
ومنَّ على عِبادِه بجزيلِ خيْرِها .
ليلةٌ أنزلَ اللهُ فيها القُرآن ،
وأجزل فيها الإفْضال والإحسان ..

ووالىٰ فيها اللُّطفَ على خَلْقِه والِامْتِنان ..
وشرَّف قدْرَها على سائرِ الزَّمان .
ليلةٌ هى : خيْرُ الليالى فى الصبر ..
ويُعادُ فيهـــا على المُنكسِرين بالجَبْر ..
ليلةٌ لا تُشبِهُ ليالىَ الدَّهر .
﴿ لَيْلَةُ الْقَدْرِ : خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ﴾ ..
ليلةٌ يطيبُ بالخِدمةِ صافيها ،
ويسهلُ من صِعَابِ الأُمورِ تلاقِيها ..
تنزَّلُ الملائكةُ والرُّوحُ فيها .
فخُذْ أيُّها الإنسانُ بنصيبِك من خيْرِها الحسَنِ ،
واهْجُرْ لذَّةَ النَّوْمِ وطِيبَ الوَسَن ..
وجافِ جنبَيْكَ عن مضجعِكَ الحَسَن ..

* * *

واعلموا ـ رحِمَكم اللهُ ـ أَنَّ هذه الليْلةَ :
ليلةُ أربعٍ وعِشرين .. وهى أول السَّبع الأواخِر .
وقد قال طائفةٌ من أهل العِلم : إنها ليْلةُ القَدْر ،
وممن قال ذلك الحسنُ البصْرِىُّ وأهلُ البصرة كافَّة .
وَرُوِىَ عن أنسٍ ـ رضى الله عنه ـ أنه يقول ذلك .
وأخرج أحمد وأبو داود والترمذى وابنُ جرير ،
عن بلالٍ رضى الله عنه ، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« لَيْلَةُ الْقَدْرِ : لَيْـلَةُ أَرْبَعٍ وَعِشْرِينَ . »

ورُوِى عن سعيد بن جبير ، قال :

كُنّا مع ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ

ذاتَ ليْلةٍ بالمسجدِ الحَرام .. فخفَق رأسُه خفْقةً ..

فقال : (أىُّ ليـلةٍ هٰذه ؟)

قلنا : ليلةُ أربع وعشرين .

قال : (الليلةُ : ليلةُ القَدْر .. رأيْتُ الملائكةَ نزلوا) .

وقالت عائشةُ رضى الله عنها للنبىِّ صلى الله عليه وسلم :

(أرأيْتَ : إن وافقْتُ ليْلةَ القدْر : ما أقولُ فيها ؟)

قال : « قـولى :

(اللهُمَّ : إنّكَ عَفُوٌّ تُحِبُّ الْعَفْوَ ، فَاعْفُ عَنِّى) . »

كان النبىُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يقولُ :

« اللَّهُمَّ : إنِّى أَعُوذُ بِرِضاكَ مِنْ سَخَطِكَ ،

وَبِمَعْفوكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ .. »

وقد جاء بحديثٍ عن ابْنِ عباس مرفوعاً :

« إنَّ اللهَ ينظُرُ ليْلةَ القَدْرِ إلى المؤمنين ،

مِن أُمَّةِ محمدٍ صلّى اللهُ عليه وسلم ..

فيَعْفُو عنْهُم ويرْحَمُهم إلّا أربعةً :

مُدْمِنُ خَمْرٍ ، وعاقٌّ ، ومُشَاحِنٌ ، وقاطِعُ رَحِمٍ . »

وفى الصحيحين عن عائشة رضى الله عنها ، قالت :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« الرَّحِـمُ مُعَلَّقةٌ بالعرشِ تقولُ :

مَنْ وصَلَنِي ، وصَلَهُ اللهُ ..

ومَنْ قطعَنى ، قطعَه الله » .

وفيهما عن أنسٍ رضى اللهُ عنه ، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« مَنْ أحبَّ أن يُبْسَطَ له فى رِزْقِه ،

ويُنْسَأَ له فى أثَرِه ، فليَصِلْ رحِمَـه » .

وقال صلى الله عليه وسلم :

« لا تنزِلُ الرحمةُ على قوم ، فيهم قاطِعُ رحِم » .

فيـا إخـوانى :

أحضِروا قُلوبَكم عند صلاتِكم ،

وعندَ مُنـاجـاةِ ربِّكم .

قال النبىُّ صلى الله عليه وسلم :

« اُدْعُوا اللهَ وأنتُم مُوقِنونَ بالإجابة ..

واعلموا أن اللهَ سُبْحانَه وتعالى ،

لا يستجِيبُ دُعاءً مِنْ قلبٍ غافِلٍ لاهٍ » .

وفى الحديث الآخَرِ :

« فإنّه لا يستجيب لعبدٍ دعاهُ عن ظَهرِ قلبٍ غافِلٍ » .

وعن أبى أيُّوبَ الأنصارىِّ رضى الله عنه ، قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إنَّ الرَّجُلَين لَيَتَوَجَّهانِ إلى المسجد ، فيُصَلِّيانِ . .

فينصَرِفُ أحدُهما مِن صلاتِهِ : أثْقَلَ مِن أُحُد . .

وينصرِف الآخَرُ ، وما تَعدِل صلاتُه مِثقالَ ذَرَّة » .

وعن عُمر بن الخطاب رضى الله عنه قال :

قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« ما مِنْ مُصَلٍّ إلا وملَكٌ عن يمينِه ، وملَكٌ عن شِمالِه . .

فإنْ أتمّها عَرَجا بِها . . وإن لم يُتِمَّها ضربا بِها وجْهَه » .

* * *

عِبـادَ الله : اِحْذروا أكلَ الحَرام ،

فإنّه سببٌ لِردِّ الدُّعاء ـ كما فى صحيح مسلم ،

عن النبىِّ صلى الله عليه وسلم ـ

فى الرَّجُلِ الذى يمدُّ يديْه إلى السَّماء :

يا رَبِّ يا رَبِّ . . ومطعَمُه حرامٌ ، ومشْرَبُه حرامٌ ،

ومَلْبَسُه حرامٌ . . فأنّى يُستجابُ لِذلكَ ؟! »

ورَوَى أحمدُ والدارمى عن جابرٍ ،

عن النبىِّ صلى الله عليه وسلم :

« لا يدخُل الجنّةَ لَحْمٌ نَبتَ من السُّحْتِ . .

وكلُّ لحْم نَبَت من السُّحتِ ، كانت النّارُ أوْلَى بِه » .

وفى حديثِ أبى بكر رضى الله عنه ،
عن النبىِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« لا يدخُل الجنّةَ جسَدٌ غُذِىَ بِالْحَرَام » .
(رواه البيهقى فى « شعب الإيمان ») .

ابنَ آدمَ : كأنّكَ بما يُزعِجُ ويروع ! ..
وقد قَطَعَ الأُصولَ والفُروع ! ..
أتنفعُكَ وقتَ المَوْتِ الدُّموع ؟! ..
تقول : فَرِّقوا المالَ — فالعجبُ : كيفَ يجودُ المَنُوع ؟!..
هٰذا وملَكُ الموتِ يَسُلُّها مِن بَيْنِ الضُّلوع !..
ورَشَقَكَ بسهمِ المَنونِ ، فما أغْنَت الدُّروع ! ..
وفرغَتْ مِنكَ المساكنُ ، وخَلَتِ الرُّبوع !..
وتمنّيتَ : أن لو زِدْتَ مِن سُجودٍ أو رُكوع !..

* * *

عِبادَ الله : الدُّنيا فى إدْبار ؛ وأهلُها فى اسْتِكثار !..
والزارِعُ فيها غيرَ التُّقَى ، لا يحصدُ إلا النّدم !..
كان أبو الدرداء يقولُ :
(مالى أرىٰ عُلَماءَكم يذْهبون ،
وجُهّالَكُم لا يتعلّمون ؟!.
تعلّموا ؛ وعلّموا .. فإنّ العالِمَ والمتعلِّمَ فى الأجْرِ : سَواء .
ولا خيرَ فى الناسِ بعدَهما .

إن العبدَ إذا عمِل بطاعةِ اللهِ ، أَحَبَّهُ اللهُ ؛
فَإِذَا أَحَبَّهُ اللهُ ، حَبَّبَهُ إلى خَلْقِهِ .
وَإِذَا عَمِلَ بمَعصيةِ اللهِ ، أبغضَه اللهُ ..
فإذا أبغضَه اللهُ ، بغَّضَه إلى خَلْقِه) .
وكان يقول : (ما تصدّقَ مُؤْمِنٌ بصَدقةٍ ،
أَحَبَّ إلى اللهِ مِن موْعِظَةٍ يعِظُ بها قوماً —
فيَتَفرّقونَ وقد نفعَهُم اللهُ بها) .

* * *

ويْــلٌ لكلِّ جَمَّاعٍ : فاغِرٍ فاهُ ؛
كأنّه مجنونٌ : يرىٰ ما عِند الناسِ ، ولا يرىٰ ما عِنده !..
لو استطاع ، لوَصَل الليلَ بالنهار ! ..
ويلٌ له مِن حِسابٍ غليظٍ وعذابٍ شديد ! ..
وا أسَفاً من الصّحيفةِ : إنْ نشَرها ! ..
وا حَزَناً على الذُّنوب : إن أظهرها ! ..
وا حسرةً على خَطايا ، ما غفَرها ! ..
يا مَنْ حادَ عن الطريقِ ، وقد أبْصرها ! ..
يا مَن شاهد نجاتَه ، وكأنّه لَمْ يرها ! ..
تاللهِ ، لقد آذى العاصِي نفسَهُ وعَثَّرَها !..
كم سَمِعَ موْعِظةً من مُذكِّرٍ قد كرَّرَها ؛
ثم أعرضَ عنها ، بعد أن فهِمَها وتدبّرها ؟!..

قال ابنُ عباس وأنس رضى الله عنهم :

(إنَّ لِلحسَنةِ نُورًا فى القَلبِ وزَيْنًا فى الوَجْه ،
وقُوّةً فى البَدَنِ ، وسَعَةً فى الرِّزق ،
ومحبّـــةً فى قُلوب الخَلق ..
وإنَّ للسَّيِّئةِ ظُلمةً فى القَلْب ، وشَيْنًا فى الوَجْه ،
ووهْنًا فى البَدَن ، ونقصًا فى الرِّزقِ ،
وبُغْضةً فى قُلوب الخَلْق) .

وكان الإمام أحمد وسُفيان الثورى يتمثّلان بهذين البَيْتين :

تفنَى اللّذاذةُ مِمَّن ذاقَ صَفْوَتَها
من الحَرام ويبقَى الإثمُ والعـــارُ
تبقَى عواقِبُ سُوءٍ فى مَغَبَّتِهـــا
لا خيْرَ فى لذَّةٍ مِن بعْدِها النّارُ

* * *

فاحْذَرُوا — رحِمَكم الله — المَعاصىَ ، فبِئْس المطلوب ! ..
ما أقبَحَ آثارَها فى الوُجوهِ والقلوب ! ..
عِبـــادَ اللهِ :
ما هٰذا الإخلادُ والطُّمأنينةُ إلى دارِ البَلاء والفُتُون ؟! ..
أمَا أيْقظكم ما تَسْمعون ؟! . أما وعظكم ما تُبصِرون ؟! ..
أما علِمتم أنكم فى كلِّ يوْم إلى الآخرة تُقرَّبون ،
وعن الدنيا تُبعَدون ؟! ..

أما أيقظكُم ما سمعتمـــوه
من أخبارِ الأمم الماضية والقُرون ؟!..
وما كانوا عليه ، وما كانوا يُمتَّعون ؟!..
وما نالوه ، وما كانوا يُؤمِّلون ؟!..
مرَّ بهم : كطيفٍ زارَ ، وهُمْ نائمون !..
وأحْصَتْ عليهم الكُتُبُ ما كانوا يعمَلون !..
ثم رُدُّوا إلىٰ اللهِ مَوْلاهم الحَقِّ ، وضلَّ عنهم ما كانوا يفْتَرُون !..
وإنَّ لكم فيهم لَمُعْتَبَرًا ، لوْ أنكم تعتبِرون !..
أمَا ترونَ سُرعةَ وَثَباتِ المَنونِ ،
وهجومَهُ فى الحركات والسُّكون ؟!..

* * *

عِبـــادَ اللهِ :
أزِفَت الآزِفَةُ ، وأنتُم غافِلون !..
فبأىِّ عملٍ على الله تقدُمون ؟!..
أم بأىِّ سببٍ لِلنَّجاةِ تُؤمِّلون ؟!..
﴿ اِقْتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمْ ، وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ مُعْرِضُونَ ﴾ .
قد غرَّتكم ـ واللهِ ـ الأمانِيُّ الكاذِبَةُ والظُّنون !..
أتطْمَعُونَ فى منازِل الصالحين ،
وأنتم عن أعمالهم مُتَخلِّفون ؟!..

﴿ أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ اجْتَرَحُوا السَّيِّئَاتِ أَنْ نَجْعَلَهُمْ
كَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَوَاءً
مَحْيَاهُمْ وَمَمَاتُهُمْ ، سَاءَ مَا يَحْكُمُونَ ﴾ .

أمَا والله : لتُجْمَعُنَّ ليومٍ يُجمع فيه الأوّلون والآخِرون ..
ولتُحاسَبُنَّ على الصَّغيرِ والكبيرِ ، وتُناقَشون !..
ثم لتصيرُنَّ إلى دار نعيمٍ فيها ما تشتهيه الأنفُسُ
وتَلَذُّ الأعْيُنُ ، وأنتمْ فيها خالِدون !..
أو إلى دارِ عذابٍ دائمٍ لا يُفَتَّرُ عنهم ، وهُمْ فيه مُبْلِسون !..
واعْلموا ـ رحِمَكم اللهُ ـ أن هٰذه العَشْرَ
قد ندَبَكُم اللهُ إلى تعظيمِها واحترامِها ،
وأجزلَ الثّوابَ لمَن أحيا لَيالِيَها وقامَها ..
فانتبِهُوا ـ رحِمَكم الله ـ واهْجُروا لذيذَ المَنام ،
واحْذروا مِن الغَفْلةِ فى هذه اللّيالى والأيّام ..
وخُذُوا قَدْرَ البُلْغَـــةِ من الطّعام ..
هٰذه عَشْرُ مَحْوِ الذُّنوب .. هٰذه عشرُ حياةِ القُلوب ..
هٰذا وقتُ تِلاوةِ الكِتاب .. هذا وقتُ عِمارَةِ المِحْراب .
هذا شهرٌ تُخْلَعُ فيه خِلَعُ الغُفْرانِ ، وتتوفّر لها الأسباب ..
هذا شهرٌ يُسْمَعُ فيه الدُّعاءُ ويُستَجاب ..
شهرُ الإفاضاتِ والنَّفحاتِ وعِتْقِ الرِّقاب ..

* * *

عِبـــادَ اللهِ :

متىٰ يُغفَرُ لِمَن لم يُغفرْ له فى رمَضانَ ؟!..

متىٰ يُزلَفُ مَن رُمِيَ فيه بالإبعادِ والحِرمان ؟! .

اللَّهُـــمَّ :

لا تحرِمْنا بِذُنوبِنا ، ولا تطْرُدنا بعُيوبِنا ..

واجعل لنا من كلِّ همٍّ وغَمٍّ فرَجًا ،

ومِن كلِّ ذنبٍ وضِيقٍ وشهْوةٍ مَخْرجًا .

اللهُمّ : ارْحم عِبادًا غرَّهم طُولُ إمهالِك ،

وأطمعَهُم دوامُ فضلِك وإحسانِك ،

ومدُّوا أيْديَهم إلى كَرَمِ نَوالِك ،

وتيقّنُوا أن لَّا غِنَى لهم عن سُؤالِك .

واغفر - اللَّهُمَّ - لنا ولوالِدينا ، ولجميع المُسلمين :

الأحيـــاء منهم والميِّتين ،

بِرَحمتِك يا أرحمَ الرّاحمين ،

وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وآلِه

وصَحْبِـــه أجمعين .

﴿ الفصل الخامس :
فى فضْلِ ليلةِ خمسٍ وعِشرين مِن رمضانَ المعظم ﴾

الحمدُ لله : خالِقِ الدُّجَىٰ والصَّباح ؛
ومُسبِّبِ الهُدَى والصَّـــلاح ؛
ومُقَدِّرِ الغُمومِ والأفراح ،
الجائـــدِ بالفضْل والسَّماح .
أحمـــدُه سُبحانَه وأشكرُه
على نِعَمٍ تتجدَّدُ بالغُدُوِّ والرَّواح ..
وأشهدُ أن لَّا إلٰهَ إلا اللهُ وحده لا شريك له ـ
الذى خلق البَشَرَ ، وفَطر الأشْباح ..
وأشهَدُ أن سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عبدُه ورسوله :
الدَّاعى إلى طريقِ الصَّلاح ،
صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وأصحابِه : ما بدا فجرٌ ولاح ،
وسلَّم تسليما كثيراً .

* * *

اِعلموا ـ رحِمَكم الله ـ أن هذه الليلةَ : ليلةُ خمسٍ وعِشرين ..
وقد قال طائفةٌ مِن أهلِ العِلم : إنَّها ليلة القدر .
وقد رُوى فيها حديثٌ عن النبىِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال :
« اِلْتَمِسُوها ـ يعنى : ليلة القدر ـ فِى تِسْعٍ يَبْقَيْنَ ،
أَوْ سَبْعٍ يَبْقَيْنَ ، أَوْ خَمْسٍ يَبْقَيْنَ . »

قال مالكٌ : (أرى ـ واللهُ أعلم ـ
التَّاسِعَةَ : ليلةَ إحدَى وعِشرين .
والسابعَةَ : ليلةَ ثلاثٍ وعِشرين ..
والخامِسةَ : ليلةَ خمسٍ وعشرين) .

واعلموا ـ رحِمَكم اللهُ ـ أنَّ شهرَ رمضانَ : (شهرٌ أوَّلُهُ : رحمةٌ ، وأَوْسَطهُ : مغفِرةٌ ؛ وآخِرُه : عِتْقٌ من النار) .

ولهذا ورد فى الحديث الصحيح :

(أنه تُفتحُ فيه أبوابُ الرَّحمةِ) .

وروَى أحمد والنَّسائىُّ ، قالا :

قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلَّم :

« أَتاكُمْ رَمَضانُ : شَهْرٌ مُبارَكٌ ، فَرَضَ اللهُ عَلَيْكُمْ صِيامَهُ ..
تُفْتَحُ فِيهِ أَبْوابُ السَّماءِ ، وَتُغْلَقُ فِيهِ أَبْوابُ الْجَحِيمِ ،
وَتُغَلُّ فِيهِ مَرَدَةُ الشَّياطِينِ ..
فِيهِ لَيْلَةٌ : خَيْرٌ مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ..
مَنْ حُرِمَ خَيْرَها : فَقَدْ حُرِمَ . »

وقال رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

« الصِّيامُ وَالْقُرْآنُ يَشْفَعانِ لِلْعَبْدِ يَوْمَ الْقِيامَةِ ..
يَقُولُ الصِّيامُ : (أَىْ رَبِّ ، مَنَعْتُهُ الطَّعامَ وَالشَّهَواتِ ،
بِالنَّهارِ .. فَشَفِّعْنى فِيهِ) ، وَيَقُول الْقُرْآنُ :
(مَنَعْتُهُ النَّوْمَ بِاللَّيْلِ ، فَشَفِّعْنِى فِيهِ) .. فَيُشَفَّعانِ » .

وفى الترمذى وغيره : (أن لِلهِ عُتقاءَ مِن النار ،
وذلك كلَّ ليلة) .

واعلموا ـ رحِمَكم اللهُ ـ أن الأغلبَ على أوّل الشهرِ :
الرَّحمةُ ، وهى للمُحسنين المُتّقين ـ
قال اللهُ تبارك وتعالى :
﴿ إِنَّ رَحْمَةَ اللهِ قَرِيبٌ مِّنَ الْمُحْسِنِينَ ﴾ ..
وقال تبارك وتعالى :
﴿ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ ،
فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ .. ﴾ .
فيُفاضُ على المُتّقينَ فى أوّلِ الشهر :
خِلَعُ الرحمةِ والرِّضوان ،
ويُعامَلُ أهلُ الإحسان بالفضل والامْتِنان .
وأما أوسطُ الشهرِ ، فالأغلبُ عليه : المغفِرَةُ ،
فيُغْفَرُ فيه للصَّائمين ، وإن ارتكبُوا بعضَ الذُّنوب الصِّغار ؛
فلا يمنعُهم ذلك المغفرة ـ
كما قال تبارك وتعالى :
﴿ وإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَى ظُلْمِهِمْ ﴾ .
وأمَّا آخِرُ الشهرِ ،
فيعتِقُ اللهُ فيه مِنَ النارِ : من أوْبقَتْه الأوزارُ .

وفى حديث ابن عباس :

« لِلّهِ فى كُلِّ ليلةٍ مِنْ شهرِ رمضانَ عِند الإفطار :

ألفُ ألفِ عتيقٍ مِن النّار ،

فإذا كانت ليلةُ الجُمُعةِ أو يومُ الجمُعَة ،

أعتق اللهُ فى كلِّ ساعةٍ : ألفَ ألفِ عتيقٍ مِن النّار ،

كلُّهم قد اسْتَوْجَبُوا العَذاب .

فإذا كان آخِرُ ليلةٍ مِن شهرِ رمضان :

أعتقَ اللهُ - فى ذٰلك اليوم -

بِعددِ ما أعْتَقَ من أوّلِ الشهرِ إلى آخره . »

(خرّجه شبيبُ بن سلمة)

فبادِرُوا - رحِمَكُم اللهُ -

ما بقِيَ مِن شهرِكُم ، فإنه مُغْتنم . .

واستدْرِكوا ما فاتَ منه بالحسرةِ والنّدم .

فمَنْ أصْلَح ما بقِيَ واستدرَك ما مَضىٰ :

نـــالَ الفَوْز وأدرك الرِّضَا ..

ومَن أفسد بالمعاصى أيّامَ عَشْرِه :

ندِمَ يوْمَ الأخْذِ بالنّواصِى يوْمَ حشْرِه .

فيا مُصْلِحاً أيّامَ شهرِه الماضية - هذه العشرُ : أحسَنُها .

ويا مُجتهداً فيما خلا منه - هذه الأيامُ : أزْيَنُها ..

فبادِر صِحَّتك واغتنِمها .. وجاهِدْ نفسَكَ على الطاعةِ والتزِمْها ..

واعرِفْ فضائلَ شهرِكَ واغتَنِمها ..

إنما هى أيامٌ صادِرَة تُغْتَنَم .

وأوقاتُ فضائِلَ : عشرٌ تُحْتَرَم .

والنُّفوس قد تَغْفُلُ فتُخْتَرَم ..

كمْ فى المَقابِرِ من مُتَمَنٍّ هذا الشهرَ ، فما لقِيَه ؟!..

صَدَّهُ عنه سهمُ المَنونِ ، فما وُقِيَه ؟ ! .

كمْ من مُؤَمِّلٍ مُشاهدتَه ، وقد طال أملُهُ ؟!..

كمْ من مُحَدِّثٍ نفسَه فيه بالتوبةِ ، سَبَقهُ أجلُهُ ؟!..

عِبادَ اللهِ : حافِظوا على الصلوات ..

وأدُّوا ما وجب عليكم من الزَّكاة ،

وإيّاكم والغِيبةَ والنميمةَ وجميعَ المُنكَرات .

روى مسلمٌ عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال :

قال رسولُ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّم :

« أَتَدْرُونَ ما الْغِيبَةُ ؟ »

قالوا : اللهُ ورسولهُ أعلم .

قال : « ذِكْرُكَ أَخاكَ بِما يَكْرَه . »

قال : أرأيْتَ إنْ كان فى أخى ما أقولُ ؟

قال : « إنْ كانَ فِيهِ ما تَقُولُ ، فَقَدِ اغْتَبْتَهُ ..

وَإنْ لَمْ يَكُنْ فِيهِ ما تَقُولُ ، فَقَدْ بَهَتَّهُ . »

وروى البخارى عنه قال : قال رسولُ اللهِ صلى الله عليه وسلم :

« إنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ رِضْوانِ اللهِ
ـ ما يُلْقِي لَها بالًا ـ يَرْفَعُهُ اللهُ بِها دَرَجاتٍ .
وَإنَّ الْعَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بِالْكَلِمَةِ مِنْ سَخَطِ اللهِ
ـ لا يُلْقِي لَها بالًا ـ يَهْوِي بِها فِي جَهَنَّمَ . »

وروى الترمذىُ عن ابن عمرَ رضى اللهُ عنهما ،
عن النبىِّ صلى اللهُ عليه وسلَم ، أنه قال :

« لا تُكْثِرُوا الْكَلامَ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ ..
فَإنَّ كَثْرَةَ الْكَلامِ بِغَيْرِ ذِكْرِ اللهِ : قَسْوَةٌ لِلْقَلْبِ ..
وَإنَّ أَبْعَدَ النَّاسِ مِنَ اللهِ : الْقَلْبُ الْقاسِي . »

وروى أبو داود عن أنسٍ رضى الله عنه ، قال :
قال رسولُ الله صلى الله عليه وسَلَّم :

« لَمَّا عُرِجَ بِي ، مَرَرْتُ بِقَوْمٍ لَهُمْ أَظْفارٌ مِنْ نُحاسٍ
يَخْمِشُونَ بِها وُجُوهَهُمْ وَصُدُورَهُمْ . .
فَقُلْتُ : مَنْ هٰؤُلاءِ ، يا جِبْرِيلُ ؟
قالَ : (هٰؤُلاءِ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ لُحُومَ النَّاسِ ،
وَيَقَعُونَ فِي أَعْراضِهِمْ) . »

وقال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلم :

« مَنْ رَدَّ عَنْ عِرْضِ أَخِيهِ الْمُسْلِمِ :
رَدَّ اللهُ عَنْ وَجْهِهِ النَّارَ يَوْمَ الْقِيامَةِ . »

ابنَ آدَمَ :

كأنّى بك وقد فصَمَ الموتُ عُراكَ : التى بها تَمكّنت !..

وأخرجكَ من دارِك : التى جوّدْتَ عِمارَتَها وسكّنت !..

فتفكّر فى قبرِ : تخلُو فيهِ بما أسأْتَ وأحسَنْت ـ

إلى أن تقومَ منه إلى الحِساب ، على ما أسْرَرْتَ وأعلنت !..

فتزيّنْ بالتُّقَى ـ فطُوبَى لكَ ، إن تَزَيّنْت !..

واعملْ ما ينفعُكَ غدًا ؛ وإلّا فمن أنت ؟ !..

ستندمُ على تقصيرِكَ إذا رأيْتَ مَلَكَ الموتِ ،

ونادَى رُوحَكَ : اُخْرُجى ؛ فأزعجها الصّوت !..

فلا أُمَّ لكَ تقيك ، مِمّا يُلاقِيك !..

ولا ولدَ يقْدِرُ ، أن يفْدِيَك !..

وَوَدّعكَ الأهلُ : وَداعَ من لَا يلتقى !..

وتصعَدُ الرُّوحُ مِن أسْفلِ الجسدِ وترْتقِى !..

فإن كنتَ طائعًا : فُزْتَ ، وإلّا فأنتَ الشّقِى !..

فيا مُضيّعًا ما مضىٰ مِن عُمره : تَحفّظ فيما بَقِى ..

إذا بلَغَت رُوحُكَ التّراقِىَ ، عَرفتَ خبرَكَ ..

وكأنّى بك ، وقد شاهدتَ ما أذهلكَ وحَيّرَكَ ! ..

واطّلع على بدَنِكَ : مَن كان ـ قبْل ذلك ـ لم يرَكَ !..

وقالت الملائكةُ : (ما الّذِى قدّمَ ؟ ! ..)

(وقال النّـاسُ : ماذا ترك ؟!..)

وحُمِلْتَ إلى لَحْدٍ ، شانَ مَحاسِنَك وغيَّرك !..
وأحالَ صُورَتكَ ، وإلى البِلَى صَيَّرك !..
ليْتَ شِعرى : إذا دَنا انْتِقالُكَ ، ماذا مقالُكَ ؟! .
وإذا أزِفَ ارتِحالُك : كيفَ يكونُ حالُك ؟!..
وماذا ينفعُك مقالُك ، إذا أوْبَقَتْك أعمالُك ؟!..
فتأهَّبْ للرَّحيلِ ، فقد آنَ زَوالُك .
وحاسِبْ نَفْسكَ ، فقد قَرُبَ سُؤالُك ..

* * *

عِبادَ اللهِ : العَجَبُ لنفسٍ : الموتُ مَوْعِدُها ؛
والقبرُ : منْزِلُها ؛ واللَّحدُ : مَدخَلُها .. ثم يسوء عملُها !..
كم مشغولٍ بالقُصورِ يعمُرُها :
لا يُفكِّرُ بالقبورِ ولا يتذكَّرُها ؟ !..
يبيتُ الليالِيَ فى فِكرِ الدُّنيا ويسهَرُها !..
وأما الآخِرَةُ ، فقليلًا ما يتذكَّرُها !..
فلا حولَ ولا قوة إلَّا باللهِ الذى فطَرها !..

إخوانى : اِعلموا أنه يُستَحبُّ تطييبُ المساجدِ
والتزَيُّنُ فى الليالى التى تُرجىٰ فيها ليْلةُ القَدْر ..
ويُستحبُّ الاغتِسالُ والتطيُّبُ ، واللِّباسُ الحسَن ..
كما يُشرَّعُ ذلك فى الجُمَعِ والأعيادِ ، وكذلك جميعُ
الصلواتِ : يستحبُّ التزيُّنُ لها ـ كما قال تعالى :

﴿ يَا بَنِي آدَمَ : خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ ﴾ .

أى : عند كلِّ صلاة .

ويُستحَبُّ حُضورُ مجْلِسِ الخَتْمِ لمن يقرأ ، ومن لا يقرأ ، لأن الدُّعاء يُستجابُ عند ختْم القُرآن .

وينبغى للإمام أن يَتَحرَّى بالخَتْمِ أوقاتَ الإجابةِ والفضل ، لا سيَّما فى الليلةِ التى تُرجَىٰ فيها ليْلةُ القَدْر ..

وأن يُلِحَّ فى الدُّعاء رافعاً يديْه ..

وأن يدعُوَ بالأمور المُهمَّة ، والكلمات الجامعةِ ..

وأن يكونَ مُعْظَمُ ذلك فى أُمورِ الآخِرَة ..

ويدعو للمُسلمين بالمغفرةِ وصلاح سُلطانِهم وسائرِ وُلاتِهم .

* * *

إخــوانى : ما هذه الغفلةُ ، وإلىٰ البِلىٰ المصير ؟!..

وما هذا التَّوانى ، والعُمْرُ قصـــير ؟!..

وإلى متىٰ التّمادى فى البَطالةِ والتقصير ؟!..

وما هذا الكَسَلُ ، وقد أنذرَ النَّــذير ؟!..

إلىٰ متىٰ تُبَهْرِجُونَ ، والنَّاقدُ بصير ؟! .

فتذكَّروا ـ رحِمَكم الله ـ فالأمرُ شديد .

وبادِرُوا بقيَّةَ العُمرِ ، فالنَّدمُ ـ بعد الموتِ ـ لا يُفيد .

﴿ وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ ، ذٰلِكَ مَا كُنْتَ مِنْهُ تَحِيدُ ﴾ .

* * *

* * *

عِبـــادَ اللهِ :

طوبىٰ لمن تَنَبَّهَ مِن رُقادِه ،

وبكىٰ على ما مضىٰ من فَسادِه ،

وخرجَ من دائرةِ المعاصى إلى دائرةِ سَدادِه :

عَساهُ يمحُو - بِصحيح اعترافِه - قبيحَ فَسادِه .

* * *

اللهُـــمّ : إنَّا نسألُك أن تُبَدِّل مِنَّا الفسادَ بالصَّلاح ،

والخُسرانَ بالأرْباح ؛ وأن تُعامِلَنا بالعفوِ والسَّماح .

اللهُـــمّ : اجعلْنا مِن عِبادِكَ المخلِصين ..

وانْظِمْنا فى سِلْكِ عِبادِكَ المُفْلِحين .

وآمِنَّا من الفزَعِ الأكبرِ يوم الدِّين .

واحشُرْنا مع الذين أنعَمْتَ عليهم من النبيِّين

والصِّدِّيقين والشهداء والصالحين .

واغفر - اللهُمّ - لنا ولجميع المسلمين :

الأحيـــاء منهم والميِّتين ..

برحمتِـــك يا أرحم الراحمين ..

وصلَّى اللهُ وسلَّم على نبيِّنا محمدٍ وآلِه وصَحْبِه أجمعين .

﴿ الفصل السادس :
فى فضْلِ قِيـــام اللَّيْل ﴾

الحَمْـــدُ للهِ :

الذى لم يَتَّخِذْ فى خَلْقِ السمٰوات والأرضِ أعوانًا ؛
العظيمِ السُّلطانِ ـ وناهيكَ بشأنِ الرُّبوبيَّة شانًا ..
قسَّمَ خلْقَـــه : شمائلَ وأيْمانًا ..
وجعل للسعادةِ والشَّقاوةِ عُنوانًا ..
فطُوبىٰ لِلذين إذا ذُكِّروا بآياتِ ربِّهم ، زادتْهُم إيمانًا .
أحمدُه سُبحانَه على ما عمَّنا به مِن فضلِه ، وأوْلانا ..
وأشكُره سُبحانه ، ولمْ يزلْ يُولى الشَّاكرين إحسانًا ..
وأشهدُ أن لَا إلٰه إلا اللهُ وحده لا شريك له : توحيدًا وإيمانًا .
وأشهدُ أن سيِّدَنا ونبيَّنا محمداً عبدُه ورسولُه ـ
الدَّاعى إلى التوحيـــدِ : سرًّا وإعلانًا ..
صلَّى اللهُ عليـــه وسلَّم ، وعلى آلِه وأصحابِه :
الذين كانوا له علَى الحَقِّ أنصارًا وأعوانًا .

* * *

اِعْلموا ـ رحِمَكم الله ـ أنه يُستَحَبُّ قِيامُ اللَّيلِ .
قال الله سبحانه وتعالى :
﴿ كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ *
وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴾ :

وقال تبارك وتعالى :

﴿ وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا وَقِيَامًا ﴾ .

وقال تبارك وتعالى :

﴿ تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ
خَوْفًا وَطَمَعًا ، وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ *
فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ ،
جَزَاءً بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ﴾ .

وقال تبارك وتعالى :

﴿ وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ نَافِلَةً لَكَ ،
عَسَى أَنْ يَبْعَثَكَ رَبُّكَ مَقَامًا مَّحْمُودًا ﴾ .

وفى صحيح البخارىّ ، عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال :

« ينزِلُ رَبُّنا تَبارَكَ وَتعالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إلَى السَّماءِ الدُّنْيا ،
حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ .. فَيَقُولُ :
[مَنْ يَسْتَغْفِرُنِي ، فَأَغْفِرَ لَهُ ؟!..
مَنْ يَدْعُونِي ، فَأَسْتَجِيبَ لَهُ ؟! ..
مَنْ يَسْأَلُنِي ، فَأُعْطِيَهُ] . »

وفى مسند الإمام أحمد عن ابن مسعود رضى الله عنه ،
عن النبىّ صلى الله عليه وسلم ، قال :

« إذا كانَ ثُلُثُ اللَّيْلِ الآخِرِ ـ يهْبِطُ اللهُ تَبارَكَ وَتعالَى إلَى السَّماءِ
الدُّنْيا .. ثُمَّ تُفْتَحُ أَبْوابُ السَّماءِ ، حَتَّى يَطْلُعَ الْفَجْرُ » .

وعن أبى ذرٍّ رضى الله عنه ، قال :

قال لى رسولُ الله صلى الله عليه وسلم :

« يا أَبا ذَرّ : لوْ أردتَ سفرًا ، لأعْدَدْتَ لَهُ عُدَّةً ..

فَكَيْفَ بِسَفَرِ طَرِيقِ الْقِيامَةِ ؟ ..

أَلَا أُنَبِّئُكَ - يا أَبا ذَرٍّ - بِما يَنْفَعُكَ ذٰلِكَ الْيَوْمَ ؟ »

قلتُ : بَلَى ، يا رسولَ اللهِ .. قال :

« صُمْ يَوْمًا شَدِيدًا حَرُّهُ ، لِحَرِّ يَوْمِ النُّشُورِ ..

وَصَلِّ رَكْعَتَيْنِ فِى ظُلْمَةِ اللَّيْلِ ، لِوَحْشَةِ الْقُبُورِ » .

ورُوِىَ أن رسولَ اللهِ صلى الله عليه وسلّم قال لأَبى هُرَيْرة :

« يا أَبا هُرَيْرَةَ ، أَتُرِيدُ أنْ تَكُونَ رَحْمَةُ اللهِ عَلَيْكَ :

حَيًّا وَمَيِّتًا - (أَوْ مَقْبُورًا وَمَبْعُوثًا) ؟..

فَقُمْ مِنَ اللَّيْلِ فَصَلِّ فِى زَوَايا بَيْتِكَ ،

يَكُنْ نُورُ بَيْتِكَ فِى السَّماءِ : كَنُورِ

الْكَواكِبِ وَالنُّجُومِ ، عِنْدَ أَهْلِ الْأَرْضِ » .

وجاء عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« مَنْ كَثُرَتْ صَلاتُهُ بِاللَّيْلِ : حَسُنَ وَجْهُهُ بِالنَّهارِ » .

وقيل للحسن البصرى :

ما بالُ المُتَهجِّدينَ أحسنُ النَّاسِ وُجوهًا ؟!..

قال : (لأنَّهم خَلَوْا بالرَّحمٰن سُبحانَه وتعالى ،

فألبسَهُم مِن نُورِه) .

ورُوِيَ أن الله تبارك وتعالى أوْحىٰ إلى داوُدَ عليه السّلام :

[يا داوُدُ ـ كَذّابٌ : مَنِ ادَّعَى مَحَبَّتِي ؛

وَإذا جَنَّ اللَّيْلُ ، نامَ عَنِّي ..

أَلَيْسَ كلُّ حَبِيبٍ يُحِبُّ الْخَلْوَةَ مَعَ مَحْبُوبِهِ ؟ ..

فَها أَنا مُطَّلِعٌ عَلَى أَحْبابِي :

أَرَى تَضَرُّعَهُمْ ، وَأَسْمَعُ أَنِينَهُمْ ، وَأَنْظُرُ إِلَيْهِمْ ..

يا داوُدُ ـ وَعِزَّتِي وَجَلالِي :

ما تَقَرَّبَ الْمُتَقَرِّبُونَ إِلَيَّ بَعْدَ الْفَرائِضِ ،

بِأَحْسَنَ مِنْ صَلاةِ اللَّيْلِ ..

يا داوُدُ ـ صَلاةُ اللَّيْلِ نُورٌ عَلَى وَجْهِ صاحِبِها يَوْمَ الْقِيامَةِ ..

إِنَّ اللَّيْلَ : لِحافُ الْخائِفِينَ ،

وَلَذَّةُ الْمُتَعَبِّدِينَ ، وَأُنْسُ الطّائِعِينَ ..

يا داوُدُ ـ وعِزَّتِي وجَلالِي :

ما مِنْ عَبْدٍ هَجَرَ عُرْسَهُ وَفِراشَهُ ، وَسارَعَ إِلَى رِضائِي :

إِلّا عَوَّضْتُهُ فِي الْجَنَّةِ ، أَلَذَّ مِنْ دُنْياهُ سَبْعِينَ ضِعْفاً] .

وكان الفضلُ بن عِياض رحِمَه اللهُ يقول :

(إذا لم تقدِرْ على صِيامِ النَّهارِ ، وقِيامِ الليلِ ؛

فاعلمْ أنَّك محروم ، وقد كُبِّلَت خطيئتُك) .

وقال الحسنُ :

(إن الرجُلَ لَيُحْرَمُ قِيامَ اللَّيلِ ، بالذَّنْبِ يُصِيبُه) .

وَرُوِيَ أن الله سُبحانه وتعالى يقولُ لجبريل عليه السلام :

[أقِمْ فُلانًا ؛ فَإِنِّي أُحِبُّهُ ..

وَأَنِمْ فُلانًا ؛ فَإِنِّي أُبْغِضُهُ] .

وقال بعضُ السَّلَف : (بلغني أنه إذا قام الرجُلُ من الليْلِ إلى الصلاةِ ، ضحِكَ اللهُ إليه ، وقال للملائكة :

[ما حمَلَ عَبْدِي عَلَى أَنْ قامَ مِنْ بَيْنِ أَهْلِ وُدِّهِ يُصَلِّي ؟]

فيقولون : (يا رَبِّ : خَوَّفْتَه أمرًا ، فخافَهُ ..

ورجَّيْتَه أمرًا ، فرَجاهُ ..) فيقول سُبحانه وتعالى :

[أُشْهِدُكُمْ أَنِّي قَدْ أَعْطَيْتُهُ ما يَرْجُوهُ ،

وَآمَنْتُهُ مِمَّا يَخافُ] .

وكان عبد العزيز بن أبي روَّاد يأتي فِراشَه بالليْلِ ؛ فيمدُّ يَدَه عليه ويقول : (إنك لَلَيِّنٌ ..

وفِراشُ الجَنَّةِ ألينُ منك !)

فيُدْرِجُ فِراشَه ، ويقومُ يُصلِّي الليْل كُلَّه .

عِبادَ اللهِ :

عليْكُمْ بالإحسانِ إلى الفُقَراء والمُسْتضعَفين ، والشَّفقةِ على الجيران والمساكين .

ففي الصحيحين عنه صلَّى اللهُ عليْه وسلَّم أنه قال :

« ما زالَ جِبْرِيلُ يُوصِينِي بِالْجارِ ،

حَتَّىٰ ظَنَنْتُ أَنَّهُ سَيُوَرِّثُهُ . »

وفى مُسلم عن أبى ذرٍّ رضى الله عنه ،

أن رسولَ اللهِ صلّى اللهُ عليه وَسَلّم قال :

« إذا طَبَخْتَ مَرَقَةً ؛ فَأَكْثِرْ ماءها ، وَتَعاهَدْ جيرانَكَ . »

وقال رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم :

« لا يَشْبَعُ الْمُؤْمِنُ ، دُونَ جارِهِ . »

وفى صحيحِ الحاكم عن ابن عباسٍ رضى الله عنهما ، قال :

« لَيْسَ الْمُؤْمِنُ : بِالَّذِى يَشْبَعُ ، وَجارُهُ جائِعٌ . »

وفى رواية :

« ما آمَنَ : مَنْ باتَ شَبْعانَ ، وَجارُهُ طاوِيًا . »

وخرَّج الترمذىُّ عن عائشةَ رضى الله عنها :

أن النبىَّ صلى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال لها :

« يا عائِشَةُ ، أَحِبِّى الْمَساكِينَ ، وَقَرِّبِيهِمْ ؛

فَإِنَّ اللهَ يُحِبُّكِ يَوْمَ الْقِيامَةِ . »

* * *

واعلموا ـ رحِمَكم اللهُ ـ أنَّ ثوابَ الْمَشْىِ إلى المساجِدِ ،

فى الظُّلَمِ ، هو : النُّورُ التامُّ يومَ القِيامَة ـ

كما فى سُنَنِ أبى داوُد والترمذى :

عن النبىِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« بَشِّرِ الْمَشَّائِينَ إِلَى الْمَساجِدِ فِى الظُّلَمِ :

بِالنُّورِ التَّامِّ يَوْمَ الْقِيامَةِ . »

وفى سُنَن أبى داود ، عن النبىِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« مَنْ تَوَضَّأَ ، فَأَحْسَنَ الْوُضُوءَ ..

ثُمَّ خَرَجَ إِلَى الصَّلاةِ ـ لا يُخْرِجُهُ إِلَّا الصَّلاةُ ؛

لَمْ يَرْفَعْ قَدَمَهُ الْيُمْنَىٰ : إِلَّا كَتَبَ اللهُ لَهُ بِها حَسَنَةً ..

ولَمْ يَضَعْ قَدَمَهُ الْيُسْرَىٰ : إِلَّا حَطَّ اللهُ عَنْهُ بِها خَطِيئَةً ..

فَلْيُقَرِّبْ ، أَوْ لِيُبَعِّدْ ..

فَإِنْ أَتَىٰ الْمَسْجِدَ ، فَصَلَّىٰ فِى جَماعَةٍ :

غَفَرَ اللهُ لَهُ ؛ فَإِنَّ الْمَساجِدَ بُيُوتُ اللهِ . »

كما جاء فى الصحيح :

عن النبىِّ صلى الله عليه وسلم أنه قال :

« ما اجْتَمَعَ قَوْمٌ فِى بَيْتٍ مِنْ بُيُوتِ اللهِ ،

يَتْلُونَ كِتابَ اللهِ وَيَتَدارَسُونَهُ بَيْنَهُمْ :

إِلَّا نَزَلَتْ عَلَيْهِمُ السَّكِينَةُ ، وَغَشِيَتْهُمُ الرَّحْمَةُ ،

وَذَكَرَهُمُ اللهُ فِيمَنْ عِنْدَهُ . »

ويُرْوَى أن العبدَ إذا قامَ إلى صلاةِ الليلِ ، تقولُ الملائكةُ :

(قد قامَ الخاطِبُ إلى خَطِيبَتِهِ ،

تعْنِي : مِنَ الحُورِ العِينِ) .

اَلْخَلْقُ : هُجُوع .. وهُمْ بَيْنَ يدَيْهِ : رُكُوع ..

اَلْخَلْقُ نِيام .. وهُمْ بَيْنَ يدَيْه : قِيام ..

اَلْخلقُ : رُقود .. وهم بيْن يدَيْه : سُجود .

وُجوهٌ طالما غَسَلتْها الدُّموع .. وُجوهٌ طالما أذلَّها الخُشوع ..
وُجوهٌ ظهرَ عليْها الإصفِرارُ من الجوع ..
طالَما أطالوا البُكاءَ من الليْل .. دُموعُهم تجرِي جَرْيَ السَّيْل ..
وتسبِقُ فى صَحْراءِ الخُدودِ كُبْرَى الخَيْل !..
وإنما يُكالُ لِلْمَرْءِ على قَدْرِ الكَيْل .
جنَّ الليلُ ، وهم قِيام .. وجاء النهارُ ، وهم صِيام ..
وتورّعوا قبل الكلام ، وسلَّمُوا على الدُّنيا لدارِ السّلام .
عن أبى هريرة رضى الله عنه ، قال :
(قُلنا : يا رسول الله .. حَدِّثنا عن الجنَّةِ : ما بِناؤُها ؟..)
قال : « لَبِنَةٌ مِنْ ذَهَب ، وَلَبِنَةٌ مِنْ فِضَّةٍ ..
وَمِلاطُها : المِسْكُ الأَذْفَـر ..
وَحَصْباؤُها : اللُّؤْلُؤ وَالْياقُوتُ .. وَتُرابُها : الزَّعْفَرانُ ..
مَنْ يَدْخُلُها : يَنْعَم لا يَبْأَسُ ، ويُخَلَّد لا يَمُوت ..
لا تَبْلَىٰ ثِيابُه ، ولا يَفْنَىٰ شَبابُه » ..

دارٌ : لَيْسَ فِيها ما يَشِينُها .. دارٌ : لا يَفْنَىٰ نَعِيمُها ..
دارٌ : لا يزولُ عِزُّها وتَمْكِينُها .. دارٌ : أَشْرَقَتْ حُلاها ..
دارٌ : جَلَّ مَنْ بَناها .. دارٌ : طابَ لِلْأَبْرار سُكْناها ..
دارٌ : تَبْلُغُ النُّفوسُ فِيها مُناها ..
دارٌ : أَيْنَ خاطِبُوها ، فَقَـدْ وَصَفْناها ؟!..

* * *

إخـــوانى ـ هذا شهرُ رمضان : شهرُ العِتقِ من النِّيران !..
لقد كان موسِماً لِمُضاعفةِ الأعمالِ والغُفران ، ومُنبِّهاً
لذوى الغَفلاتِ والنِّسيان ؛ ومخصوصاً لفضيلةِ تلاوةِ القُرآن ـ
وقتَ إفاضاتِ الكَرمِ من المَوْلَىٰ والإحسان .
فيا إخـــوانى : إغتنِموا زَمَنَ الأرباحِ ،
فأيَّامُ المواسِمِ معْدودة .. وانتهِزُوا الفُرْصَةَ ،
فأوْقاتُ الفضائلِ مَشْهُودَة .. هذا شهرُ رمضانَ :
لا قيمةَ له فيُباعَ ، ولا يُسْتَدْرَكُ منه ما ضاع .
فالله الله : فى الاجتهادِ ، قبْلَ غلْقِ الباب ؛
والنُّهوضِ إلى الأسبابِ ، قبْلَ طىِّ الكِتاب ..
فهٰذا شهرُ عِمارةِ المِحْراب .. هذا شهرُ تِلاوَةِ الكِتاب ..
هذا وقْتُ وُقوفِ المُتَّقين على البـــاب .
هذا وقت إفاضةِ المَوْلَىٰ على العاملينَ جزيلَ الأجرِ والثَّواب .
هذا شهرٌ تُملأُ فيه المســـاجِد .. ويخشعُ فيه الرَّاكِع
والسَّـــاجِد . . وينهضُ إلى الخـــيراتِ كُلُّ قاعِد . .
فجِدُّوا فى بقيَّتِه واجتَهِدوا ، فإنّه عليكم شاهد .
غَدًا تُوَفَّى النُّفوسُ ما كسبتْ
ويَحْصُـــدُ الزَّارِعُون ما زرَعُوا
إنْ أحْسَنوا أحسَنوا لأنْفُسِهم
وإنْ أساءُوا ، فبِئْسَ ما صنَعوا !

إخـــوانى : تفكَّروا فى أحوال الرَّاحِلين ، واعتـــبروا بالسَّالِفين .. وتأمَّلوا ـ بِبَصائرِكم ـ حالَ الميِّتِ الدَّفين .

واعلمـــوا : أنكم فى أثرِ الماضين ..

هذا هو المَصيرُ ، يا مَعْشَرَ الغافِلين !..

اللُّحودُ : المنـــازلُ ، بعد التَّرَفِ واللِّين !..

واعلموا : أن الأعمالَ هى الأقرانُ ، فاعملوا ما يزينُ ؛

والقِيامَةَ تجمعُكم ، وتُنصَبُ الموازين ؛

والأهوالَ عِظامٌ ، فأين المتفكِّرُ الحزين ؟ !..

﴿ إنَّ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ ، وَمَا أَنتُمْ بِمُعْجِزِينَ ﴾ .

أمَا أخـــذَ الموتُ الآباءَ والأجداد ؟!..

أمَا ملأَ القُبورَ والألحاد ؟!.. أمَا حالَ بيْنَ المُريدِ والمُراد ؟!..

أمَا سَلَبَ الأحِبَّةَ ، وقطَع الوِداد ؟ !..

أما أرْمل النِّساءَ ، وأيْتَم الأوْلاد ؟!..

اللَّهُـــمَّ : مُنَّ علينا بالعَفْوِ والغُفران ، والعِتْقِ من النَّارِ ..

واغفِرْ لنا جميعَ الذُّنوبِ والأوْزار .

وأدخِلنا برحمتِكَ الجنَّـــةَ : دارَ القَرار ..

وأعِذْنا مِن دارِ الخِزْى والبَوار ..

واغفر ـ اللَّهُمَّ ـ لنا ولوالدينا ولجميع المسلمين :

الأحياء منهم والميِّتين . برحمتِك يا أرْحَمَ الرَّاحمين .

وصلَّى اللهُ على نبيِّنا محمدٍ وآلِه وصَحْبِه أجمعين .

﴿ الفصل السابع :
فى فضْلِ ليلةِ سبْعٍ وعِشرين من رمضانَ المُعَظَّم ﴾

الحمدُ للهِ : الذى وفّق عِبادَه المُؤمنين
لأداءِ الأعمالِ الصّالحاتِ ..
وشرَح صُدورَ أوْلِيائه للإيمان بما جاء به رسولُهُ ،
مِن الحِكمة والآيات . .
وكشفَ عن قُلوبِهم حُجُبَ الجهالَةِ والضّلالات ..
ويسَّر لهم مِن الباقِياتِ الصّالحاتِ ..
ما يتبوَّءون به منازِلَ الجَنّات ..
فضلًا منه ونِعمةً ،
﴿ ورَبُّك يخلُق ما يشاء ويختارُ ﴾ من المخلوقات ..
أحمدُه سُبحانَه على ما أوْلاه من الإحسانِ والكَرامات ..
وأشكُرُه على ما أسْداهُ من الإنعام والبَركات ..
وأشهد أن لّا إلٰه إلا اللهُ وحدَه : لا شريك له :
عالِمُ السِّرِّ والخَفِيّات ..
وأشهدُ أن سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عبدُه ورسولُه :
صاحِبُ الآياتِ والمُعْجزات ..
صلى اللهُ عليه وعلى آلِه وأصحابِه :
ذَوِى الهِمَمِ العالياتِ ، وسلَّم تسليماً كثيرًا .

اِعلموا ـ رحِمَكم الله ـ أنَّ هذه الليلةَ :

ليلةُ سبْعٍ وعِشرين . وقد قال أغْلَبُ أهل العلمِ :

هى ليْلة القَدر .. لما روى الإمامُ أحمدُ فى المسند

عن ابن عباسٍ ـ رضى الله عنهما ـ أن رجلًا قال :

يا رسولَ اللهِ .. إنى شَيْخٌ كبيرٌ يَشُقُّ علىَّ القِيامُ ..

فمُرْنى بليْلةٍ يُوَفِّقُنى اللهُ فيها لِلَيْلةِ القَدر ..

قال : « عَلَيْكَ بالسَّابِعَةِ وَالْعِشْرِينَ » ..

ورُوِىَ أيضا عن ابنِ عُمَرَ رضى الله عنهما ، قال :

قال رسولُ اللهِ صلَّى اللهُ عليه وسلّم :

« مَنْ كانَ مُتَحَرِّيها ، فَلْيَتَحَرَّها لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ » .

أو قال : « تَحَرَّوْها لَيْلَةَ سَبْعٍ وَعِشْرِينَ » .

يعنى : ليْـــلةَ القَـــدْرِ ..

ورواه حماد بن زيد عن أيُّوبَ عن نافع عن ابن عُمَر

رضى الله عنهما ، قال : (لا يزالون على عهدِ رسولِ الله

صلى الله عليه وسلم : أنّها الليلة السّابعة والعشرون)

وممن يقول بذلك أُبَىُّ بن كعب ؛ وكان يحلِف

عليْه ولا يستَثْنِى .. وهو قول أحمد وإسحاق .

وقد تقدَّم أنه صلَّى اللهُ عليْه وسلم قال :

« مَنْ قامَ ليـــلَةَ القَدْرِ إيمانًا وَاحْتِسابًا :

غُفِرَ لَهُ ما تَقَدَّمَ مِنْ ذَنْبِهِ » .

فينبغي للعاقل : أن يجتهدَ ، ويُبادِرَ عُمرَه بالاجتهاد ..
فبِقَدْرِ عملِه : يزيدُ جزاؤُه .. وعلى قدْرِ تقصيرِه : يقِلُّ عَطاؤُه ..
فمَنْ أحسن ، فعليــــه بالتّمام . .
ومَنْ أساءَ فليختِمْه بالحُسنى ، فالعمل بالخِتام ..
﴿ مَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلِنَفْسِهِ ، وَمَنْ أَسَاءَ فَعَلَيْهَا ﴾
وَما رَبُّك لِلعبــادِ بِظَلّام ..
قال رسولُ الله صلّى اللهُ عليه وسلّم :
« ما مِنْ مَيِّتٍ ماتَ ، إلّا نَدِمَ :
إنْ كانَ مُحْسِناً : نَدِمَ أَن لّا يَكُونَ ٱزْدادَ إحْساناً ..
وَإنْ كانَ مُسيئاً : نَدِمَ أَن لّا يَكُونَ قد أَحْسَنَ » ..
إذا كانَ الْمُحْسِن يَنْدَمُ عَلَى تَرْكِ الزِّيادَةِ ؛
فَكَيْفَ حالُ الْمُسِيءِ ؟!.. فقد ورد أن الموتىٰ
يتحسَّرون على زِيادَةِ أعمالِهم : بتسبيحةٍ ، أوْ ركعةٍ ..
وروى أبو الدّرداء رضى الله عنه ، قال :
قال رسولُ الله صلى الله عليه وسلّم :
« تَفَرَّغُوا مِنَ الدُّنيــا ما ٱسْتَطَعْتُمْ ..
فَإِنَّهُ مَنْ كانَت الدُّنيا أَكْبَرَ هَمِّهِ :
فَرَّقَ اللهُ شَمْلَهُ ، وَجَعَلَ فَقْرَهُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ ..
وَمَنْ كانَتِ الآخِرَةُ أكبَرَ هَمِّهِ :
جَمَعَ اللهُ لَهُ أُمُورَهُ ، وَجَعَلَ غِناهُ فِي قَلْبِهِ ..

وَما أَقْبَلَ عَبْدٌ بِقَلْبِهِ إِلَى اللهِ عَزَّ وَجَلَّ ،
إِلَّا جَعَلَ قُلُوبَ المُؤْمِنِينَ تَفِدُ إِلَيْهِ بِالْوُدِّ وَالرَّحْمَةِ .
وَكانَ اللهُ عَزَّ وَجَلَّ إِلَيْهِ بِكُلِّ خَيْرٍ أَسْرَعَ » .

واعلموا ـ رحِمَكم الله ـ أنَّ الأعمالَ بالخواتيم ..
فمَنْ أصلح ما بقِيَ : غُفِر له ما مَضىٰ ..
ومَن أساء فيما بقِيَ : أُخِذَ فيما بقِيَ وما مضىٰ ..
وفى المسند عن أبى هريرةَ رضى الله عنه ، قال :
قال رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم :
« إنَّ فِي هٰذا الشَّهْرِ لَيْلَةً : خَيْرًا مِنْ أَلْفِ شَهْرٍ ..
مَنْ حُرِمَ خَيْرَها ، فَقَدْ حُرِمَ . »
فيا إخـــوانى : المُبـــادرةَ المُبـــادرةَ ،
إلى اغْتِنام العملِ فى هٰذه الليلة الشّريفة ـ
فقد ثبت عن النبيِّ صلى الله عليهِ وسلمَ :
إحياء هذه الليلةِ طلباً لِلَيْـــلةِ القـــدْر .
فإنَّ النبيَّ صلَّى الله عليهِ وسلَّم قام فى أصحابه
ليْلةَ سبْعٍ وعِشرين إلى آخرِ الليْل ، حتَّى خشُوا
أن يفوتَهم الفَـــلاح ، يعنى : يسبِقَهم المُؤَذِّن .
ويدلُّ عليه أيضاً أن النبيَّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم :
جمَعَ أَهْلَه ، وجمَعَ النَّاسَ ليلةَ سبْعٍ وعِشرين .
وهذا كلُّه يدُلُّ على تأكُّدِها على سائر ليالِي العشْر .

أمَا خصَّنـــا اللهُ بشهرٍ أيُّما شهرِ ؟!..
شهرٌ أنزلَ الرَّحمٰنُ فيهِ أشرفَ الذِّكرِ !..
وهلْ يُشبِهُـــه شهرٌ وفيه ليْلَةُ القدْرِ ؟!..
فكَمْ مِن مُعْتَقٍ فيها مِنَ النَّارِ وَهْوَ لا يدْرِي !..
ألَا فادَّخِرُوهـــا فإنَّها مِن أنْفَسِ الذُّخَرِ ..

* * *

عِبادَ اللهِ : إخْتِموا مجالِسَكم بذِكْرِ الله والإستِغفار ، والصّلاةِ على النبيِّ المُخْتـــار . .

فقد روَى الترمذيُّ وغيره عن أبي هريرة رضى الله عنه ، عن النبيِّ صلَّى اللهُ عليه وسلَّم أنه قال :

« من جَلَسَ مَجْلِسًا وَكَثُرَ فِيهِ لَغَطُهُ ، فَقالَ قَبْلَ أَنْ يَقُومَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذٰلِكَ :

(سُبْحانَكَ اللهُـــمَّ وَبِحَمْدِكَ ..
أَشْهَدُ أَن لَّا إِلٰهَ إِلَّا أَنْتَ .
أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ) ـ

إِلَّا غفَر اللهُ لَهُ ما كانَ مِنْ مَجْلِسِهِ ذٰلِكَ » .

وروى أيضا عنه صلى الله عليه وسلم ، قال :

« ما جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ فِيهِ ، وَلَمْ يُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ فِيهِ ـ إِلَّا كانَ عَلَيْهِمْ تِرَةً : فَإِنْ شاءَ عَذَّبَهُمْ ، وَإِنْ شاءَ غفَرَ لَهُمْ » .

وتناصَحُوا فيما بيْنكم ، فإن النبيَّ صلّى اللهُ
عليْه وسلّم قال : « الدِّينُ النَّصِيحَةُ » .
وقال : « لا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ ،
حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ » .
واحْذَرُوا ـ رحِمَكم اللهُ ـ مُجالَسَةَ السُّفهاء
الأشرار .. وعليْكُم بصُحْبة الصالحين الأخْيار ..
وعليْكم بالصِّدق ، وإيَّاكم والكذب ..
فى الصحيحين عن ابن مسعود رضى الله عنه ، قال :
قال رسولُ اللهِ صلّى اللهُ عليه وسلّم :
« إنَّ الصِّدْقَ يَهْدِى إِلَى الْبِرِّ ..
وَإِنَّ الْبِرَّ يَهْدِى إِلَى الْجَنَّةِ ..
وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَصْدُقُ وَيَتَحَرَّى الصِّدْقَ ،
حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ صِدِّيقًا ..
وَإِنَّ الْكَذِبَ يَهْدِى إِلَى الْفُجُورِ ..
وَإِنَّ الْفُجُورَ يَهْدِى إِلَى النَّارِ ..
وَإِنَّ الرَّجُلَ لَيَكْذِبُ وَيَتَحَرَّى الكَذِبَ ،
حَتَّى يُكْتَبَ عِنْدَ اللهِ كَذَّابًا .. »
فيا مَنْ لا يُرَىٰ مِن توْبتِه ، إلَّا الوُعود ..
فإذا تابَ ، فهُوَ عن قريبٍ سيَعود :
أرَضِيتَ بِفَوْتِ الخيْر والسُّعود ؟!..

أمَا علِمتَ أنّ حوْض الموتِ عن قريبٍ مورود ؟!..
أما علِمتَ أن العُمرَ محسوبٌ ومعْدود ؟!..
أما علِمتَ أنَّ الجوارِحَ مِن جُملةِ الشُّهود ؟!..
واللهِ : إنّ القِيامةَ لَتُشيبُ المَوْلود ؛
والوُجوهَ غدًا : بيْنَ بيضٍ وسُود ..
أيُها العبدُ المُبْعَدُ بذنوبِه عن بابِ الكريم ،
المطرودُ عن بابِ الغفورِ الرحيم ،
المُلْقِي نفسَه - بشِقْوَتِه - في سواءِ الجحيم :
إلى متى تَعِدُ بالتّوْبةِ ، وزَلّتُك عظيمة ؟!.
وإلى كم تَسْمعُ الوعظَ ، وتُلغيه بالغِيبَةِ والنَّميمَة ؟!
يا مَن يعْصِي ويُباهِي بالكبائر :
رُوَيْدَكَ قليلًا - فِعْلُك : مكتوبٌ ، والرَّقيبُ : حاضِر ..
فوا حَسْرَتاهُ لِمَنْ هو عن البابِ مُبْعَد ،
وعن جُملة الأصحاب مطرود !.
وا عجباً لمن يَسْتَحْيِي أن يراه رفيقُه ،
ويخافُ أن يُعاتِبَه صديقُه ،
ولا يستَحْيِي من ربِّ الأرْبابِ ومالِكِ الرِّقاب !..
كمْ رآكَ على زَلّةٍ ، فأسْبلَ الحِجاب ؟!..
وأرْخىٰ عليْكَ السِّتْرَ ، والكريمُ : توّاب ؟!..
كم نزلتْ بِك نازِلةٌ ، فلمّا دعوْتَه : سمِع وأجاب ؟!..

كمْ وقعْتَ فى فاقةٍ ، فلمَّا تضرَّعتَ إليه :
أعطاكَ ما لمْ يكُن لك فى حِساب ؟!..
كَمْ أُغلِق عنْك بابُ مخْلوقٍ ،
فلما لجأْتَ إليه ، فتحَ لك الباب ؟!..
يا هٰذا : لو رأيْتَ أرْبابَ القُلوبِ والأسرار ،
وقد أخذوا أُهْبَة التعبُّدِ فى الأسْحار ،
وقامُوا فى مَقامِ الخوْفِ على قدَمِ الِانْكِسار ـ
عقَدُوا عقْدَ الصِّيام ، وما جاء النهار ،
وسجَنُوا الألسُنَ ، فليسَ فيهِم مِهْذار ،
وغَضُّوا أبْصارَهم ، ولازموا غَضَّ الأبْصار .
فانظُرْ مَدْحَهُم : إلَى أيْنَ انْتَهَىٰ وصار .
﴿ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ ﴾ .
إذا جنَّ اللَّيْلُ وانْسَدَل الظَّلام :
قامُوا بإقْدامِ العَزائمِ على الأقْدام ،
وترنَّمُوا بأشْرفِ الذِّكْرِ وأحسنِ الكلام ..
وسَرَتْ أسرارُهم مسطورةً بِدمْعٍ سجام ،
عَلَى صحائِفِ خدودِهِمْ إلى المَلِك العَلَّام !..
كمْ بيْنَكَ وبيْنَهم : يا مَنْ رَقَدَ ونامَ ؟!..

* * *

إخـــوانى : ليْلةُ القَدْرِ يُفتحُ فيها البابُ ،
ويُقرَّب الأحباب ، ويُسْمع الخِطاب ، ويُرَدُّ الجَواب ،
ويُرجىٰ للعامِلين جزيلُ الأجرِ والثّواب ..
ليلةٌ يُتلَقّى فيها الوُفود ، ويحصلُ لهُم المَقصُود ..
أتْرُكْ ما يُؤلِمُك ، أيها المَطْرود ..
أما يُؤلِمُك هٰـــذا الهَجْر ؟! ..
﴿ سَلَامٌ ، هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ .
هٰذِهِ أوقاتٌ : يرْبح فيها من فَهِمَ ودَرَى ..
ويصِلُ إلى مُرادِه كلُّ من جَدَّ وسَرَىٰ ..
ويُفَكُّ فيها الدّاعِي والأَسْرَىٰ .

أخِي : تقَدَّمَ القَوْمُ ، وأنتَ راجِعٌ إلى الوَرَا ! ..
أو ليْسَ هٰذا كلُّه قد جَرَىٰ ، وكأنّه لم يجْرِ ؟! ..
﴿ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ .

إخـــوانى : اِغْتَنِموا ليْلةَ القَدْر ،
فإنَّها ليْلةٌ تفُوق ليالِيَ الدَّهْر . ليْلةٌ هى خيْرٌ مِن ألفِ شهر .
﴿ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ .
ما دعا اللهَ فيها داعٍ : إلّا أجابه وبَلَّغه أمَلًا ومقْصِدا ؛
ولا سأله سائلٌ : إلّا أعطاه سُؤْلَه ،
وجادَ عليْه بالفَضْل والنَّـــدا ..

فَيا فوزَ من أحْياها ، ويا سعادةَ من رآها :
لقـــد نالَ فخراً وسُؤْدَدًا !
وقد جاء فى صحيح الإسناد : أنها تُلتمسُ
فى ليالِى الأفراد . فاطْلُبُوها فى هٰـــذه الأعداد ،
تظْفَرُوا بِحُسنِ القَبولِ ونيْلِ المُرادِ غَدًا .
وأَرجاها : السَّابِعَةُ من هٰذه العَشْر ..
﴿ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ .
لَيْلَةٌ يجودُ فيها الرَّبُّ على العِباد ،
ويَقْضى فيها القَضاءَ بما شاء وأراد ،
تُـكتَبُ فيها الآجالُ والأرْزاق ؛
وهى أفضلُ اللَّيالى على الإطلاق ..
فاغتنِمُوها ، فإنها عظيمة القَدْر ..
﴿ سَلَامٌ هِيَ حَتَّىٰ مَطْلَعِ الْفَجْرِ ﴾ .

(شعرًا) :

لِلَيْلَةِ الْقَدْرِ عِنْد الرَّبِّ تَفْضِيلُ
وَفِى فضائِلها قـــدْ جاءَ تَنْزِيلُ
فجُدْ فيهـــا بخيْرٍ تَنَلْ بِه
أجْرًا فلِلْخيرِ عِند الرَّبِّ تفصيلُ
واحْرِصْ عَلَى فِعْلِ أعمالٍ تُسَرُّ بها
يومَ المَعادِ ، ولا يَغْرُرْكَ تأميلُ

فكمْ رأينا صحيحَ الجسمِ ذا أملٍ
فى ليْلةِ القــدْرِ لم يبلُغْه تنْويلُ
فتُبْ إلى اللهِ واحذرْ مِنْ عُقوبَتِه
عن كلِّ ما فيهِ توْبيخٌ وتَنْكيلُ
ولا تغُرَّنَّكَ الدُّنيــا وزُخْرُفُها
فكلُّ شىءٍ سِوَى التَّقوى : أباطيلُ

إخــوانى : اِعتَبِروا بالسَّابقين ، وتفكَّروا فِى الرَّاحِلين ، لعلَّ القلبَ القاسِىَ يلين !..

عجباً : لِمنْ رَأَى الموتَ بصَحْبِه ، وأيقنَ بتَلَفِه ونَحْبِه ، وسَكَنَ الإيمانُ بالآخِرَةِ فى قلبِه — ثمَّ نامَ غافِلًا على جَنْبِه ، ونسِىَ جزاءَه على جُرمِه وذنْبِه ، وأفردَهُ الموتُ عن أَهلِه وسِرْبِه ، ونقلَهُ إلى قَبْرٍ ذلَّ فيه بعْدَ كِبْرِه وعُجْبِه !..

فيا مُفَرِّطاً فى أمرِه ، وقد دنا رحيلُه ..
يا ضالًّا عن طريقِ الهُدَى ، وقد وضحَ سبيلُهُ :
أَمَا يكفِى فى موْعِظَتِهِ : أخذُ أخيه وخليلِه ؟ !..
أما حَدَّثَهُ بالنُّقْلَةِ إلى القُبورِ : انتِقالُ جيلِه ؟!..

اللَّهُــمَّ : اجْعَل التَّقْوَى لنا أرْبحَ بِضاعة ، ولا تجعلنا مِن أهْلِ التَّفْريطِ والإضاعة ، وآمِنْ خوْفَنا يوْمَ تقُومُ السَّاعة .

اللهمَّ : إنَّنا نسألُك أن تجعلَنا فى هٰذه الليلةِ مِن المَقبولين ؛
وإلى أعْلَى درَجاتِك سابِقين ، واغفِرْ لنا ذُنوبَنا أجْمعين ،
وفَرِّجْ كَرْبَ المَكروبين ، واقْضِ الدَّيْنَ عن المَدِينين ،
واجْبُرْ كسْرَ المُنكسِرين ، وتطوَّلْ بفضلِك عَلَى المُقصِّرين ،
وأوْسِعْ رحمتَك عَلَى جميع المُسلمين .

اللهُـــمَّ : إذا اطَّلَعْتَ فى هٰذه الليْلةِ على خلْقِك ؛
فمُدْ علينا بفضلِك وعِتْقِك ، وقدِّرْ لنا من الحَلالِ
واسِعَ رِزْقِك ، واجْعَلْنا مِمَّن عرَفك وقام بحَقِّك .
اللهمَّ : مَن قضيْتَ بِوَفاتِه ، فاقْضِ ـ مع ذلِك ـ رحْمتَك . .
ومَنْ قدَّرْتَ طُولَ حياتِه ، فاجعلْ ـ مع ذلك ـ نِعمتَك .
اللهُمَّ : اجعَلْنا فى هٰذه الليْلةِ مِن العُتَقاءِ من النَّار ،
وجُدْ علينا بالعَفوِ والغُفران ؛
وتُبْ علينا توْبةً تجْلو بِها ظُلمةَ الإساءةِ والعِصيان .
اللهُمَّ : خفِّفِ العَذابَ عن المُسلمين مِن أهل القُبور . .
وأفِضْ عليْهم مِن بَحْرِ جُودِك ، يا رحيمُ يا غَفُور .
واغفِرْ للأحْيـــاءِ ، ويسِّرْ لَهم الأُمور .
واغفر اللهُـــمَّ لنا ولوالدينا ، ولجميع المسلمين :
الأحيـــاء منهم والمَيِّتين ، برحمتك يا أرحم الراحمين ،
وصلَّى اللهُ على سيِّدِنا ونبيِّنا محمدٍ وآلِه وصحْبِه أجمعين .

﴿ الفصل الثامن :

فى الاعْتِذار من الهَفَوات ، واستِدْراكِ الوقْتِ قبْلَ الفَوات ﴾

الحمدُ للهِ : الذى شرّفنا بشهرِ رمضانَ تشريفا ..
وعرَّفَنا ما فيه من الخيْراتِ تَعريفا ..
وضاعَف لنا فيهِ الحَسَناتِ والأعمالِ الصَّالحاتِ تضْعِيفا ..
أحمدُه سُبحانه : إنه كان بِنا رحيماً لطيفا ..
وأشهدُ أن لَّا إله إلا اللهُ وحده لا شريك له :
يُضاعِفُ الحسَناتِ لِعبادِه المؤمنين تضْعيفا ..
وأشهد أنّ سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا عبدُه ورسولُه :
الذى عرَّفنا بطريقِ السّلامة والخيْراتِ تعريفا ..
اللهُمَّ : صَلِّ وسَلِّمْ وبارِكْ على عبْدِك ورسولِك :
نبيِّنا محمدٍ وعلى آلِه وأصحابِه ،
وضاعِف ـ اللهُمَّ ـ لهُم الحَسناتِ تضعيفا ،
وسَلِّمْ تسليماً كثيرًا .

* * *

عِبـــادَ اللهِ :

اِعلموا أنّ هٰذه عشرٌ مُبارَكةٌ الليالى والأيّام ..
وهِىَ سببٌ لِمَحْوِ الذُّنوب والآثام ..
وفيها يتوفَّرُ جزيلُ الأجْرِ والإنعام ..
فاعتَذِروا فى هٰذِهِ الليْلةِ المُباركةِ إلى المولىٰ الكريم ..

ومُدُّوا أنامِلَ الرّجاءِ إليْه ، فإنّه رحيم ..
وتعلّقوا بِذَيْلِ جودِه وعفْوِه ، فإنه كريم ..
وأقْبِلوا بالقلوب إليْه ؛ وقِفُوا بالخُضوع والخُشوعِ لدَيْه ؛
وانْكَسِروا بيْن يديْه ، فإنّه رحيم كريم ..
وتعرّضُوا - اللّيْـــلةَ - لجزيلِ ثوابِه ..
واحْذرُوا مِن سطْوتِه وعِقابِه ..
واعْلموا أنّ بيْن يديْكم يوْمًا : لا كالأيّام ..
يتنبّه فيه كُلُّ من غَفَلَ ونام ..
واعْلموا - رحِمَكُم اللهُ -
أنّ شهْرَ رمضانَ ، تكثُرُ فيهِ أسْبابُ الغُفران ..
فمِنْ أسبابِ المغفِرة فيه :
صِيامُه وقِيامُه ، وقِيامُ ليْلةِ القَدْرِ فيه ..
ومِنْ أسباب المغفِرَةِ فيه :
تَفْطِيرُ الصُّوّامِ ، والتّخفيفُ عن المَمْلوكِ فيه ..
ومِن أسبابِ المغفِرَة فيه : كثْرَةُ الذِّكْر -
ففى الحديث المرفوع : « ذاكِرُ اللهِ فِى رَمَضانَ : مَغْفُورٌ لَهُ » .
وروى أحمدُ والترمذىُّ عن عبد الله بن بُسرٍ ، قال :
(جاء أعرابى إلى النبىِّ صلّى الله عليه وسلم ، فقال :
أىُّ الناسِ خيْرٌ ؟) فقال رسولُ اللهِ صلى اللهُ عليْه وسلّم :
« طُوبَىٰ : لِمَنْ طالَ عُمْرُهُ ، وَحَسُنَ عَمَلُهُ . »

قال : يا رسولَ اللهِ ، أَىُّ الأعمالِ أفضَلُ ؟ قال :

« أَنْ تُفارِقَ الدُّنْيا ، وَلِسانُكَ رَطْبٌ مِنْ ذِكْرِ اللهِ . »

وقال النَّبِىُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ :

« ما مِنْ قَوْمٍ يَقُومُونَ مِنْ مَجْلِسٍ ،

لَمْ يَذْكُرُوا اللهَ فِيهِ ، إلَّا قامُوا عَنْ مِثْلِ

جِيفَةِ حِمارٍ ؛ وَكانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً . »

ومِن أسباب المغفِرَةِ : الاستِغفار .

والاسْتِغفار : طَلَبُ المَغْفِرَة .

ودُعـاء الصائم :

مُستجابٌ فى صِيامِه ، وعند فطره ..

وتقدَّم عن ابن عمر أنه إذا أفطر قال :

(اللهُمَّ : يا واسِعَ المَغْفِرَة ، اغْفِرْ لِى) .

وفى حديث أبى هُرَيْرَةَ المرفوع فى فضْلِ شهْر رمضانَ :

« وَيَغْفِرُ فِيـهِ ، إلَّا لِمَنْ أَبَىٰ » .

قالوا : يا أبا هُرَيْرَة ، ومَنْ يأْبَى ؟!

قال : (يأْبَى أَنْ يستغفِرَ اللهَ) .

وفى الحديث الذى رواه الطبرانى فى الأوسط :

« مَنْ أَحَبَّ أَنْ تَسُرَّهُ صَحِيفَتُهُ :

فَلْيُكْثِرْ فِيها مِنَ الاسْتِغفارِ . »

ومِنها : استِغفارُ الملائِكة للصَّائِمين حتى يُفطِروا ..

فلما كثُرَت أسبابُ المغفِرَةِ فى رمضانَ :
كان الذى تفوتُه المغفِرةُ فيه محروماً غايَةَ الحِرْمان .

وَفى حديثٍ آخرَ :

« إذا لَمْ يُغْفَرْ فى رمَضان ، فمَتىٰ ؟! »

* * *

إخوانى : متىٰ يُغفَرُ لِمَنْ لم يُغفر لهُ فى رمضانَ ؟!..
متىٰ يصِحُّ مَن كان مِن داءِ الجهالَةِ والغَفْلةِ مَرْضان ؟!..

﴿ قُلْ يَا عِبَادِىَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ :
لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَـةِ اللهِ
إِنَّ اللهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا ،
إِنَّـهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيـمُ ﴾ .

فيا أيُّها العاصِى ـ وكُلُّنا كذٰلك ـ
لا تقنطنَّ مِن رحمةِ اللهِ ، لِسُوءِ أفعالِك ..
فكم مُعْتَقٍ من النارِ فى هذه الأيامِ ، مِن أمْثالِكَ ! ..
فأحْسِنِ الظَّنَّ بمولاكَ وتُبْ إليه ،
فإنه لا يهلِكُ على اللهِ إلَّا هالِك .

(شعراً) :

إذا أوْجَعَتْك الذُّنوبُ فداوِها
بِرَفْعِ يَدٍ فى اللَّيْلِ ، والليلُ مُظلِمُ

ولا تقنَطنْ مِن رحمَةِ اللهِ ، إنَّما
قُنُوطُكَ مِنها مِن ذُنُوبِك : أعظمُ
فرحمتُهُ لِلمُحْسنين : كرامَةٌ
ورحمتُـــه للمُذنبين تكرُّمُ

* * *

واعلموا ـ رحِمَكُم الله ـ
أن المعاصِيَ : سَبَبُ الطَّرْدِ والهَجْرِ ؛
وأنها حِجابٌ غليظٌ عن الأجْرِ ،
وتحُولُ بيْنَ العبْدِ وبيْنَ المغفِرة .
فعلَى وجْهِ الطائِـعِ نورُ طاعتِه ،
وعَلَى وجْهِ العاصِي ظَلامُ مُخالفتِه ـ
وعند الموتِ يُتَلَقَّى هذا بالبِشارة ،
ويقعُ ذاكَ فى الخَسارة .
وإياكم ـ عِبـــادَ اللهِ ـ
ونقْصَ المـكْيالِ والميزان ؛ فما بَخَسَهُما قومٌ
إلا أُبْتُلُوا بِالأسْقامِ ونزْعِ البركات .
واحذَرُوا الغِشَّ فى جميع المُعاملات . .
وحافِظُوا على الجُمَـــعِ والجماعاتِ ..
وأدُّوا ما وجَبَ عَلَيْكم من الزَّكاة ..
وإيَّاكم وعُقوقَ الوالِدَيْن ، فإنه من المُحَرَّمات ..

ابن آدَمَ : يا مَنْ عليْهِ مَلَكُ الموْتِ يدُور ؛
وهو مُسْتَأْنِسٌ فى المنازِل والدُّور :
لا بُدَّ أن تخرُجَ من هذه القُصور ..
لا بُدَّ من الرَّحيـــلِ إلى القُبور ..
يا مُظلِمَ القلبِ ، وما لِلقلبِ نُور :
الباطِنُ : خرابٌ ، والظاهِرُ : معْمور .
لو تذكَّرْتَ القـــبرَ المَحْفور :
لكانتْ عينُ العَيْنِ مِنك تَفُور .
لو تفكَّرتَ بالكِتاب المَسْطور :
دفنْتَ الاستغفارَ بَيْنَ السُّطور .
ابن آدَمَ : ستُحاسَبُ على الأيَّامِ والشُّهور ،
وترى ما فعلتَهُ مِن فُجُور ، فى النَّهار والدَّيْجور .
تُصَلِّى ، ولٰكِن : بلا حُضُور !..
وتصومُ ، والصَّوْمُ بالْغِيبَـــةِ : مغْمُور !..
لو رَأَيْتَ الْوِلْدانَ وَالْحُور ، لسألْتَهم وقتَ السُّحور :
كم نتلطّفُ بِكَ يا نَفُور ! .. كم نُنعِمُ عليْك يا كَفور ! ..
كم بارزتَ بالقبيح ، والكريم : غفور -
﴿ يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ ﴾ .
فيا أربابَ الذُّنوبِ العظيمة : الغنيـــمةَ الغنيـــمة -
فى هٰذه الأيَّام والليالِى العظيمة ؛ فما مِنها عِوَضٌ ، ولا لَها قِيمَة .

فكمْ يُعْتَقُ فيها مِن النَّارِ من ذى جريرَةٍ وجريمة !.
فمَنْ أُعْتِقَ مِن النَّار ، فقد فازَ بالجائزة العظيمة .
فيا مَنْ أعتقه مَوْلاه من النار :
إيَّاك أن تعودَ - بعد أن صِرْتَ حُرًّا - إلى رِقِّ الأوْزار .
يُبعِدُك مولاك عن النارِ ، وأنتَ تتقرَّبُ منها !..
ويُنقِذك مولاك ، وأنت تُوقِعُ نفسَك فيها !..
إخــوانى : أينَ من أدرك مقاماتِ المقبولين ؟ ! ..
أين من حَثَّ مطاياهُ خَلْفَ المُشَمِّرين ؟ !..
أين المُتأهِّبُ لأفْزاعِ يوْمِ الدِّين ؟ ! ..
أين المُتَّصِفُ بصِفاتِ أهلِ اليقين ؟ ! .
فللهِ دَرُّ نفوسٍ تطهَّرت مِن أدناسِ هواها !..
وتدرَّعتْ لِباسَ الصَّبرِ عن عاجِلِ دُنياها !..
وشغلها ما رأى القلبُ عما رَأَتْ عيْناها !..
فسَهِرَت تطلُبُ رِضا المولىٰ ، فرَضِيَ عنْها وأرضاها .
إخوانى - كيْف يطمئِنُّ إلى الدُّنيا : مَنْ رأى سُرعةَ الانتقال ؟!
وكيفَ يطمَعُ فى المَقامِ فيها : مَنْ يرى تقلُّبَ الأحوال ؟!..
تتَّبِعون الشَّهواتِ وهِيَ خيال ، وتتحمَّلون الأوْزارَ الثِّقال !..
وتتمَلْمَلُون بالتسويفِ والآمال ، وتُبارِزُون بالمَعاصى ذا الجلال :
أمَا أنذركم من رَحَلَ مِن الأحْبابِ بالارْتِحال ؟!..

فجِدُّوا - رحِمَكم اللهُ - ما دُمتُم فى زمنِ الإمْهال ..
واستدْرِكوا شهرَ رمضانَ ، فقد عَزَمَ على الارتحال .
إخوانى : كيْف لا يُبكَىٰ على فِراقِ شهرِ رمضانَ ؟!..
كيْف لا يُحزَنُ على شهرِ العفوِ والغُفران ؟!..
وقد سَمعتُم ما خصَّكم اللهُ فيه من الأجْر ..
فاجتهِدوا فى بقيَّةِ هذه الليالى العَشْر ؛
عسىٰ أن تُوافِقوا ليْلةَ القدْر ؛
فتفُوزوا مِن الإلٰهِ بالغُفرانِ ووافِرِ الأجر .

(شعراً) :

قُمْ فى ظَلامِ اللّيل وارْفَعْ شِكايَةً
إلى المَلِكِ الأعْلى ، وقَلْبُك خاشِعُ
وقُلْ : يا رَءوفاً بالعِبـادِ ومُحسِناً
بِبابِك عبْدٌ مِن عِبادِكَ خاضِعُ
فَكُنْ راحِماً فقْرى وذُلِّى وحالتى
فعفْوُك مأمولٌ وفضْلكَ واسِعُ
ووفِّرْ نصِيبى مِن عَطاياكَ سيِّدى
فما زِلتَ تُعطِى مَنْ لِبابِك قارِعُ
أَغِثْ يا عظيمَ الطَّوْلِ عبْداً مُحاذِرًا
يرْجوك فى الغُفرانِ ، بِالعَفوِ طامِعُ

* * *

ابن آدَمَ : يا من صحيفتُه بالذُّنوب قد جُفَّت ؟!..

وموازينُه بكثرة الذُّنوب قد خَفَّت ..

أمَا رأيْتَ أكُفًّا عن مطامِعها كُفَّت ؟!..

أمَا عاينْتَ أبْدانَ المُتْرَفين وقد أُدْرِجت فى الأكفانِ ولُفَّت ؟!..

أخى : متَى تَهُبُّ بك رِيحُ الخَوْفِ والرَّجا ؟!..

متى تكونُ فى الليل قائمًا إذا سجى ؟!..

متى تُشارِك القائمين فى ظُلمةِ الدُّجى ؟!..

عجباً لِمَن رأى الموتَ بِصَحْبِه ، ونسِيَ جزاءه على جُرْمِه وذنبِه ، ونامَ غافِلًا على جنْبِـــه !..

(شعراً) :

أمَا واللهِ ، لوْ عَـــرف الأنام

لِما خُلِقُوا : لَما غَفَـــلُوا وناموا

لقد خُلِقُوا لِيَـــوْمٍ ، لوْ رأتْه

عُيونُ قُلوبِهم : ساحُوا وهامُوا

مَمـــاتٌ ، ثم نَشْرٌ ، ثم حشرٌ

وتوْبيـــخٌ ، وأهـــوالٌ عِظـــامُ

لِيَوْمِ الحَشْرِ قـــد عَمِلَتْ أُناسٌ

فصَلَّوْا مِنْ مَخافَتِه وصامُـــوا

ونحنُ إذا أُمِرنـــا أو نُهينـــا

كأهْلِ الكَهْفِ : أيْقـــاظٌ نِيامُ

وروى أبو نُعيم والحاكمُ بإسنادٍ له :
أن عمر بن عبد العزيز رضى الله عنه ، شيَّعَ جنازةً من أهله ..
ثم أقبل على النَّاسِ فوَعظهُم ، وذكَّرهم الدُّنيا ، وذمَّها ،
وذكر أهلها وتنعُّمَهُم فيها ، وما صاروا إليه بعدها
فى ظُلمةِ القبور . وكان من كلامه أنه قال :
(إذا مررتَ بهم ؛ فنادِهم إن كنتَ مُنادِيًا ، ومُرَّ بمَسكرِهم ،
وانظُرْ إلى تقارُبِ منازِلهم ، وسَلْ غنيَّهُم : ما بَقِيَ من غِناه ؟!..
وسَلْ فقيرَهم : ما بقِيَ من فقرِه ؟!..
وسلْ عن اللِّسانِ الذى به يتكلَّمون ؟!..
وعن الأعْيُنِ التى كانوا بها إلى اللَّذَّاتِ ينظرون ؟!..
واسألهم عن الجُلودِ الرقيقةِ ، والوُجوه الحسَنةِ ،
والأجْساد الناعِمة ـ ما صنَعَ بها الدِّيدان : مَحَتْ الألوان ،
وأكلت اللُّحْمان ، ومَحَت المحاسِنَ ؛ وفرَّقت الأعضاء ؛
وخَرَجت الأشلاء !! فأين حُجَّابُهم وقِيانُهم ؟!..
وأين خدمُهم وعبيدُهم ؟! وأين جَمْعُهم وكُنوزُهم ؟!
واللهِ ، ما زوَّدُوهم فُرُشًا ؛ ولا غرسُوا لهم شجرا ؛
ولا أنزلوهم من اللَّحدِ قرارا !.. أليْسُوا فى الخَلَوات ؟!..
أليْسَ الليـــلُ والنهارُ عِنـــدهم سواء ؟!..
أليسوا فى مُدْلَهِمَّةٍ ظَلْماء ، قد حِيلَ بينهم وبين ما يشْتهون ؟! .
كم ناعمٍ وناعِمةٍ أصبحوا ووُجوهُهُم بالِيَة !..

وأجسادُهم عن أعناقِهم مائلَة !.. وأوْصالُهم مُتفرِّقة ،
قد سالت الحَدَقُ على الوَجَنات ، وامتلأت الأفْواهُ صديدا ،
ودبَّت دوابُّ الأرضِ فى أجْسادِهم ، وتفرَّقت أعضاؤُهم ،
ثم لمْ يلبَثُوا واللهِ إلَّا يسيراً ، حتى عادَتْ العِظامُ رَميماً !..
قد فارقوا الحدائِق ، وصاروا بعد السَّعَةِ فى المضايق !..
وقد تزوَّجت نِساؤُهم بعدَهم ، وتردَّدت بالطُّرُق أبناؤُهم ،
وتوزَّعَ ذَوُو القَرابات دِيارَهم وميراثَهم ..
ومِنْهم المُوَسَّعُ عليه فى قبْرِه . ومِنْهم المُضَيَّق عليْه) ..
إلى آخِر كلامِه ، رضى الله عنه .

عِبــادَ اللهِ : أمَا تَعتَبِرون بهٰذه الأحوال ؟!
أمَا تُشْفِقون مِن نارِ جهنَّم والأنْكال ؟!..
أمَا تحذَرُون سلاسِلَها والأغلال ؟!..
إخــوانى : مضَت الأعمــارُ فى الذُّنوب ؛
وامتلأت القُلوبُ بالعُيوب : أمَا تخْشَوْنَ عَلَّامَ الغُيُوب ؟!..
أيْن من يتذكَّرُ حُلولَ الموْتِ بِرَبْعِه ؟!..
أيْن مَن يزرع التُّقىٰ ؟ هذا أوانُ زرْعِه .
عِبــادَ اللهِ : كيْف بِكُم إذا فازَ الأبرارُ ، وخِبْتُم ؟!..
وحضر المُتَّقُون ، وغِبْتُم ؟ !..
ضيَّعتُم الأوقاتَ الشريفــةَ ، ولعِبْتُم ؟ !..
لوْ سمِعتُم وصْفَكم من غيْرِكم : تعجَّبْتُم !! ..

أَمَا الموتُ - عَمَّا قليلٍ - يأْتيكُم ؟!..
أَمَا اللُّحودُ - بعْد أَيامٍ - مَثاوِيكُم ؟!.
أَمَا داعِي الرَّحيل قد أَسمَعَ دانِيَكُم وقاصِيَكُم ؟!..
كَمْ بارزْتُم بالذُّنوب ، وما اسْتَحْيَيْتُم !..
كَمْ خُوِّفْتُم مِن العِقابِ ، فما ارْعَوَيْتُم !..
أعرفْتُم قدْرَ ما عَلَى نُفوسِكم جنيْتُم ؟!..
أنسِيتُمْ أَنَّ اللهَ يعْلمُ ما أَسْرَرْتُم وما أَخفيْتُم ؟! ..
أيُّها المُسلمون : إنَّ شهْرَ رمضانَ قارَبَ الزَّوال ،
وأَوْشك على الِانْتهاءِ والِارْتحال ..
وسيَكونُ شاهِدًا لكُم أو عليكُم بما أَوْدعتُموه من الأعمال ..
فاغْتَنِموا - إخوانى - ما بقِيَ مِنه بصالِح الأعمال ،
والتَّوْبةِ إلى اللهِ والِاستغفارِ من التَّفريط والإهمال ..

عِبادَ اللهِ : لقد شرَع لنا ربُّنا الكريم
- فى خِتام شهْرِ رمضانَ - زكاةَ الفِطْرِ .. وهى واجِبَةٌ
على كلِّ مُسلم حُرٍّ وعبْدٍ : ذكَرٍ وأُنْثَى ، صغيرٍ وكبير ..
وهِيَ : صاعٌ من بُرٍّ ، أَوْ صاعٌ من تَمْر ، أو صاعٌ مِن شعير ،
أو صاعٌ من زبيب ، أو صاعٌ من أَقِط .
فهٰذِه الأَصنافُ وغيْرُها كالأُرْزِ ونحوِه من قُوتِ الآدميين -
كلُّ ما كان أَطيبَ وأنفعَ لِلفُقَراء : فهو أفضلُ وأعظمُ أجرًا ..
فأخرِجُوها مِن أَطْيَبِ ما تجِدون .

قال الله تبارك وتعالى :

﴿ لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ ﴾ .

وقال تبارك وتعالى : ﴿ وَلَا تَيَمَّمُوا الْخَبِيثَ مِنْهُ تُنْفِقُونَ ﴾ .

ويجوز إخراجُ زكاةِ الفِطرِ قبْلَ العِيدِ بِيَوْم أو يَوْمين .

والأفضلُ إخراجُها يومَ العيد قبل الصَّلاة .

ويجوزُ أن يُعطىٰ الواحِدُ ما لِلجماعة ،

وتُعطىٰ الجماعةُ ما لِلواحد .

فطِيبُوا بها نفْساً ، واسْألوا ربَّكم الكريمَ القَبول .

اللَّهُمَّ رَبَّنا : تقبَّل مِنّا ، إنّك أنتَ الغَفُور الكريم .

وتُبْ علينا ، إنَّك أنتَ التَّوَّاب الرحيم ..

واغفِر لنا ، إنَّك أنتَ الغَفُور الحليم .

اللَّهُمَّ : أجِرْنا مِن عذابِك ؛ وآمِنْ خوْفَنا من عِقابِك ؛

وهَبْ لنا ما وهبْتَه لأحبابِك .

اللَّهُمَّ : اجعَلْنا فى شَهْرِنا هذا مِن المَقبولين المَرْحومين ،

ولا تجعَلْنا من المَطْرُودين المَحْرومين .

اللَّهُمَّ : تُبْ علينا أجمعين ،

وعُمَّنا بِعَفْوِك وكرمِك يا أكرمَ الأكرمين ،

واغفر - اللَّهُمَّ - لنا ، ولِوالدينا ، ولجميع المسلمين :

الأحياءِ منهم والميِّتين ، برحمتك يا أرحم الرَّاحمين ..

وصلَّى اللهُ على سيِّدِنا ونبيِّنا محمدٍ وآلِه وصَحْبِه أجمعين .

﴿ الفصل التاسع :
فى وَداعِ شهرِ رمضانَ المُعَظَّم ﴾

الحمدُ لله ، نحمدُه ونستعينُه ونستغفِرُه ونتوبُ إليه .
ونَعوذُ باللهِ من شُرورِ أنفُسِنا ومِن سيِّئاتِ أعمالِنا ..
مَنْ يَهْدِهِ اللهُ ، فلا مُضِلَّ له . ومن يُضْلِلْ ، فلا هادِيَ له .
وأشهدُ أن لَّا إلٰهَ إلا اللهُ وحده لا شريك له ..
وأشهَدُ أن محمدًا عبدُه ورسوله ..
صلَّى اللهُ عليه وعلى آلِه وأصحابِه ،
ومَن تَبِعَهم بإحسانٍ إلى يومِ الدِّين ؛
وسلَّم تسليما كثيراً .

* * *

عِبـــادَ اللهِ : وَدِّعوا شهرَ رمضانَ المُبارك ،
فقد عزَم على الرَّحيلِ ، ولم يَبْقَ منه إلَّا القليل ..
ومَن كان أحسن ، فعليْهِ التَّمام ..
ومَن كان فرّط ، فليختِمْه بالحُسْنىٰ ، فالعمل بالخِتام .

إخـــوانى : اِختِموا شهرَ رمضانَ
بالتَّوبةِ إلى اللهِ مِن جميعِ معاصيه ،
والإنابةِ إلى اللهِ بفِعلِ ما يُرْضِيه ..
واجتَنِبُوا جميـــعَ مساخِطِه ومَناهِيه .

إخـــوانى : وَدِّعوا شهرَكم ، فقد قرُبَ رحيلُه .
وحانَ تحويلُه ، ولمْ يبْقَ منه إلا قليلُه ..
وهو ذاهبٌ عنكم بأفعالِكُمْ ،
وشاهِدٌ عليكم ـ غدًا ـ بأعمالِكم .
فيا ليْتَ شِعْرى : ماذا قد أوْدَعْتُموه ؟!..
وبأىِّ الأعمـــالِ ودّعتُموه ؟!..
أتُراهُ يرحَلُ حامِدًا صنيعَكم ، أو ذامًّا تضْييعَكم ؟!..
ما كانَ أعظمَ ســـاعاتِه !..
وما كانَ أحلىٰ جميعَ أوقاتِه !..
كانتْ لياليهِ : ليالِىَ عِتْقٍ ومُباهاة !..
وأسحارُه : أوْقاتَ خِدمةٍ ومُناجاة !..
ونهارُه : زمانَ قُرْبَةٍ ومُصافاة !..
وساعاتُه : أحيانَ اجتهادٍ ومُناجاة ! ..
فشَمِّروا ـ رحِمَكم اللهُ ـ للطاعةِ ،
قبْلَ أن تصيروا أُسارَىٰ المَنُون ؛
قبْلَ أن تسْلُكوا سُبُلَ من سلَف مِن القُرون ! .
قبْلَ أن تجرِىَ لِفِراقِكم مِن العُيونِ عُيون !..
قبْلَ أن تستبدِلوا عن فسيحِ ظُهورِ الأرضِ مَضايِقَ البُطُونِ ..
﴿ قُلْ هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ * أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ﴾ .

فيا سُكّانَ هٰذه الدّار ـ

واللهِ : إنّـــها بِكُم لَمُسافِرَة .

ويا مُقيمونَ ، واللّيالِي والأيامُ بِكُم سائِرة ـ

إنّما الدُّنْيا : مَراحِلُ إلى منازِلِ الآخرة ..

فالعزيمةَ العزيمةَ فى شهرِ الْعَفْوِ والغُفران .

والغنيمةَ الغنيمةَ فى شهرِ الرَّحمةِ والرِّضوان :

شهرِ البرَكةِ والإحسان . .

فهو شهرُ كفّاراتِ الذُّنوب . .

شهرُ صفاءِ الفِكرِ ورِقّةِ القُلوب ..

شهرُ إقالَةِ العَثراتِ وسَتْرِ العُيوب .

فاغتنِمُوا ـ رحِمَكم الله ـ ما دُمتم فى زمنِ الإمكان ..

وبادِرُوا ـ رحمكم الله ـ قبْلَ أن ينقضىَ عنكم شهرُ رمضان .

وإيّاكم أن تُبطِلوا صَوْمَكم بالفِسْقِ والعِصيان ،

وبالغِيبَةِ والنميمةِ والسَّبِّ والكَذِب والبُهْتان ..

واستكثِروا فيه مِن طاعةِ المَلِك الغفّار ،

والمُراقَبةِ فى الإعلانِ والإسرار ،

ومُلازمةِ التَّوْبةِ من جميع الخَطايا والأوْزار ،

وتِلاوَةِ كِتابه العزيز ، مع التفكُّرِ والتدَبُّرِ والإعتبار ،

والصَّمْتِ والخُشُوعِ والسَّكِينَةِ وَالْوَقارِ .

* * *

إخـــوانى ـ أمَا آنَ لأهل الغفلةِ :
أن يَتَّعِظُوا بِزَواجِرِ الْـكَلام ؟ !..
أمَا آن لأهل الكَسَلِ :
أن يغتنموا هـــذه الليالىَ والأيام ـ
ليالِىَ وأيَّامًا كُلُّها أسرارٌ وأنوار :
ليالِىَ وأيامًا تُمحَى فيها الخطايا والأوزار ؛
ليا لِىَ وأيَّامًا يكثُرُ فيها عِتْقُ الرِّقاب مِن النار !..
ما أطْيَبَ المُناجاةَ فيها وَقتَ الأسْحار !..
وما أسْرَعَ إجابةَ الدَّعواتِ عِند الإفطار !..
وما أحسن أوقاتَها للقِيامِ والصِّيامِ والتَّضَرُّعِ والاسْتِغفار ..
فبادِرُوا ـ رحِمَكم الله ـ ما بقِىَ مِن شهرِكم ، فإنه مُغْتَنَم ..
واستدرِكوا ما فاتَ مِنه بالحَسْرة والنَّدم .

* * *

عِبـــادَ اللهِ : كيْف لا يُبكَىٰ على فِراقِ شهْرِ رمَضان ؟!
كيْف لا يُتأسَّفُ على شهرِ العفوِ والغُفران ؟!
كيْف لا يُحْزَنُ على شهرِ العِتْقِ من النِّيران ؟!..
فارْغَبُوا فيما عِند اللهِ من الأجْرِ والثَّواب ..
وودِّعوا شهْرَ رمضانَ ، فقد عَزَمَ على الذَّهاب ..
وبادِرُوا بالأعمالِ الصالحةِ ، قبْلَ غَلْقِ الباب ..

فهٰذا شهرُ رمضانَ : قد أَزِفَ رحيـــلُه ؛
وحانَ تحويلُه ؛ ولم يَبْقَ منه إلا قليلُه ..
فأكثِرُوا فيه من العملِ الصّالِحِ وَشَيِّعوه ؛
وبالبُكاء والأسَفِ ودِّعُوه ..

* * *

إخـــوانى : تَدارَكُوا مَواسِمَ الغُفْران .
واجتهِدوا فى بقيَّةِ شهرِ رمضان ..
واستغفِرُوا اللهَ من الذُّنوب والعِصيان ،
واسألوه قَبُولَ ما أسلفتُم مِن الأعمالِ فى شهرِ رمَضان ..
وبادِرُوا - رحِمَكُمُ اللهُ - ساعاتِ شهرِكم الباقِيَةَ ، فإنّها مُغْتَنَم ..
واستدرِكُوا منه ما مضىٰ بالحسْرَةِ والنَّدم ..
واختِمُوهُ بِالتَّوْبَةِ مِن الزَّلل ..
وأنِيبُوا إلى اللهِ بصالِحِ العمـــل .
كَمْ أُناسٍ صَلَّوْا فى هذا الشهرِ صلاةَ التَّراويح ؛
وأوْقَدُوا فى المساجِدِ - طَلَبًا لِلْأَجْرِ - المَصابيح ؛
وملأُوا - بالعِبـــادةِ - المَكانَ الفسيح -
ونسخُوا بإحسانِهم كُلَّ فِعل قَبيح :
قنصَتْهُم - واللهِ ، فى الآخِرةِ - المصائِدُ ، فقُهِروا !..
وأسرتْهم الحصائِدُ ، فأُسِرُوا !..
فلم ينفعْهُم المالُ ولا الآمالُ ، لمّا قُبِروا !..

وهٰذا حالُك ـ عن قريبٍ ـ فتيقَّظْ ..
وهذا مآلُك ـ عن قليل ـ فاجتهِد وتحفَّظ ..
ذهبَ عنك شهرُ رمضانَ ، وأنت قاعِد !.
وسارت فيه قوافِلُ الصَّالِحين ، وأنت مُتَباعِد !..
شهرُ رمضانَ أوَّلُه : رحمة .. وأوْسطُه : مغْفِرة ..
وآخِرُه : عِتقٌ من النار ـ
كما فى حديث سلمان المرفوع . .
فينبغى لِمَنْ يرجُو العِتْقَ مِن النَّار :
أن يأتىَ بأسبابٍ تُوجِبُ العِتْقَ مِن النَّار .
وهى ـ ولِلهِ الحمد ـ مُيَسَّرَةٌ فى هذه الأيام .
كان أبو قُلابةَ يُعْتِقُ فى آخِرِ الشهرِ جاريةً حسْناء ،
يَرجو بِعِتْقِها : العِتْقَ مِنَ النَّار .
وفى الحديث :
« تَعَرَّضُوا لِنَفَحاتِ رَبِّكُمْ ،
فإنَّ لِلهِ نَفَحاتٍ مِنْ رَحْمَتِهِ :
يُصِيبُ بِها مَنْ يَشاءُ مِنْ عِبَادِه .
فَمَنْ أَصابَتْهُ : سُعِدَ سَعادَةً لا يَشْقَى بَعْدَها أَبَدًا . »
فمِنْ أعظمِ نفحاته : مُصادفةُ ساعةِ إجابةٍ ـ
يسألُ اللهَ فيها العبدُ الجنَّةَ ، والنَّجاةَ مِن النَّار ؛
فيُجابُ سؤالُه ؛ فيفوز بسعادةِ الأبد ..

قال اللهُ تبارك وتعالى :

﴿ فَمَنْ زُحْزِحَ عَنِ النَّارِ وَأُدْخِلَ الْجَنَّةَ فَقَدْ فَازَ ﴾ .

قال كعبُ الأحبارِ :

(مَنْ صامَ رمضانَ وهو يُحَدِّثُ نفسَه أنَّه :

إذا أفطر رمضانَ : أن لا يعصِيَ اللهَ ؛

دخَلَ الجنَّـــةَ بِغَيْرِ مسْأَلةٍ ولا حِسابٍ .

ومَن صامَ رمضانَ ، وهو يُحَدِّثُ نفسَه :

أنه إذا أفطر عصىٰ ربَّه : فصِـــيامُه عليْه مرْدود) .

فيا أيها النَّاسُ : الغنيمةَ الغنيمةَ فيما بَقِيَ مِن ساعاتِ شهرِكم ..

فاستدرِكوا فيهِنَّ هَفواتِـكم ، قبْلَ حُلول وفاتِـكم ..

واعلموا أنـكم لم تُخْلَقُوا لِلدُّنيا ، ولا لِجَمْعِها ،

ولا للتَّفاخُرِ فيها .. وإنما خُلِقْتُم للعِبـــادة ..

قال الله تبارك وتعالى :

﴿ وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْـــبُدُونِ ﴾ .

فعلَيْنا ـ أيُّها الإخوانُ ـ بالاعْتِناءِ بِمَعْرِفَةِ ما خُلِقْنا له ،

وبالعملِ فيه .. لِلّهِ دَرُّ أقوامٍ بادَرُوا الأوقات ،

واستدْرَكوا الهفـــوات ..

فالعَيْنُ : مشغولةٌ بالدُّموع عن المُحَرَّمات ..

واللِّسانُ : محبوسٌ في سِجْنِ الصَّمْتِ عن المُهلِكات ..

والكفُّ : قد كُفَّتْ بِالخَوْفِ عن الشَّهوات .

والقَــدَمُ : قد قُيِّدَتْ بقَيْدِ المُحاسبات ..

واللّيلُ لذّتُهم : يَجْأرون فيه بالأصوات ..

وإذا جاء النهارُ : قطعوه بمُقاطعةِ اللّذّات ..

فـكم من شهوةٍ : ما بلغوها حتى الممات !..

فتيقّظْ - لِلحاقِهم - من هذه الرّقدات .

ولا تطمئنّ بالخلاص ، مع عَدم الإخلاصِ فى الطّاعات .

* * *

ابنَ آدَمَ :

يامنْ بَيْنَ يديْهِ يومٌ لا شكَّ فيه ولا مِرَا -

يقع فيه الفِراقُ وتنفصِمُ العُرىٰ .

يومٌ تشيبُ فيــه الأطفال !.. يومٌ تسيرُ فيه الجبــال !..

يومٌ يظهرُ فيه الوَبال ! . يومٌ : العَثَراتُ فيه لا تُقال !..

يُنصب فيه الصّراط : فناجٍ ، وواقِـع ..

ويُوضَع الميزانُ ، فتـكثُر فيه الوضائِـع .

وتُنشَر الكتبُ ، وتسيل المدامِـع .

وتظهرُ القبائحُ بيْن تِلك المجامِـع ..

ويَخْسَرُ العــاصِى ويرْبَح الطائـع ..

يا هذا : تذكّرْ إذا قامَ مِنَ القُبورِ جميعُ الوَرىٰ ،

يَنْفُضُون عن رُءوسِهم الثَّرىٰ ، إلى حُـكْمِ من أنشأ وبَرَا .

﴿ وَبُرِّزَتِ الْجَحِيــمُ لِمَنْ يَرَىٰ ﴾ .

هناك أهوالٌ لا تُوصَفُ ، وشدائِدُ لا تُعرَف !..
يتحيَّرُ فيها مَنْ أسْرَفَ ، وتحمَّلَ مِن الأوْزارِ وتكلَّف !..
فحينئذٍ : يَنْتَبِهُ النائِمُ ، ويُنَكِّسُ رأسَه النّادم .
وينتصِرُ المظلومُ من الظّالم .

* * *

اللّـهُمَّ : نَجِّنا مِن تِلك الأهـــوال .
ووفِّقْنـــا للِاستعدادِ بِصالِحِ الأعمال .
وآمِنْ خوْفَنا يوْمَ الرَّجْفِ والزِّلزال .
اللّـهُمَّ : أجْبُرْ قُلوبَنا بِفِراقِ شهْرِنا بالغُفران ،
والعفْوِ والعِتْقِ من النِّيران .
وأدخِلْنا برحمتِك الجنَّةَ : مَنْزِلَ الرِّضوان .
وأعِدْ علينا شهرَ رمضانَ : أعْوامًا مُتتالِيَةً ، يا رَحمٰن .
واغفر - اللّـهُمَّ - لنا ولوالِدينا ولجميع المُسلمين :
الأحيـــاءِ منهم والميِّتين ..
برحمتِك يا أرحم الراحمين .
وصلَّى اللهُ على نبيِّنا محمدٍ ، و آلِه وصَحْبِهِ أجْمَعِين .

﴿ الفصل العاشر :
فى إتمامِ العملِ وإكمالِه ﴾

الحمدُ للهِ : غافرِ الذَّنبِ وإنْ تكاثرت الذُّنوب ،
وقابلِ التَّوبِ مِمَّن يَتُوب ،
شديدِ العِقابِ عند قسوةِ القُلوب ..
جابرِ الكَسْرِ ، ومُيَسِّرِ العسيرِ ، ومُفَرِّجِ الكُروب ..
أحمدُه سُبحانَه : رَبَّ كلِّ مَرْبُوب .
وأشهدُ أن لا إلٰه إلا اللهُ وحدَه لا شريكَ له ـ
وأشهدُ أن سيِّدَنا ونبيَّنا محمدًا : عبدُه ورسولُه :
أعظَمُ مخلوقٍ ، وأشرفُ محبوب ـ
صلى اللهُ وسلَّم وبارك عليه وعلى آلِه وأصحابِه :
عددَ الشُّروقِ والغُروب .

* * *

اِعلموا ـ رحِمَكم الله ـ أنَّ السَّلَفَ الصَّالِحَ :
كانوا يهتَمُّون لِقَبُولِ العَمَلِ : أشدَّ اهتِماماً مِن العَمَلِ .
كما رُوِيَ عن عليٍّ رضى الله عنه ، أنه قال :
(كُونُوا لِقَبُولِ العَمَلِ :
أشدَّ اهتِماماً مِنكُم بِالعَمَل) .
ألمْ تسْمَعُوا اللهَ يقولُ :
﴿ إنَّمَا يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ الْمُتَّقِينَ ﴾ .

وهذا حالُ السَّلَفِ الصالِح ،

يجْتهِدون فى إتمام العملِ وإكمالِه وإتقانِه ..

ثم يهتمُّون بعد ذلِك بِقَبولِه .. ويخافُونَ مِن رَدِّه .

وهؤلاء الذين يؤْتون ما آتَوا وقُلوبُهم وَجِلَة .

قال مالكُ بن دينار :

(الْخَوْفُ علَى العَمَلِ أنه لا يُتَقَبَّل : أشَدُّ مِن العمل) .

وقال عبد العزيز بن أبى رواد :

(أَدْرَكْتُهم يجتهدونَ فى العملِ الصالح ، فإذا فعلُوه ،

وقعَ عليْهِم الهَمُّ : أيُقْبَلُ مِنهم ، أمْ لا ؟..)

قال بعضُ السَّلَف :

(كانوا يَدْعُونَ اللهَ سِتَّةَ أَشْهُرٍ : أن يُبَلِّغَهم رمَضانَ ،

ثم يدْعُونَ اللهَ سِتَّةَ : أنْ يتقَبَّلَه مِنهم) .

وعن الحسَنِ ، قال :

(جعلَ اللهُ شهْرَ رمضانَ :

مِضْمارًا يسْتَبِقُون فيه بِطاعَتِه إلى مَرْضاتِه .

فسبَق قوْمٌ ففازوا ، وتخلَّف آخرون فخابُوا) .

ورُوِىَ عنه رضى اللهُ عنه :

أنَّه كان يُنادى فى آخِرِ ليْلةٍ من شهرِ رمضان :

(يا ليْتَ شِعْرِى : مَنْ هٰذا المقبولُ ، فنُهَنِّيَه ؟!.

ومَن المحرومُ ، فنُعَـزِّيَه ؟)

ورُوِى عن ابنِ مَسعودٍ رضى اللهُ عنه أنه كان يقول :

(مَنْ هٰذا المقبولُ مِنَّا ، فنُهَنِّيَه ؟..

ومَن هذا المحـــرومُ ، فنُعَزِّيه ؟

أيُّهـــا المقبولُ : هنيـــئًا لكَ .

أيُّهـــا المطرودُ : جَبَرَ اللهُ مُصيبَتَك) .

* * *

عِـبادَ اللهِ : هذا شهرُ رمضانَ قد عَزَمَ على الإنْصِرام ..

ونَوَى النُّقْلَةَ عنكم ، والرَّحيلَ بَعْد المُقام .

وهو شاهِدٌ عليكُم ، أو لـكم ، بما أودعتُموه مِن الأعمالِ ،

عِنـــد المَلِكِ العَـــلَّام .

وقد كانَ لـكُم نِعمَ الضَّيْفُ : فهَلْ أضفتُم حقَّه ،

أمْ قُمتُم له بما يجِبُ له من الإكرام ؟!..

فلعلَّ المُسَوِّفَ فيه بالتَّوْبَةِ : لا يُدْرِكُه بعد هذا العام ؛

والمُغْتَرَّ بالإهمالِ : لا تُمهِلُه المَنُونُ إلىٰ استِكمال التَّمام ؛

فيندمَ حين لا ينفعُه النَّـــدَم ؛

ويتأسَّفَ على التفريطِ إذا زلَّت به - فى القِيامَةِ - القَدَم .

واعلموا - رحِمَكم اللهُ - أنه يُسْتَحَبُّ : الإكثارُ

مِن ذِكر اللهِ تبارَك وتعالى ليْلةَ العِيدَيْنِ ،

والجهرُ به فى البُيوتِ والأسْواقِ والمساجِد :

اقتِداءً بالسُّـــنَّةِ ، واتِّباعًا للسَّلَف .

وفى ليلةِ الفطرِ : آكدُ ، لقولِ اللهِ تباركَ وتعالى :
﴿ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَدَاكُمْ
وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴾ .
فاشكُروا نِعمةَ اللهِ عليكم ،
فيما يَسَّرَ لكُمْ مِن صِيامِ شهرِ رمضانَ ،
وفيما أعطاكُم مِنْ نِعمةِ الإيمانِ .
ودُعوا شهرَ رمضانَ بكثرةِ الاستِغفارِ من التَّقصير ،
والعَزْمِ على دوامِ الجِدِّ والتَّشْمير ؛
فلقد كانَ للمُتَّقين : روْضةً وأُنسًا ،
وللغافلين : قيْدًا وحَبْسًا .
كانَ نُزهةً لِلأَبْرارِ ، وقيْدًا لِلأَشرار .
فطُوبىٰ لِمَنْ حَلَّ فيه عُقَدَ الإصْرار ،
وحلّ فى روْضةِ التَّقْوىٰ فى منْزِل الأبرار !..
أىُّ شهرٍ قد تولَّى - يا عِبادَ اللهِ - عنَّا ؟!..
حُقَّ أن نَبْكِىَ عليْهِ بِدِماءٍ ، لوْ عَقَلْنا !.
كيف لا نَبْكِى لشهرٍ مَرَّ بالغَفْلةِ مِنَّا ؟
ثم لا نعلمُ أنَّا : قد قُبِلْنا أمْ طُرِدْنا ؟!..
ليْتَ شِعرى : مَن هو المحرومُ والمطرودُ مِنَّا ؟!..
ومن المَقبولُ مِمَّن صام مِنَّا ، فيُهنَّا ؟! .

* * *

عِبادَ اللهِ : هذا شهرُ رمضانَ .. عليكُم بالاجتهادِ فى باقيه ..
وتلافَوْا تَفريطَكم ، ما أمْكنَ تلافيه ..
فكَمْ مِن مُتأهِّبٍ لِيَومِ فِطْرِه ،
يُصبحُ يومَ عيدِه فى قبْرِه :
قد فارَقَ الأحبابَ ، وعَدِمَ الخُلَّان !..

إخوانى : أَيْنَ الَّذين كانوا معكُم فى عيدِكم الماضى ،
فذهبوا ؟! وأيْنَ الذين كانوا فى مِثلِ هٰذا العيد ،
قد فرِحُوا وطَرِبوا ؟!
أمَّلُوا أمَلًا شديدًا ؛ وتوهَّموا البَقاء فبَنَوْا مَشِيدًا !..
فَجَأَهُمْ رَيْبُ المَنُونِ ، فأبْلىٰ مِنهم ما كانَ جديدًا !..
واعلموا - رحِمَكم اللهُ - أَنَّ ليْلَتَكم هٰذه :
ليلةُ الوَداعِ لشهرِكم : شهرِ رمضانَ -
الذى شرَّفه اللهُ وعظَّمه ، ورفع قَدْرَه وكرَّمه :
بالصِّيام ، والقِيام ، وتِلاوَةِ القُرآن -
جعلَه اللهُ : مِصْباحَ العامِ ، وواسِطَةَ النِّظام ، وشَرَفَ
قواعِدِ الإسلام .. ونوَّرهُ بأنوارِ الصِّيام والقِيام :
أنزلَ فيه كِتابَه ، وفتحَ فيه لِلتَّائبين أبْوابَه -
فلا دُعاءَ فيه إلَّا مسْموع ، ولا خيْرَ إلَّا مجموع ،
ولا ضُرَّ إلَّا مدْفوع ، ولا عَمَلَ إلَّا مرْفوع ..
شهرٌ جعله اللهُ لِذُنوبِكم : تطهيرًا ؛ ولِسَيِّئاتِكم : تكفيرًا ؛

ولِمَن أحسَنَ مِنكم صُحْبَتَه : ذخيرةً ونورًا ؛

ولِمَن وفَىٰ بشَرْطِه وقامَ بحقِّه : فرَحًا وسُرورًا .

شهرٌ : تورَّعَ فيه أهلُ الفِسْقِ والفَساد !..

وازْدادَ فيه ـ مِن الرَّغْبَةِ إلى اللهِ ـ أهلُ الجِدِّ والاجتهاد ! .

شهرُ عِمارةِ القُلوب ، وكفّارة الذُّنوب .

شهرٌ : فيه المساجِدُ تُعْمَر ، والمصابيحُ تُزْهَر ،

والقُلوبُ تُجْبَر ؛ والذُّنوبُ ـ بإذن اللهِ ـ تُغْفَر ..

شهرٌ : فيه تُشرِقُ المساجِدُ بالأنوار ؛

وتُكثِرُ الملائكةُ لِصُوّامِهِ الاستغفار ؛

ويُعتِقُ الجبّارُ في كلِّ ليلةٍ منه عِند الإفْطار :

ألْفَ ألْفِ عتيقٍ مِن النّار !..

شهرٌ : تنزِلُ فيه البَرَكاتُ ؛

وتَعْظُمُ فيه الصَّدَقات ؛ وتكفَّر فيهِ السَّيِّئات ؛

وتُقالُ فيه العَثَرات ؛ وتُدْفَعُ فيه النَّكبات ؛

وتُرْفَع فيه الدَّرَجات ؛ وتُسْكَبُ فيه العَبَرات ؛

وتُنادِي فيه الحُورُ الحِسانُ من الجَنّات :

(هَنِيئًا لكمْ : يا مَعْشَرَ الصّائمين والصّائمات ،

والقائمين والقائمات ؛ بما أعدَّ اللهُ لكم من الخيْرات !..

لقد غمرَتْكُمُ البَرَكاتُ ؛

واستَبْشر بِكُم أهلُ الأرضِ والسَّماوات ..)

فرَحِمَ اللهُ أمْرءًا مهَّدَ فيه لِنَفْسِه ؛ قبْلَ حُلُولِ رَمْسِه ؛
واشْتَغل بِيَوْمِه ، عن غَدِه وأمْسِه .
ورحِمَ اللهُ أمْرءًا أظهر لِفراقِ شهرِه جزَعَه ،
وسلَّم على شـــهْرِه ووَدّعـــــه .
فاحمَـــدوا اللهَ ـ عِبـــادَ اللهِ ـ
على بُلوغِ اخْتِتامِه ؛ واسألوه قَبُولَ قِيامِه وصِيامِه ..
وراقِبُوه بأداءِ حُقوقِه ؛ واعتصِموا بِحَبْلِ اللهِ وتَوْفيقِه ..

واعْلموا ـ رحِمَكم الله ـ أنكم فارَقْتُم شهرًا عظيماً ،
مُفَضِّـــلًا كريماً .

أيْنَ الصُّوَّام القُوَّام : المُرافِقون لكُم فى سالِفِ الأعوام ؟!..
وأيْنَ من كانَ معكُم ليالِيَ شهْرِ رمضانَ شاهِدين ،
وفى كلِّ حَقٍّ لِلهِ مُعامِلين :
مِن الآباءِ والأُمَّهاتِ ، والإخْوَةِ والأخواتِ ،
والجـــيرانِ وذَوِى القَرابات ؟!
أتاهُـــم ـ واللهِ ـ هاذِمُ اللَّذّات ،
وقاطِعُ الشّهواتِ ، ومُفَرِّقُ الجماعاتِ ،
فأخْلىٰ مِنهم المَشاهِد ، وعطَّل مِنهم المَساجِد !..
تراهُم فى بُطُونِ الألحادِ صَرْعىٰ !..
لا يجِدُونَ لما هُمْ فيهِ دفْعـــا !..
ولا يملِكون لأنفُسِهم ضرًّا ولا نفْعا !..

ينتظِرون يوماً : فيهِ الأُمَمُ - إلى ربِّها - تُدْعىٰ ؛
والخَلائِقُ - إلى المَوْقِفِ - تُحشَرُ وتَسْعىٰ ؛
والفَرائِصُ تُرعَدُ - مِن هَوْل ذلك اليومِ - جَمْعًا ؛
والعُيونُ تَذْرِفُ دَمْعًا ؛
والقُلوبُ تتصدَّعُ - من الحِسابِ - صَدْعًا ..
﴿ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا ﴾ .

عِبادَ اللهِ :

مَن كانَ مَنَع نفْسَه فى شهرِ رمضان مِن الحرامِ ؛
فليَمْنَعْها فيما بعدَه مِن الشُّهورِ والأعوام ؛
فإنَّ إلٰهَ الشهرَيْنِ : واحِد ؛
وهو عَلَى الزَّمانَيْنِ : مُطَّلِعٌ ومُشاهِد ..
جَزانا اللهُ وإيَّاكم عَلَى فِراقِ شَهْرِ البَرَكة ..
وأجْزلَ أقْسامَنا وأقْسامَكم مِن رحْمَتِه المُشتَرَكة ..
وبارِكَ لَنا ولكُم فى بقِيَّتِه ..
وسَلَكَ بِنا وبِكُم طريقَ هِدايَتِه -
بِمَنِّه وفضْلِه ورحمتِه .
اللَّهُمَّ : كما بلَّغْتنا شهرَ رمضان ؛
فاجعلْ عامَه علينا مِن أبْرَكِ الأعْوام ؛
وأيّامَه مِن أسعدِ الأيّام ؛
وتقبَّلْ مِنّا ما قدّمْناهُ من الصِّيام والقِيام ؛

واغفِرْ لنا ما اقترَفْناهُ مِن الآثام ؛ وخلِّصْنا من
مظالِمِ الأنام ـ يومَ لا يُرْجىٰ سِواكَ ، يا عَلَّام ..
وأعْتِقْ رِقابَنا ووالِدِينا من النَّار ، وما فيها من اللَّفحات .
وارْفَعْ لنا بصِيامِ شهرِ رمضانَ عِندَكَ الدَّرَجات ..
وكَفِّر عنَّا بِفَضْلِك السَّيِّئات .. وضاعِف ـ اللَّهُمَّ ـ لنا الحَسَنات .
وأعِدْ علينا شهرَ رمضانَ : أعواماً مُتتالِيات ..
واغفِرْ للمُسلمين والمُسلمات : الأحياء منهم والأمْوات .
واغْفِر ـ اللَّهُمَّ ـ لنا ولوالِدينا ، ولجميعِ المُسلِمين :
الأحياءِ منهم والميِّتين ، برحمتِك يا أرحَمَ الراحِمين ؛
وصلَّى اللهُ وَسلَّم وبارك
على سيِّدِنا ونَبيِّنا : محمدٍ ، وآلِه وصَحْبِه أجمعين .

* * *

تمَّ بحمد اللهِ وتوفيقه جمعُ وتبييضُ هذه النُّبْذَة ،
فجاءت ـ ولِلهِ الحَمْدُ ـ وَفقَ المُراد :
وكان الفَراغُ من جمْعِها وتبْييضِها يومَ الخامسِ والعِشرين
من شهرِ شوّال سنة ١٤٠٤ هـ ، وهو التَّبْييضُ الثانى .
وأسألُ اللهَ العلِيَّ القديرَ أن ينفعَ بها المسلمين ،
وأنْ يجعلَ ذلك خالصاً لوجْهِه الكريم .
وصلَّى اللهُ وسلَّم وباركَ على سيِّدِنا ونبيِّنا : محمدٍ ،
وآلِه وصَحْبِـه أجمعين .

جدول الخطأ والصواب

الصفحة	السطر	الخطأ	الصواب
١٦	١٥	والمنائح	والمِنَح
٢٦	٦	قلوبِ	قلوبٍ
٣٣	١٢	سواءً	سواءٌ
٥٦	١٤	أن القرآن	إن القرآن
٦٦	الأخير	فى العملَ	فى العملِ
١١٢	الأخير وما قبله	لم . عدْنى —	لم يتوعدنى حتى
١٣٦	٩	وسِنِيَّهُ	وسِنِيهِ
١٦٤	الأخير	فَتَجْفُوَ	فَتَجْفُو
٢٠٣	١	أن لِلّهِ	إن لِلّهِ
٢٠٥	٩	مُحَدَّثٍ	مُحَدَّثٍ
٢١٦	١١	أن النبيُّ	أن النبيَّ

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٢٥٦ / ١٩٨٥

مطبعة الكيلانى
المدير المسئول: رشاد كامل كيلانى
٢٢ شارع غيط العدة - بولاق الدكرور
ت ٩١٨٥٩٨